كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور للفاضل الأديب

الأريب وحيد عصره وفريد دهره أقضى القضاة شهاب الدين

أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الأنصاري المعروف بابن عرب

شاه طيب الله ثراه



اعتنى بطبعه الحقير الفقير أحمد كبير امتثالاً لأمر كميتي مرة بعد

أخرى بإعانة مولاء العظام المولوي محمد وجيه والمولوي

محمد بشير الدين والمولوي نور الحق والمولوي حافظ

محمد مرتضى والمولوي محمد مظهر والمولوي

عبيد أحمد والمولوي يار علي برد نوي

ثم الدهلوي والمولوي غلام حسين

والمولوي عبد الحي غفر الله

ذنوبهم وستر عيوبهم

سنة ١٢٥٧

هجرية



الحمد لله الذي على منوال إرادته بتدبيره تنسج مقاطع الأمور * ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجري تيار الأعاصير والدهور * أذاق بعض بني آدم بأس بعض ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * وأرسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحار فتن أقبلت كقطع من الليل المظلم لم يدر أحد ما هي فاذا هي تمور * أحمده حمد من كان على شفا حفرة من نارها فانقذه منها * وأشكره شكر من ورطه فيها فأنجته أيادي فضله عنها * وأشهد أن لا إله إلا الله الحكم العدل * الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أرسله رحمة للعالمين * وجعله رسول

الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون * ونبأ بما كان فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال صلى الله عليه صلوة تذكي المسك الاذفر فى صدور الكتب والتواريخ * وتدني لقائلها فى دار الجزاء ثمرات الحسنات من اعلى الشماريخ * وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيول الفتح فى الاقاليم فغمروها * وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها * وسلم تسليما كثيرا * دائما ابدا كثيرا * اما بعد فلما كان فى التواريخ عبرة لمن اعتبر * وتنبيه لمن افتكر * واعلام بان قاطن الدنيا على سفر * واحضار لصورة من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى وامر * وبنى وعمر * وقتل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر * وجمع وادخر * ثم ترك وفر * وكيف حبر وبشر * وضحك واستبشر * وتقلب فى اطواره من الطفولية الى الكبر * الى ان قلبته ايدى الغير * واختطفته ومن آمن مما يكون مخاليب القضاء والقدر * فخالط

ماصفا من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان في
ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن اذكر * وتبصرة لمن استبصر * وكان
من اعجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنة التي يحار فيها
اللبيب * ويندهش في دجى حنادسها الفطن الاريب * ويسفه فيها
الحليم * ويذل فيها العزيز ويهان الكريم * فتنة تيمورلنك من الفساق
* الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق * اقبلت
الى دنياه الدنية عليه تتولى وسعى في الارض فاشب فيها واهلك الحرث
والنسل * وتيمم حتى عمته الجنابة صعيد الارض بغسل سيف
الطغيان [illegible] مخذول [illegible] تحققت نجاسته بهذا الغسل * اردت ان
اذكر منها ما رأيته * واقص من ذلك ما رويته * اذ كانت احدى
الكبر * وام العبر والداهية التي لا يرضى القضاء في دفعها بالقدر
* والله اسأله الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولي الاجابة
* ومنيل بنيل المرام الى نهج الاصابة * وهو حسبي ونعم الوكيل *

* فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وغيرها *

اسمه تيمور بتاء مكسورة مثناة فوقا وياء مثناة تحتا وواو

ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة مثل طريقة املائه وفي التعريب
زنة بنائه لكن كثرة الالفاظ الاعجمية فاتت ادراكها من لهان اللغة
العربية * خلطها في الدوران على بناء اوزانها * ودحرجها كيف
شاء في ميادين لسانها * فقالوا في هذه تارة تيمور واخرى تمرلنك *
ولم تجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك * وهو بالتركي الحديد من
تيمور بن طرغاي ومسقط رأسه من ذلك القذار * قرية تسمى خواجة ايلغار *
وهي من اعمال الكش * فابعدها الله من الحش * والكش مدينة
من مدن ما وراء النهر * عن سمرقند نحو من ثلث عشر فهر * قيل رئي
ليلة ولد كان شيئا شبيه الخوذة تراءى طائرا في عنان الجو * ثم سقط الى
فضاء الله وثم انبث على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل
الجمر والشرر * وتراكم حتى ملأ المدر والحضر * وقيل لما
سقط الى الارض ذلك الشقي الشقيط * كانت كفاه مملوءتين من الدم
العبيط * فسألوا عن احواله الزواجر والعائفة * وتفحصوا
عن تأويل ذلك من الكهنة واهل العيافة * فقال بعضهم يكون
قصابا * وقال بعضهم بل يصير لصا حراميا * وقال قوم بل قتالا سفاكا *

وقال آخرون بل يصير رجلاً ذا نشاكاً * وتظافرت مثيلاً لا تزال * الى ان آل امره الى ما آل * وكان هو وابوه من الغفادين * ومن طائفة اوشاب لا عقل لهم ولا دين * وقيل كانا من الحشم الرجالة * والاوباش البطالة * وكانت ما وراء النهر ماواهم * وتلك الضواحي مشتاهم * وقيل كان ابوه اسكافاً فقيراً جداً * وكان هو شاباً جديداً جلداً * ولكنه لما كان به من القلة يتحرم * وبسبب تلك الاجرام يتضور ويتضرم * ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها * وثنى عليه بآخر في فخذه فاخطلها * فازداد كسراً على فقره * ولوماً على شره * ورغبة في الفساد * وحنقاً على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك الاضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء * مثل عباس وجهان شاه * وقماري وسليمان شاه * وايدكو تيمور وجاكو وسيف الدين الذين كانوا اربعين * لا دنيا لهم ولا دين * وكان مع ضيق يده * وقلة عدده وعديده * وضعف بدنه وحاله * وعدم ماله ورجاله * يذكر لهم انه طالب الملك * ومورد

ملوك الدنيا ومواريث الهلك * وهم في ذلك يتناقلون عنه مثل النقل *
وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدنونه منهم ويتقبلون
اليه * ليسخروا منه ويضحكوا عليه

* شعر *

ان المقادير اذا ساعدت * الحقت العاجز بالحازم
ولا تشتغل فيما يقصده * والقضاء يرشك والقدر ينهشك *

* شعر *

لا يؤيسنك من مجد تباعده * فان للمجد تدريجا وترتيبا
ان القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان في تلك الكتب شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك
البلاد * وعليه لكل من قصد شيئا من امور الدين والدنيا الاعتماد *
فذكر ان تيمور هو وقصوما جز * بين عز مومومن وذل ناجز * لم يكن
له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه راس ماعز * وقصد
الشيخ المشار اليه * وعول فيما قصده عليه * وقد ربط بطرف حبل
عنق ذلك العناق * وربط عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الرباق *

وحصل تتفقد طرقها من جوده * حتى دخل في ذلك الجمع

الشريف * فصادفه وهو والفقراء مشغولون بالذكر * مستغرقون فيما هم

فيه من الوجد والفكر * فلا زال قائما حتى افاقوا من حالهم * وسكنوا

من قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * وانكب

على رجليه * فتفكر الشيخ ساعة * ثم رفع رأسه الى الجماعة * وقال

كأن هذا الرجل بذل عرضه وعرفه * واستعمل في طلب ما لا

يساوي عند الله تعالى جناح بعوضة * فنريد ان نمده ولا نحرمه

ولا نرده * فامدوه بالدعاء اسماعا لما طلبه * فاشبهت قضيته قضية

ثعلبه * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى

ما عرج * وقيل انه كان في بعض تمرماته نقل الطريق صورة *

كاملها معنى وسيرة * وكاد يهلك عطشا وجوعا * وما زال ذلك

اسبوعا * فوقع في اثناء ذلك على خيل السلطان * فتلقاه الجشار

بالتلطف والاحسان * وكان يجوز ممن يعرف خصائص الخيل بصفاتها *

ويفرق بين جيادها ورديئها بمجرد النظر الى هيآتها * فاطلع الجشار

على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * وزاد به رغبة * وطلب منه

لدوام الخدمة * وحمله الى السلطان مع افراس قلبها منه * واخبره
بتفصيله وما شاهده منه * فانعم السلطان عليه * ورضي به الجشار
ورده اليه * فلم ينشب الجشار ان مات فتولى تيمور وظيفته * ولا يزال
يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته * ثم انه خاصمها في بعض
مكافحته ومقاله * فعيرته بما كان عليه من اول امره وحاله * فسل
السيف ونحاها على انها تفر من بين يديه * فلم تكترث به ولم تلتفت
اليه * فضربها ضربة ازهق بها نفسها * واسكنها رمسها * ثم لم يسعه
الا الخروج والعصيان * والتمرد والطغيان * الى ان كان من
امره ما كان * وكان السلطان اسمه حسين * وهو من بني الملك
وافل الكلمتين * وتخت ملكه مدينة بلخ وهي من اقصى بلاد
خراسان * ولكن كانت بخارا واوامره جارية في ممالك ما وراء النهر
الى اطراف تركستان * وقيل كان ابوه امير مائة عند السلطان
المذكور * وهو بالجلادة والشهامة بين احزابه مشهور * ويمكن
الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل
الاحوال والحدثان * والاصح ان اباه ترغاي المذكور كان

أحد أركان دولة السلطان * ورأيت في ذيل تاريخ فارسي يدعى
المنتجب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور موشى مذهب *
نسباً يتصل منه تيمور الى جنكيز خان * من جهة النساء حبائل
الشيطان * ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الأقران *
تزوج بنات الملوك فزادوه في ألقابه كوركان * وهو بلغة المغول
الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكن * وكان
للسلطان المذكور من الوزراء أربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة *
هم أعيان الممالك * وبرأيهم يقتدى في المسالك * والترك لهم قبائل
وشعب * تكاد توازي قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء
كان من قبيلة * لسراج آرائه في بيوت تعميرها فتيلة * قبيلة
أحدهم تسمى ارلات * وقبيلة الثاني تدعى جلابر * وقبيلة الثالث
يقال لها قاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن
رابعهم في الناس * ونشأ شاباً لبيباً * مصراع * مما حاز ما جلداً اريبا *
وكان يصاحب نظراءه من أولاد الوزراء * ويعاشر أحزابه
من فتيان الأمراء * الى أن قال لهم في بعض الليالي * وقد اجتمعوا

فى مكانٍ خالي * واخذت منهم العشرة والنشاط * وارتفعت استار الاسرار وامتد للمسطبساط * ان جلّ تى فلانه * وكانت من ذوى العيافة والكهانة * رأت مناما * ما ذاقت منه احلاما * وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد * من يدوخ البلاد * ويملك العباد * ويكون صاحب القران * وتذل له ملوك الزمان * وذلك انا * وقد قرب ملو قمعود نا * فعاهدوني ان تكونوا لي ظهرا وعضدا * وجناحا ويدا * وان لا تستحيلوا عني ابدا * فاجابوه الى ما دعاهم اليه * وتقاسموا ان يكونوا فى السراء والضراء معه لا عليه * ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام فى كل مقام * ويتفاوضون فيه غب يوم مثنا الغب من غير احتشام واكتتام * حتى آنس برقه قاطن كل مصرٍ وشام * وخاض فى حديثه كل قديم مجرة من خاص وعام * وشعر به السلطان * وعلم ان خلافه فى دوح المملكة بان * فاراد ان يرديه في نحره * ويريح الدنيا من شره والعباد والبلاد من عاره وعره * ويعمل بموجب ما قيل * شعر *

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو على حضيض العصيان ومهما لم فعرج * ويمكن انه في بعض هذه الاوقات * واثناء هذه الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * واستمد كما ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه * وفتحته من مستغلقات الامكنه * انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري ومنه الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت بركة الا بالسيد بركة وسيأتي ذكر زين الدين وبركه * ثم قال تيمور ما فتحت ابواب السعادة والدولة علي * ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي * الا من شهام سجستان * ومن حينها ابني ذلك النقصان انا في ازدياد الى هذا الاوان * والظاهر ان بدو امره وخروجه في تلك الفئه * كان فيما بين الستين والسبعين والسبع مائة * وقال لي شيخي الامام العالم العامل الكامل المكمل الفاضل * فريد الدهر * وحيد العصر * علامة الورى امتاذ الدنيا علاء الدين * شيخ المحققين والمدققين * قطب الزمان * مرشد الدوران * ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته * واهل الاسلام والمسلمين

ميامن بركاته * في شهور سنة ست وثلثين وثمانمائة ان تيمور قتل السلطان حسين المذكور * في شعبان سنة احدى وسبعين وسبع مائة * ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة على ما سيأتي * فمدة استيلائه مستقلا ستة وثلثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتحزمه الى حين استيلائه ولما خرج صار هو ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ماوراء النهر * ويعاملون الناس بالعدوان والقهر * فتحرك له فيهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك المغاني والاماكن * فقطعوا جيحون وصفر منهم ذلك المكان * فاشتغلوا بالتحرم في بلاد خراسان * خصوصا في نواحي سجستان * ولا تسأل عما فعل في مفاوز بهاورد وماخان * فذهب بعض الليالي في وقت اضربهم السغب * واشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل حائطا من حوائط سجستان * فلما اوى اليه بعض رعاء الضان * فاحتمل منها راسا وادبر * فشعر به الراعي وابصر * فاتبعه للحين * وضربه بسهمين * اصاب باحدهما فخذه * وبالآخر كتفه * فلله دره ساعدا اذ ابطل بهذا الضرب الموزون نصفه * ثم ادركه واحتمله * والى سلطان هراة المسمى بملك

حصين او صلة * فمع ضربه امر بصلبه * وكان للسلطان ابن رآه

مرتين * يدعى ملك غياث الدين * فشفع فيه * واستوهبه من

ابيه * فقال له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك * ويسفر عن

نجابتك وفلاحك * وهذا جعلتنا في حرامي مادة الفساد * لئن ابقي

ليهلكن العباد والبلاد * فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف

آدمي * وقد اصيب بالدواهي والرمي * ولا شك ان اجله قد اقترب *

فلا تكونن في موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه *

الى ان اندمل جرحه * وبرئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان

هراة * من اعقل الخدم واضبط الكفاة * فتوفرت عنده حرمته *

وارتفعت درجته وسمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان * نائبه

المتولي على سجستان * فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه * فاجابه الى

ذلك وعول عليه * واضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى

سجستان * وقبض على نائبها المتمادي في العصيان * واستخلص

اموال تلك البلاد * واخذ من اطاعه من الاجناد * وتلا آية

العصيان بالجهر * وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر * وقيل

قد كان * في خدمة ابن السلطان * الى ان ودع اخوه الحيوة
وانتقل * واستقر ولده واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الى
ما وراء النهر * وقد قوي منه الرأس والظهر * وكان اذ ذاك
قد اجتمع عليه رفقاؤه * وانحاز اليه اصحابه المتخربون وعشراؤه *
فارسل غياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان يكفي المسلمين
شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق العذل
السيف * وضيع اللبن في الصيف *

ذكر عبوره جيحون على فتره وما جرى من عبرات بهذه العبرة *

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك ماؤه طاغيا *
ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان خلفهم باغيا * فقال تيمور
لاصحابه النجباء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق
نفسه في الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان *
فمن لم يأت الموعد * يعلم انه قد فقد * فتهافتوا هم وخيولهم في ذلك
الماء العجاج * وتيار الزخار والامواج * تهافت الفراش على السراج *
ولم يعلم واحد منهم حال الآخر * ولا اطلع من تقدم منهم على امر

مِنْ تَأَخَّرَ * وَكَابَدُوا أَحْوَالَ الْمَوْتِ * وَهَامَتْ وَاعَلُوا أَهْوَالَ الْفَوْتِ *
فَنَجَوْا وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ * وَاجْتَمَعُوا اِلَى ذٰلِكَ الْمَوْعِدِ * وَذٰلِكَ
بَعْدَ أَنْ أَمِنَتْ مِنْهُمُ الْبِلَادُ * وَاطْمَأَنَّ فِي مَسَالِكِهَا كُلُّ رَائِحٍ وَغَادٍ *
فَجَعَلُوا يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ * وَيَتَتَبَّعُونَ الْآثَارَ * وَيُحَارِبُونَ اللهَ وَ
رَسُولَهُ * وَيَرُدُّونَ عِبَادَهُ وَيَقْطَعُونَ سَبِيلَهُ * وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذٰلِكَ يَجْرِي
وَيَمْشِي * اِلَى أَنْ وَصَلَ مَدِينَةَ قَرْشِي *

ذكر ما جرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطة *

فَقَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ * وَقَوْمٍ أَضْرَبِهِ الدَّهْرُ وَاضْرَابِهِ * وَاخْصَبُ
مِنْهُمْ رَبْعُ الْفَسَادِ وَاعْشَبَ * اِنَّ بِالْقُرْبِ مِنَّا مَدِينَةَ نَخْشَبَ * مَدِينَةَ
أَبِي تُرَابٍ النَّخْشَبِيِّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مَدِينَةٌ مَصُونَةٌ * مَسْوَرَةٌ مَكْنُونَةٌ *
لَئِنْ ظَفِرْنَا بِهَا لَتَكُونَنَّ لَنَا ظَهْرًا وَمَلَاذًا * وَمَلْجَأً وَمَعَاذًا * وَاِنَّ حَاكِمَهَا
مُوسَى لَوْ حَصَّلْنَاهُ * وَاَخَذْنَا مَالَهُ وَقَتَلْنَاهُ * لَتَقَوَّيْنَا بِمَا لَهُ مِنْ خُيُولٍ
وَعُدَّةٍ * وَحَصَلَ لَنَا فَرَجٌ بَعْدَ شِدَّةٍ * وَاَنَا اَعْلَمُ لَهَا مِنْ مَمَرِّ الْمَاءِ
دَرْبًا * مِنَ الدُّخُولِ وَاسِعًا رَحْبًا * فَشَمَّرُوا ذَيْلَهُمْ * وَتَرَكُوا
فِي مَكَانٍ خَيْلَهُمْ * وَاسْتَعْمَلُوا فِي نَيْلِ مُرَادِهِمْ لَيْلَهُمْ * وَدَخَلُوا حَبْسَ

المدينة وقصدوا بيت الامير * ورفعوا ايديهم فما دافوا بهم والحصير *
وكان الامير في البستان خارج البلد * فاخذوا ما وجدوا له من
اسلحة وعدد * وركبوا خيله * وقتلوا من وجدوا من الاكابر غيله *
فاجتمع عليهم اهل البلد * وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد *
فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا * فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام
ناصرا * وقال له اصحابه لقد القينا بانفسنا الى حقيقة الهلاك
من هذا المجاز * فقال لا عليكم ففي مثل هذه المواطن يمتحن الرجل
ويمتاز * فاجمعوا ابدانكم ثم اثبتوا صفا * واندفعوا نحو باب المدينة
يدا واحدة زحفا * حاطمين على العدو * من غير توان ولا هدو *
فاني اظن انه لا يثبت لكم شيء * ولا يقف امامكم حي * فامتثلوا امره
ورفعوا الصوت * وقصدوا الباب يخوضون غمار الموت * وهجموا
على العساكر هجوم الليث * واندفقوا اندفاق الغيث * ففتح
لهم عند فتح الباب * لامر يريده مسبب الاسباب * فلم يلو
امامهم احد على احد * ولا نفعه ما هو فيه من العدد والعدد *
ثم انثنوا الى مكانهم سالمين * ولم يزالوا على ذلك عائثين عابثين *

واجتمع عليهم اصحابهم * وانحاز اليهم في الفساد امثالهم *
فصاروا نحوا من ثلثمائه * وبمن يتحيز اليهم من اهل الشر فئه *
فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم فكسروه * واستولوا
على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه * قلت *

شعر

لاتحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب * وقيل *
ان البعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل * فربما تمرت بها لبيذق الشاه *

ذكر من اسر في فتنة ذلك الجاف * واستعمله من احرار ملوك الاطراف *

ثم ارسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها لاخوين (لهما) وهما
بها مستقلان * تلقيا ذلك عن ابيهما * وكان السلطان نزعها من
يد ابيهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * واستمر من
اولادهما عنده فصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته *
[illegible] اجاباه ودخلا تحت كلمته *

ذكر نهوض المغل على السلطان * وكيف تضعضع منه الاركان *

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم

وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان *
ثم اسلم ايضا ذلك الجان * واسم حاكيهم قمر الدين خان *
فاجابوا مرادة * واقتفوا ارادة * وسلطوه على السلطان ليستخلص
من يده بلاده * ووا عدوه بمصاهرتهم * وامنوه بمظاهرتهم *
ورجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك
شوكته * وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد
والامكان * في اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه *
وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى
مكان يسمى قاغلغار * وهو مسلك بين جبلين مضيق * هو الجادة العظمى
والطريق * يسير المار في ذلك مقدار ساعة * وفي وسط الدرب باب
اذا اغلق زاحمي فلا شئ مثله في المناعة * وحواليه جبال كل منها
عرنينه قد شمخ * وقدمه قد غاص فبوتاور سخ * فصح ان يقال فيه انف
في السماء * واست في الماء * فاخذ العسكر في ذلك الدربند * من جهة
سمرقند * وتيمور على الجانب الاخر *
زمو كالمضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها *

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف مناجادة خفيه * مسالكها أبيه * لا تطأها الخطا * ولا يهتدى اليها القطا * فهلم نسرى ليلنا * ونقود في المشرف خيلنا * فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * وشرعوا في قطع تلك الوعود والمسالك * وساروا ليلهم اجمع * وبلغ الفجر المطلع * فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * وآذنت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل * وعزم على الرحيل * فقال اصحابه بئس الرأى فعلنا * في قبضة العدو حصلنا * وقد وقعنا في الاشراك * والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم * ثم تركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم * فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان *

وأصطك بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان *
على العساكر بغربهم * ويخال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا *
ركبوا خيولهم وصاحوا * ووضعوا السيوف في أعدائهم * راكبين
أكتافهم من ورائهم * فقتلوا قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا *
ودهم الخطب المدلهم * ولم يعلم أحد البلاء كيف دهم * واتصل
الخبر بالسلطان * وقد خرج التلافي عن حيز الامكان * فهرب الى
بلخ * وقد سلخ من الممالكة اي سلخ * وشرع تيمور في النهب * والغارات
في المسلمين * ثم ضبط الأثقال * وجمع الاموال * ولم رعاع الناس من
والمدائرة * واطاعوه وهم مابين راض وكاره * فاستولى على ممالك
ما وراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * وأخذ في ترتيب
الجنود والعساكر * واستخلاص الحصون والدساكر * وكان نائب
سمرقند وأحد الأركان * شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان
وكاتبه تيمور على أن تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه
على السلطان حسين * فرضي علي شير بذلك * وقاسمه الولايات
والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * نزاد في إكرامه *

وبالغ في احترامه *

ذكر توجهه الى بلخشان * واستنصاره بمن فيها على السلطان

ثم انه ترك على شير بعد ما ركن اليه * ووصل بلخشان فاستقبله ملكاها
وتمثلا بين يديه * واتحفاه بالهدايا والخدم * وامداه
بالجيوش والحشم * فسار وهما معه من بلخشان * قاصدين
بلخ لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان *
فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده في الرهان * فضرب اعناقهم
بمرأى من ابويهم * ولم يرق لهم ولا من عليهم * ثم انه ضعف
حاله * وقل عنه خيله ورجاله * فنزل مستسلما للقضاء والقدر
راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر * فقبض عليه تيمور * وضبط
الامور * ثم رد اميرى بلخشان اليها مكرمين * وتوجه الى سمرقند
ومعه السلطان حسين * وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين * بعد
ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين * ووصل الى سمرقند واتخذها
دار ملكه * وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و
سلكه * ثم انه قتل السلطان * واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من

رية جنكيزخان * وقبيلة جنكيزخان * هم المتفردون باسم الخان

والسلطان * لانهم هم قريش الترك لا يقدر احد ان يتقدم عليهم *

ولا تمكن احد من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم * ولو قدر احد

على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك * فرفع

ميورغا تمش دفعا للمطاعن * وقطعا للسان سنان كل طاعن * وانما

لقب تيمور الامير الكبير * وان كان في امره كل مأمور منهم وامير *

والخان في اسره كالحمار في الطين * وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا

الزمان الى السلاطين * واستمر بعلي شير نائباً في سمرقند وكان

يكرمه * ويستشيره في اموره ويقدمه *

ذكر وثوب توقتاميش خان * سلطان الدشت وتركستان *

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار * لما رأى ما جرى

بين تيمور والسلطان فاودم قلبه بغار * وذلك لعلة النسب والجوار *

وهيأ العسكر الجرار * والجيش الزخار * وتوجه الى مصاف تيمور

من جهة سغناق وانزار * فخرج اليه تيمور من سمرقند * وتلاقيا

باطراف تركستان قريباً من نهر خجند * وهو نهر سيحون * وسمرقند

بين نهري سيحون وجيحون * فتقابلت بين العسكرين سوق المحاربة *
ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة * ولا زالت رحا الحرب
تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * فبينا عسكره قد انفل * وعقد
جنوده انحل * اذا برجل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال
له تيمور وهو في غاية الضرر * يا سيدي السيد جيشي انكسر * فقال له
السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من الحصباء *
وركب فرسه الشهباء * ونفخها في وجه ظلوم المردي * وصرخ
بقوله ياغي قاجدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ الجبلي *
وكان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل الظماء بحوب حوب * فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها * واخذت في المجالدة مع اضدادها و
الانداد ما * ولم يبق في عسكره من جلع ولا قارح * الا وهو يقول ياغي
قاجدي صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقدة ونهمة متعاضدة *
فرجع جيش توقتاميش منهزمين * وولوا على اعقابهم مدبرين *
فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بيد الفتوح كاسات الحتوف *
وغنموا الاموال والمواشي * واسروا اوساط الرؤس والحواشي *

رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند * ثم لذ به السيد بركه * وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه * واختلوا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما * فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل انه كان من اهل المدينة الشريفه * ومنهم من يقول انه من اهل مكة المنيفه * وعلى كل حال فانه كان من اكابر الاعيان * في بلاد ما وراء النهر وخراسان * لاسيما وقد امد تيمور بهذه النجده * وخلصه بهذه الطريقة الصادقة للقضاء والقدر من هذه الشده * وقال له تيمور تمن علي * واحتكم لدي * فقال له يا مولانا الامير * ان اوقاف الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اندخوي في ممالك خراسان * وانا واولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان * واذا اقيم اصل ذلك وخصمه * وعلم قضمه وخصمه * وضبطت اوقافه ومصارف ذلك وصوافه * بما كانت حصتي وحصة اولادي * اقل من هذه القصبة في هذا الوادي * فاقطعني اياها فاقطعه اياها * مع مضافاتها واعمالها وقراها * وهي الى الآن في يد بني اولاده *

وأسباطه وأحفاده *

ذكر علي شير مع تيمور * وما وقع بينهما من المخالفة والشرور *

ثم إن تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة * وانحاز إلى كل منهما طائفة * فاغتاله تيمور وختله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا * وهرول إلى طاعته من الناس كل وجيه ورأس كان في النائي وقفا *

ذكر ما جرى لعيار سمرقند والشطار * مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار *

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون * وهم أنواع فمنهم مصارعون ومثاقفون وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على ممر الزمن * ولكل طائفة منهما رؤوس * وظهور وأعضاد وضروس * وكان تيمور مع أبهته يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان إذا قصد جانباً * أقام له في سمرقند نائباً * فإذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب وخرجوا مع النائب وأظهروا المخالفة * فما يرجع تيمور إلا وقد انفرط نظامه *

وتخبطت اموره وتشوش مقامه * فيحتاج الى تجليل وتمهيل *
وتخريب وتشييد * فيقتل ويعزل * ويعطي ويجزل * ثم يتوجه لتمهيد
مسالكه * وتوطيد ممالكه * فيعودون الى عكرهم * ويؤبون
الى ختلهم ومكرهم * وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق
تيمور ذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة في اغتيالهم * وكف
اذاهم واستيصالهم * فصنع سورا * ودعا اليه الخلائق كبيرا
وصغيرا * وصنف الناس اصنافا * وجعل كل ذي عمل الى عامله
مضافا * وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * وفعل معهم ما فعله
انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * وارصد له في اخذ الاطراف
انصارا * وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * ويكون
ارساله اليهم على قتله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس *
ويسقيهم بيده الكاس * ويخلع عليهم افخر اللباس * واذا انقضت
النوبة من اولئك الدعار الى احد * سقاه كاسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل
وثوب الحيوة فهتكوه * وسكبوا عسجد قالبه في بوطة الفناء فسبكوه *

الى أن أتى على آخرهم * واستولى بذلك قطع دابرهم * ومحا آثارهم وأطفأ نارهم * فصفت له المشارع * وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع * ولم يبق له في ما وراء النهر مانع ولا مدافع *

فصل في تفصيل ممالك سمرقند * وما بين نهري بلخشان وخجند *

فمن ذلك سمرقند وولاياتها * وهي سبعة تومانات واندكان وجهاتها * وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل * وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة * والاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا * وكان ذلك على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيز خان * ورأيت خط سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور * وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم * والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة * ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة * ومن مدن ما وراء النهر مرغينان * وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني

لصاحب الهداية رحمه الله تعالى * وخجند وهي على ساحل سيحون *
وترمذ وهي على ساحل جيحون * ونخشب وهي قرشي المذكورة *
والكش وبخارا واندكان وهي اماكن مشهورة * وغير ذلك ومن الولايات
الخشان * وممالك خوارزم واقليم صغانيان * الى غير ذلك من
الاطراف الواسعة * والاكناف الشاسعة * وفي عرفهم ما وراء
جيحون الى جهة الشرق توران * وما كان في هذا الطرف الى جهة
الغرب ايران * ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد * كانت توران
لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر * بعد استقصائه ممالك ما وراء النهر *

ولما صفت له ممالك ما وراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر *
شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بانامل
الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين
الآفاق * فاول ما صاهر المغول وصافاهم * وزاد نهم وهاداهم *
وتزوج ببنت قمر الدين مليكهم * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم *
وهم جيرانه من جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق *

اذ العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين * والملة وهي التورة الجنكيزخانية منشاؤها في كلتا الدولتين * فامن شرهم * وكفى كيدهم وضرهم *

ذكر تصميمه العزم * وقصده الاطراف والممالك خوارزم *

فحين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك خوارزم * وهم مجاوروه غربا بالشام * ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام * وتخته مدينة جرجان * وهي من اعظم البلدان * وهذه المملكة ذات مدن عظيمه * وولايات جسيمه * تختها مجمع الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقر الظرفاء والشعراء * ومورد الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال * نعمها كثيره * وخيراتها غزيره * ووجوه فضائلها مستنيره * واسم سلطانها حسين صوفي * وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي * ومدن ما وراء النهر وضع بعضها قريب من بعض * لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض * واهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافه * وافضل من اهل سمرقند

فى الحشمة والطراقة * يتعاطون المشاعرة والادب * ولهم
فى فنون الفضل والمحاسن اشياء عجب * خصوصا فى معرفة الموسيقا
والانغام * ويشترك فى ذلك الخاص منهم والعام * ومما هو مشهور
منهم * ان الطفل فى المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك
يكون فى شعبة دوكاه * فاما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين
صوفى غائبا عنها * فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها * ولم يقدر
عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لم اطراف حاشيته *
وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام الحزم * وكر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام *
وجيش طام * وكان سلطانها ايضا غائبا * واقام بجميلة بكرها خاطبا *
فحاصرها * وضاجرها * وشدد على اعناق ممالكها التلابيب *
وكاد ان يتشبث باذيالها منه المخاليب * فخرج اليه رجل من
اعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن
جوربج * والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وان يبذل له

ماطلب * في مقابلة ماتريك من اسير وسلب * وطلب منه حمل مائتي بغل فضه * ترفع الى خزائنه نضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه * حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله * ووزن له ذلك في الحال * واخذ تيمور في الترحال * واخف عن الاذى شياطين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقنده *

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراة * الذي خاصه من الصلب وراود فيه اباه *

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذي كان مغيثه * عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول في ربقة الطاعه * وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * والا قصد دياره * وبلغه دماره * فارسل ملك غياث الدين يقول * صحبة الرسول * اما كنت خادمالي واحسنت اليك * واسبلت ذيل احساني ونعمتي عليك * فخلت وقتلت * وفتكت وفللت * وفعلت فعلتك التي فعلت * وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث

الذي من قوة الوقوف بين يديه * فارسل الى حشمه وسكان قراه *
فاستجلب حواصلهم ومواشيهم حول قراه * وحفر خندقا حول البساتين *
محيطا بالرصلع وضعفة المساكين * وحصر نفسه في القلعة * وحسب
ان يكون له بذلك منعة * وذلك لركاكة رأيه اولا وآخرا وجمود
قريحته * وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته * قطعة * شعر *

من لم يصادف سعده تقلب بره * يخطفه في ثوب بره ثقل ميره *

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن احاطت به العساكر دائرا
مادار * ومكث تيمور في الامن والدعة * وهو في الضيق بعد السعة *
واضطربت الرؤوس والحواشي * وبارت الانعام والمواشي * وغص
البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * واضناهم الشغب *
وعلاهم الصراخ والصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان *
وعلم انه اختنق بسببه * وانه اعانه ولا قبل به * فذكره سابقة
العرفان * وما اسداه اليه من احسان * وطلب منه تاكيد الامان
بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وان لا يراق
له دم ولا يمزق له اديم * فخرج اليه * ودخل عليه * ثم تمثل بين

بلديه * فلما دخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينة *
وصحبته السلطان وقد احاط به جنود هراة والاعوان * فاشار
واحد من ابطال صاحب هراة على السلطان * ان يقتل تيمور ويجعل
نفسه فداه * وقال له ما معناه * انا افدى المسلمين بنفسى ومالى *
واقتل هذا الاعرج ولا ابالى * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء
الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا فى عباده * ولا بد ان ينفذ
فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا مجير عما قدر الله تعالى وقضى

* شعر *

واذا اتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه * وهذا امر
لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة اموره * امن غالب القضاء
غلب * ومن ناهب الزمان سلب * ومن قاوم تيار المقدور يغرق
ومن استلذ بالغفلة فى مشارب اللهو شرق * وذكر فى ذلك الوقت
مقالة ابيه له واطلع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجافى * بالشيخ زين الدين ابى بكر الخوافى *

وكان فى بعض قدماته خراسان سمع ان فى قصبة خواف * رجلا له

منحه الله تعالى الالطاف * عاليا وعاملا * كبيرا فاضلا * في اكرامه
ظاهره وولاياته باهره * وكلمات زاهره * ومقامات طاهره *
ومكاشفات صادقه * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه *
فلما سمع الشيخ زين الدين ابا بكر * طائر اجتهاده في حظيرة القدس مع
اهل ذكر * فقصد تيمور رؤيته * وتوجه اليه وجماعته * فقالوا
للشيخ ان تيمور قادم عليك * وواصل اليك * يقصد رؤيتك *
ويرجو بركتك * فلم يعبأ الشيخ بلفظه * ولا رفع لذلك لحظه *
فوصل تيمور اليه * ونزل عن فرسه ودخل عليه * والشيخ مشغول
بحاله على عادته * جالس في فكرة على سجادته * فلما انتهى اليه *
قام الشيخ فاخذ ركب تيمور منكبا على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره
يديه * وقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة
لخلته انرض * ولقد تصورت ان السماء وقعت على الارض * وانا
بينهما رضضت اشد رض * ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخب * على ركبتي
الادب * وقال له بالملاطفة في المحاورة * على سبيل الاستفهام لا المناظرة *
يا سيدي الشيخ لم لا تامرون ملوككم بالعدل والانصاف * وان لا يجوروا

الى التجوز والاغتصاب * فقال له الشيخ امرناهم وتقدمنا بذلك اليهم * فلم يأتمروا فسلطناك عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبة * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبة * وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراة * واحتاط على ما ملكت يداه * وضبط ولاياتها جانبا جانبا * وقرر لكل جانب نائبا * وتوجه الى سمرقند قافلا بها امكنه * وحبس السلطان في المدينة * واوصد عليه بابها * ووكل بحفظها اصحابها * واضاف اليهم اشداء الحفاظ * الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لحلفه ان لا يريق دمه * وان يحفظ له ذممه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

ذكر عوده الى خراسان * وتخريبه ولايات سجستان *

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح * فالجأهم الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح * واخرجوا اليه ما عندهم من عدة * ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدة * فحلفهم وكتب عليهم قساما بالغة * ان لم يبق عندهم من السلاح فارغة * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم *

فأصابتهم جنود المنايا من بكرة أبيهم ثم خرّب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر * ومحاها فلم يبن لها عين ولا أثر * ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم إلا لأنه أ ولا منهم أصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن أبي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة * أن الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان * بهزيمة أو غيبة أو بنوع لطيفة من الله تعالى المنان * لما تراجعوا إليها * بعد رجوع تيمور عنها * أرادوا أن يجمعوا بها فما صلوا يوم الجمعة وما اهتدوا إليه * حتى أرسلوا إلى كرمان من دلهم عليه *

ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها إليه * وقدوم واليها عليه *

ثم لما أثار بسجستان ما أثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان واليها يدعى حسن الجوري مستقلاً بالإمارة وهو رافضي * فما أمكنه إلا الإطاعه * واستقبله من الهدايا والخدم بما استطاعه * فأقره على ولايته * وزاد في رعايته * فصل * وكان من عادة تيمور ومكره * أنه كان في أول أمره * إذا نزل بأحد مستضيفا استنسبه * وحفظ

اسمه ونسبه * وقال له اذا بلغك اني استوليت * وعلى الممالك استعليت * فأتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره * وفشا في الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالاعلام اليه * وفدت من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار *

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلاً مشهورا * بالمآثر والفضائل مذكورا * فقال تيمور عليّ به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت متشوقا اليه * ومتشوفا لعلم ما لديه * فدعوه له فدخل عليه فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقة * واكرمه وادناه * وقال في جملة فحواه * يا سيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك خراسان واحويها * واني احوزها ادانيها واقاصيها * وماذا افعل حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول *

ومن اين انا ومن الفضول * واني وان قيل لي شريف * رجل عاجز ضعيف * لا طاقة لي بموارد الهلك * ومن انا حتى اتشاوف لمصالح الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم او مازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * وكالجائم في منتطح الكبشين * والخارج عن لغته لحان * وشتان ما بين المأمون والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني من المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * وتكهنت ان برأيك تفتتح المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما فهت لك ببنت شفه * ولا استغنيت عنك استغناء النغمة عن الرفه * وان ذرا مأتي اياسيه * وقضايا ي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها الامير * اتسمع في هذا مقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان يصفو لك المشرب * وتنال الممالك من غير ان تتعب * فعليك بخواجه علي * ابن المؤيد الطوسي * قطب فلك هذه الممالك * ومركز دائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه

نعمة ونعمة * وقال له اذا بلغك اني استويت * وعلى الممالك استقليت *
فأتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره *
وفشا في البلاد خبره وخبره * عرفت الناس بالعلامة اليه * ووفدت
من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويجعله مرتبته *

* ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار *

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد
محمد السربدار له معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدارية
يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل
مذكورا * فقال لتيمور علي به * فانني ما جئت الا بسببه * وقد كنت
متشوقا اليه * ومتشوفا لعلم ما لديه * فدعوه له فدخل عليه
فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقة * واكرمه وادناه *
وقال في جملة نجواه * يا سيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها * وانى احوزها ادانيها واقاصيها * وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال
له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير حقير * من آل الرسول *

من ابن انا ومن ذا الفضول * واني وان قيل لي شريف * رجل عاجز
ضعيف * لا طاقة لي بموارد الملك * ومن انا حتى اتشاوف لمطالع
الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم
او مازجهم * كان كالعائم في مجتمع البحرين * وكالجائم في منتطح
الكبشين * والخارج من لغته لحان * وشتان ما بين المأمون
والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني
من المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * لما تكلفت
ان برايك تعتسف المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما انتصفت
لها ببنت شفة * ولا استغنيت عنك استغناء التنعم عن الرفه * فان
آرائي اساسيه * وقضاياي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها
الامير * اتسمع في هذا مقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك
الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب * وتنال المآرب من غير ان تتعب * فعليك
بخواجه علي * ابن المؤيد الطوسي * تطب لك هذه الممالك * ا
وتوطد اثره هذه المسالك * فاني اقبلت عليك بغالبيه لم يكن بما طبع ا

الا سمعك * وان ولى عنك بوجهه فلن يفيد كثيرة ولن ينفعك * لكن على انه متى كان بين خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صلب وظاهره وباطنه واحد * وان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكل مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان حطوا وان رحل رحلوا * وكان هذا الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلا شيعيا * مواليا عليا * يضرب السكة باسم الاثني عشر اماما * ويخطب باسمائهم وكان شهما هماما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي فان لبي دعوتك * وحضر حضرتك * فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير والاكرام والتكبير * شيأ الا واوصله اياه * فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه * وانزله منزلة الملوك العظام * في التعظيم والتوقير والاحترام * ولا تدع معه شيأ مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك * ثم خرج السيد من عند تيمور * وجهز قاصده الى الخواجه علي المذكور * يقول له انه قلده الله الامور * فان جاءه قاصد فلا يتوقف عن الطاعة * ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة * ويكون منشرح البال * آمنا سطواته في الحال والمال * فاستعد خواجه علي لقدومه

الوارد * وورود القاصد * ومهيأ الخدمات * والتقادم والحمولات *
ومعربا باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار * وخطب باسمهما في
جوامع الامصار * وقعد لامره منجزا * وقام للطلب متوفزا *
واذا بقاصد تيمور جاءه منه بكتاب * فيه من الطف كلام والين خطاب *
يستدعيه مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر * فنهض
من ساعته * ملبيا بلسان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق *
وقدم بامل نجيح وعهد وثيق * فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله
اساورة جنوده * وسر سرورا شديدا * وكأنه استأنف ملكا جديدا *
فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا متكاثرة * وظرائف ملوكية *
وذخائر كسروية * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سابغا *
واسبل على قامة ربابته من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا *
واستمر على ولايته * وزاد في بره وكرامته * فلم يبق في خراسان
امير مدينة * ولا نائب قلعة مكينة * ولا من يشار اليه * الا وقصد
تيمور واقبل عليه * فمن اكابرهم امير محمد حاكم باورد وامير عبد الله
حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق * وبلغت سطوته مازندران

وكيلان وبلاد الري والعراق * وامتلأت منه القلوب والأسماع * وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة قصيرة * وأيام قلائل يسيرة * نحو من سنتين * بعد قتله السلطان حسين *

ذكر مواسلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع *

ولما صفت له بلاد خراسان * وأذعن لطاعته كل قاص ودان * راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد وإرسال الأموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه * إن الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك الأنام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وما داني * وقد رأيت وسمعت * فإن أجبت وأطعت فبها ونعمت * وإلا فاعلم أن في قدمي ثلثة أشياء * الخراب والقحط والوباء * وإثم كل ذلك عائد عليك * ومنسوب إليك * فلم يسع شاه شجاع إلا مهادنته ومهاداته * ومصاهرته ومصافاته * وزوج ابنته بابن تيمور * فلم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المباسطة * بواسطة فساد الواسطة * وتقريب الخطابة وتخريب الماشطة * قلت

بل بيها مضمناً * * شعر *

أذا لتجشم لأمر عز واسطة * فاحذر زدهاه وكن منه على وجل *
* واعلم بان طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دخل *
* فلا تثق منهم يوماً بواسطة * واشرع بنفسك فيه غير متكل *
* فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل *

ومن ثنيان الكلام * في هذا المقام * يخرجنا عن المرام * ولكن تمنعه رياض المحبة زاهرة * وارباض المودة عامرة * وقفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة * واستمروا على ذلك من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلاً عالماً فاضلاً * يقرر الكشاف تقريراً شافياً كاملاً * وله شعر رائق * وادب فائق * فمن شعره العربي على ما قيل * شعر *

* الا ان عهدي في الغرام يطول * واسباب صبري لا تزال تزول *
* اصون هوا ما كلما ذر شارق * ولكن ما بي قد يتم نحول *
* ومن لم يذق صرف الصبابة في الصبا * علمنا يقيناً انه لجهول *

* ومن شعره الفارسي *

* اى بكام عاشقان حشمت جميل * كى كزينم ديكرى بر تو بدل *

* كر زيا ذت تو غافلم عيشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم سبيل *

* هر كجى تدبير كارى ميكند * ما رها كرديم با نعم الوكيل *

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر * وابوه كان من افراد الناس ومن اهل البيوت *

يسكن نواحي يزد وابرقوه * ذا باس شديد يخافه القريب والبعيد

ويرتجوه * وكان قد نبغ بين يزد وشيراز * حرامي من عرب آل خفاجه شيم

على سالكي الطريقة حقيقة المجاز * يدعى جمال لوك * انفر الغني وابادة

الصعلوك * لا يبالي بالرجال قلت او كثرت * ولا يكترث بكواكب النبال اذا

الكواكب على رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * واهلك الحرث والنسل

والله لا يحب الفساد * فكمن له ابو شجاع * فى بعض وهد او بقاع * ثم قابله

مواجهة * وكافحه مشافهة * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه *

فتصل برأسه السلطان * فقدمه على سائر الاعوان * واقطعه اماكن

عنه * وقربه وجعله عدة لكل شدة * وكان له عدة اولاد * واقارب واحفاد *

كل منهم رئيس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه

شجاع * فصار كل منهم ذا كلمة نافذة * ويد مطيعة آخذة * ولم يكن

للسلطان ولد يبقى وراءه في أمور الملك او ينقب * فلما اقبل عليهم
رائد المنية اجابه وولى مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد تمتع
اوتاد محمد بن مظفر * فتقدم في السلطنة ومن نراه تأخر * فصار
في ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاق ونزاع
وتصرف في الممالك كيف شاء * ورددا قول الله جلت قدرته قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء * ومات في حياته ولده شاه مظفر المشهور
وخلف ذلك شاه منصور * ثم جرت بين شاه شجاع وبين ابيه * من النزاع
والشرور ما لا خير فيه * وقبض على ابيه وقهره * وفجعه بكريمتيه
واعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع
البقر * بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر *
وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور * ان لا يجمع بينه وبين تيمور *
فلما ادركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * احضر من له
من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه
لصلبه زين العابدين * شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الوافدين *
واقطع اخاه السلطان احمد ولاية كرمان * واعطى ابن اخيه شاه

يحيى يزد وابن اخيه شاه منصور اصفهان * فامتثل وصيته ذلك
الى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * واشهد على ذلك من حضر
مجمعه * فكان كمن سلم الزمام لابي زوبعه * ولما ادرع الموت ثوب
عمر شاه شجاع * انتشرت بين اقاربه شقة الشقاق والنزاع *
فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز
وفجعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع ابنه
ما فعله ابوه بجده * وحمل هذه القضية مما ورد * والاشتغال بنقضه
وابرامه يخرج عن المقصود * فانغص تيمور وامتعض * وتجرع
الغصص وارتمض * ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثة * الى خوارزم بالعساكر العايثة الغايثة *

ثم ان تيمور رجل ذا الحزم * وصمم العزم على التوجه الى خوارزم *
وتوجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد * وكان
سلطانها يومئذ غائبا * فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا * فخرج
اليه بعض المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه *
وقال له يا مولانا الامير * كلنا عندك اسير * ولكن سلطاننا غائب *

واذا اقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلا بد
ان يقع بينهما شنآن * واذا كان الامر كذا * فربما يصل اليه منه اذى *
فيكون ذلك مسببا لمزيد العداوة * ويزداد بينكما الجفا والقساوة *
فيفيض حنقك على المسلمين * ويقع فساد واقعة لا يحب المفسدين *
فيجب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي
جانب منك وجانبك * ورأيك اعلى * واتباع مرسومك اولى * فسمع
تيمور كلامه * وقبل قوله وقوض للرحيل خيامه * وكان لحسن
المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكأنه فتك بحظية من حظايا
السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذفره في انف الزمان *
فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسن * وقال ان لي على السلطان مننا
واي منن * حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار * وبذلت في ذلك
مالي ورجالي ثلاث مرار * فلا بد ان يقابل منه المنائحة * بالعفو عن
جريمة ولدي والمسامحة * فلما آب السلطان من سفره * واطلع
على حقيقة الامر وخبره * قبض على حسن وولده وقتلهما * والقاهما بين
يدي اسد قهره فاكلهما * وخرب ديارهما * ونقل الى خزائنه

نضارتها وذوي آثارها * ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي * وولي بعده
ولده يوسف صوفي * وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم * وناصرهم
على مخالفيهم وظاهرهم * وزوج ابنه الذي يدعى جهانكير * عقيلة
حرمهم نباتا قيل زكيبو * فتواصل خطبهم * ووجه مستنير * احسن من
شيرين واظرف من ولادة * ولكونها من بنات الملوك تدعى خانزاده
فولدت له محمد سلطان * وكان في نجابته واقباله ما طمح اليه الاذهان *
فلما شاهد تيمور في شمائله مخايل السعادة * وقد فاق في النجابة
اولاده واحفاده * اقبل دون الكل عليه * وعهد مع وجود اعمامه
اليه * لكن ما بدا الله من ذلك المظنون * فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم * وسيأتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعة * الى خوارزم مرة رابعة *

فلما سمع تيمور * ما جرى على حسين من الشرور * تحقق رشده لازم *
ووجه ركائب الغضب الى خوارزم * واخذها وقتل سلطانها *
وهدم اركانها وخرب بنيانها * وولى على ما بقي منها نائبا من عنده
ونقل جميع ما امكنه نقله منها * الى ممالك سمرقند * وتا

خوارزم عذاب * كما أن تاريخ خراب دمشق خراب *
٨٠٣ ٧٧٣

ذكر ما كان ذلك الجان * راسل به شاه ولي أمير ممالك مازندران *

ثم إنه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي أمير ممالك مازندران *
وكاتب الأمراء المستقلين بذلك المكان * فمنهم إسكندر الجلابي *
وارشيوند وابراهيم القمي * واستدعاهم الى حضرته * كما هو
جاري عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر *
وتأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه وخشن
له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق * وما وقع
في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق *

ثم أرسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والي
السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان *
يخبرهما بصورة خطابه * وصورة جوابه * ثم قال أنا ثغركما * وإن
انتظم أمري انتظم أمركما * وإن تزلزل بي منه بائقة * فانها بممالككما
لاحقة * فإن ساعدتماني بنجدة * كفيتكما من النكد * وإلا فتصيران

كما قيل * شعر

* من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته *

فاما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه * وما دن تيمور كلفو كونها داء *
واما السلطان احمد فاجاب بجواب مهمل * وقال هذا الاشل الاعرج
الجغتائي ما عساه ان يفعل * ومن اين ومن اين * للاعرج الجغتائي
ان يطأ العراقين * وان بينه وبين هذه البلاد * لخرط القتاد * ولكم بين
مكان ومكان * فلا يخل العراق كخراسان * ولئن عقدت على التوجه
الى ديارنا نيته * لتحلن به منيته * ولترحلن عنه امنيته * فانا
قوم لنا البأس والشدة * والعدة والعدة * والدولة والنجدة * ولنا يصلح
التشامخ والتابي * حتى كانما قال فيهم المتنبي * نحن قوم ملجن في زي ناس *
فوق طير لها شخوص الجمال * فلما علم ذلك منهم شاه ولي *
وايقن ان كلا منهما عن التجوه متخلي * قال لهما اما انا فوالله لاواقفنه *
بعزم صادق ونفس مطمئنة * فلئن ظفرت به لاتذكرن بكما في الامصار *
ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * وان ظفر بي فلاهلي ما يصل اليكما *
فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما * ثم استعد للقائه *

مستسلم لقضاء الله تعالى وقضائه * ولما تراءى الجمعان * واتصلت لهما شقة بالضرب والطعان * ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من شره وبره * ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رآه من كره وفره * وتبع السنة في الفرار مما لا يطاق * وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى العراق * وكان بها امير مستقل يدعى محمد جوكار * متصرفا بحكومته في تلك القرى والامصار * وكان كريما شجاعا * ومليكا مطاعا * ومع ذلك فانه دارى تيمور * وراعى منه بعض الامور * وخاف سطوته وباسه * فقتل شاه ولي وارسل الى تيمور راسه *

ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني * من الوقائع مع ذلك الجاني *

وكان في بعض ولايات مازندران * رجل يسمى ابا بكر من قرية تدعى شاسمان * وكان في الحروب * كالاسد الغضوب * وكان يعد بآباد وابار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى في السجال * لا تثبت له الرجال * واذا وضع العمامة * اقام فيهم القيامة * ولا زال يكمن بين الروابي والجبال * ويجندل الجنود والابطال * حتى صارت تضرب به الامثال * وترعد منه الفرائص ولو في طيفه

الخيال * فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذ اطلق عليه اوسقاه * فتأخر عن الماء او جفل من المخلاة * كأن ابا بكر الشاسباني في الماء او بين العليق تراه * وقيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة استيلائه * مع كثرة حروبه ومصادماته وابلائه * الا من ثلثة انفار * اضروا به وبعساكره غاية الاضرار * واوردوا كثيرا منهم موارد النار * احدهم ابو بكر الشاسباني * وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة التركماني * فاما ابو بكر فذكروا انه في بعض مضايق مازندران * تغلب عليه الجغتاى من كل مكان * وسدوا عليه وجه المخلص * وشدوا حبل المقنص * فالجأوه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية اذرع ما بين الجرف الى الجرف * كأن قعرة جب النقير * او وادي في قعر السعير * فنزل ابو بكر عن جواده الضمر * وطفر وطمر من احد الجرفين الى الآخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم ضرا * ونجا كما نجا تأبط شرا * ثم اتصل بحاشيته واباد هم * ونقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما ادري بامره الى ما ذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * واما سيدي علي الكردي

فانه كان أميرا فى بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * والرجال

جبر المرد * فى جبال عاصيه * واماكن وعرة متقاصيه * فكان يخرج

هو وجماعته * ومن شملته طاعته * ويتركون على فم المضائق * من موبه

واثق * ثم يشن على عساكر تيمور الغارات * ويديرون فيهم للمسلمين

الثارات * ويقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع

الى اوكاره * بما قضى من اوطاره * ولم يزل على ذلك البيات فى حيوة

تيمور وبعد ان مات * الى ان ادركته الوفاة ففات * واما امة

التركمانى فانه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما

على قلب تيمور اى داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين اميران

شاه وعساكر الجغتاى لا تزال * وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى *

وجانبا فات الاستقصا * الى ان غدر واحد من المنتسبين اليهم * فطلب

غرتهم ودل عسكر اميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * واراقوا

من دمهم سيلا * فاستشهد الثلثة فى سبيل الله * رحمهم الله *

* قلت * * شعر *

* واصعب فتنة لشميت الاعداء * واتكى منه تحليل الموالى *

* وقيل شعر *

* وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

* وقيل شعر *

* اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فماذا الذي ابقيتم للاباعد *

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم * وخوض شاه منصور غمار ذلك
الغمر الخضم *

ولما توفي شاه شجاع * ووقع بين اهله كما مرّ نزاع * واستقر امر عراق
العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور *
وكان شاه شجاع قد اوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر
ووكل امره اليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن
عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستمد شاه منصور
اقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد مجاذبه ومجانبه * واقام كل
منهم يحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * وتحول الى فارس كاملي العدة *
بعد ان حصن المدينة * وحوطها بالائمة المكينة * ورتب خيلها
ورجلها * وحرض على التصبر والتربص اهلها * فقال له اكابر اعيانها *

والروس من سكانها * كأتابك في المنشم * ومدا الحرب ذات التحم *
وقد منعناه من الوصول اليها * ودافعناه عن الهجوم علينا * وربما جهز لنا
له رجالا * وابطالا من عسكره ابطالا * ثم بماذا تصنع انت يا لقى
راكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * وربما يحل عقدك * او يفل
حدك * فلا ترى لنفسك في الهيجاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتتركنا
لحما على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم * ولا ينفعنا بعد تأكيد
العداوة الندم * ولا يجبر منا ذاك من ذا الكسر * الا بالقتل والنهب
والاسر * فوضع يده على دبوسه شاه منصور * وقال من الالف في الكاف
السادسة من ام من يفر من تيمور * اما انا فاقاتل وجندي *
فان خذلني جندي قاتلت وحدي * وبذلت في ذلك جدي وجهدي *
وعانيت عليه كدي وكدي * فان نصرت نلت قصدي * وان قتلت فلا
علي ممن جفى بعدي * وكأنني انا كنت المخاطب * والخاطر في خاطر

الشاعر * حين قال

* اذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا *

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * واراد بذلك حفظ مدنه

يضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها * وأفلاذ كبدها وأولادها * وقال ان هذا عدو ثقيل * وهو وان كان خارجيا فهو في بلاد لا دخيل * فالرأي اني لا انحصر معه في مكان * ولا اقاتله بضراب او طعان * بل انتقل في الجوانب * واسلط انا وزعاياي عليه من كل جانب * فنصفع اكتافهم * ونقطع اطرافهم * ونواثبه بالنهار ونراقبه بالليل * ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل * وكلما وجدنا منه غرة * كسرنا منه القفا والغرة * فتارة ننطحه * واخرى نرمحه * وكرة نخدجه ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه الرجوع * فتشتد عليه المضائق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * غير ان القصد منكم بالاحراز * وبالنور القماز * ونحو النفار * ان تحتفظوا بضبط الاسوار * ولا تغفلوا عنها آناء الليل واطراف النهار * فاني وان بعدت عنكم لا بد نواجد منى منكم * وان حاضر وكم يكفكم كفايه * واستودعكم الله وهو نعم الوقاية * وغاية ما تكونون في مدة اليوما * مقدارما واعد الله تعالى لنبيه موسى * ولله هذا الرأي ما كان امتنه * ورجه من القصد ما كان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

ذكر عجيبة تصلبت فحلت ونقضت * ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت *

فبينما هو عند باب المدينة جائز * نظرته سعلاة من مشوهات العجائز * فسبته بالملام * وآذته بالكلام * ونادت بلسان الأعجام * انظروا الى هذا التركمان الحرام * رعى اموالنا * وتحكم في دمائنا * وفارقنا احوج ما نحن اليه في مخاليب اعدائنا * جعل الله حمل السلاح عليه حراما * ولا انجح له قصدا ولا اسعف له مراما * فنفث حية زبادة * وجرحت فؤاده * وتاججت نيران غضبه * واحرق اكناف تدبره شواظ لهبه * وثارت نفسه الابية * واخذته حمية الجاهلية * حتى ذهب لبه ذلك الرجل الحازم * وغاظه فامضى وهو لغلطه ملازم * فثنى عنان عزمه * وركز سنان لازمه * واقسم لا يبرح عن المقاومة * ولا يرجع في مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمة * ويجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء * ثم قابل * ورتب ابطاله وقاتل * وكان في عسكر شاه منصور * امير خراساني مباطن لتيمور * يدعى محمد بن زين الدين * من الفجرة

المعتدين * وجل العساكر كان معه * فما رأى تيمور أكثر الجند تبعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فروا حين منهم من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور * فلم تزل نيران الهيجاء تلتظي * وزناد الحرب تورى اذ تنقدح * وشرار السهام تتطاير * وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف فتتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر للهزيمة جند النهار الذيل * فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكرة في مكره *

ذكر ما نقل عن شاه منصور * مما اوقع بعسكر تيمور * من الحرب والويل * تحت جنح الليل *

فعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمح من دهر رمح * وأرمح من عصر جمح * واتى بها عسكر العدو * وقد اخذ الليل في الهدو * ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس * ملفوفة في قطعة بلاس * وشد ما شده احكم وثاقها * وصوب رأسها نحو العدو وساقها * فجالت الفرس في العسكر واضطربت * واختبط الناس واحتربت وانسابت جداول السيوف في بطون تلك الثغور وانسربت * حتى كان الساعة

اقتربت * او السماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم اهتزت وربت * وشاه منصور واقف حواليهم * كالبازي المطل عليهم * يقتل من شك * ويبيد من نك * وصاروا كما قيل

* شعر *

* الليل داج والكباش تنتطح * نطاح حيل ما اراها تصطلح *

* فقائم وقاعد ومنبطح * فمن نجا براسه فقد ربح *

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشرة آلاف نفس * فلما قوض الليل خيامه * ورفع النهار اعلامه * علموا البلاء كيف دهاهم * وليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاه منصور اصبح وقد قل ناصره * وقلوا وازره * فانتخب من جماعته نيفة * نحو ا من خمس مائة * فجعل يصول بهم صولة الاسد * ويخوض بهم غمار الموت فلا يلوي اماهم احد على احد * ويميل يسرة ويمنة وينتسب ويصيح انا شاه منصور الصابر المحتسب * فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة * وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النساء * واختفى بينهن وغطي بكساء * فبادرنه وقلن نحن حرم * واشرن

الى طائفة من العسكر المصطدم * وقلبي هناك بغيتك * وبين اولئك طلبتك * فأتوا راجعا * وتركهن مغادرا * وقصد حيث اشرن اليه * وقد احاطت به جموع العساكر وحققت عليه * قلت بديها

* شعر *

* وما جزا اعناق الرجال سوى القنا * واى بلاء مالقيت به ابلاء *

* وكم نار شر احرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها اصلا *

وكان على فرس فاقتحم صالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا * وفرسها السبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكدم من يقرب منها في تلك المعمعة * وكأنه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب

* شعر *

* يد الله قوتني فغلبت يداهم * وهل ذي يدي فيهم بسيفين تضرب *

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال * افترقت امامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من اهل الشمال * ولكن * شعر *

* اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجني عليه اجتهاده *

حتى انهكته الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت

أبطاله * وثبات خيله ورجاله * وتغيرت من كل جهة أحواله * ويبست

طرائقه * وتقطعت مضايقه * وخرست شقاشقه * وضويقت مبالقه *

وخمدت بوارقه * وقمعت بيارقه * وحصّ نجاحه وقصّ جناحه *

وخفّ مزاحه * وأثقلته جراحه * وسكنت همهمته * وسكتت

غمغمته * فانفرد عن أصحابه * وقد آذاه الجراح وأودى به *

ولم يبق معه في ذلك المضمر * سوى نفرين أحدهما يدعى توكل والآخر

مهتر فخر * وأخذه الدهش * وغلب عليه العطش * ونشف الوهج

والوهج كبده * وطلب شربة ماء فما وجده * ولو وجد ما يبل به ريقه *

لما قدر أحد أن يقطع عليه طريقه * فرأى الأولى * طرح نفسه بين

القتلى * فانطرح بينهم بنفسه * ورمى أهبته وسيب فرسه * وقتل توكل

ونجا فخر الدين * وبه من الجراح نحو من سبعين * وعمر بعد ذلك

حتى بلغ تسعين * وكان من الأبطال والمصارعين * فتراجع جيش

تيمور وتصام * وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام * وذلك بعد أن

قتل منهم ما لا يعد * وأفنى ليلاً ونهاراً ما لا يحصى ولا يحد * وطفق

تيمور في القلق * والضجر والأرق * لفقد شاه منصور * وعدم الوقوف

على حالِ ذلك الاسد الهصور * أمرني الأحياء فيخشى فكره * ام انتقل الى دار الفناء فيأمن مكره * فأمر بتفتيش الجرحى * والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب * ويغمد حسام الضياء من الظلام في قراب * فعند ما ضم دينارُ البيضاء تحت ذيل ملاءة الضياء * ومن نساج القدرة في جو الفضاء سدا * والليل اذا سجى * ونثر على سطح هذا الاديم الينا * دراهم كواكبه الزهراء * واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجغتاي على شاه منصور وبه ادنى رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان * بل الشيطان الخوان * وناداه الامان الامان * انا شاه منصور * فاكتم عني هذه الامور * وخذ مني هذه الجواهر * وخافت في قضيتي ولا تجاهر * كأني لا رأيتك ولا رأيتني * ولا عرفتك ولا عرفتني * وان اخفيت مكاني * ونقلتني الى اخواني واعواني * كنت كمن اعتقني بعد ما اشتراني * ومن بعد ما اماتني احياني * وكنت ترى مكافاتي * وتغنم مصافاتي * ثم اخرج له من الجواهر * ما يكفيه وذريته الى يوم الآخر * فكان في قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما تم

أن وثب على شاه منصور * وحز رأسه وأتى به الى تيمور * وحكى له ماجرى بتنجيز المشترى فما صدقه * ولا في كلامه استوثقه * بل أخرج من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامة * كانت على وجهه علامة * فلما علم أنه شاه منصور بعينه * وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه * تحنق وتحيف * وتحرق لقتل شاه منصور وتأسف * ثم سأل ذلك الرجل عن محتده * وعن والده وولده * وعن قبيلته وذويه * ومخدومه ومربيه * فلما استوضح أخباره * علم نجاره ووجاره * أرسل موسومه الى متولي تلك الدارة * فقتل أهله وأولاده * وأعوانه وأنصاره * وآله وأحفاده * وأختانه وأصهاره * وقتله شر قتلة ومحا آثاره * وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره * ثم أرسل الى أطراف ممالكه مطالعات * يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات * وما شاهده من وثبات شاه منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب وضرباته * وما حصل في واقعة القتال على الحد بذي نصف مرسلاته * وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء في فتح حجراته * بعبارات هائلة * وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة جائلة * ومنه المطالعات

تقرأ في المحافل والمشاهد * وتتلى في المصادر والموارد * يتحفظها ذووا الآداب * ويعتني بحفظها الكتاب والصبيان في الكتاب * رأيت في أخبار بعض المتقنين * أنه في شوال سنة خمس وتسعين * ورد رسول صاحب بسطام * يؤذن سلطان مصر بالإعلام * أن تيمور قتل شاه منصور * وأنه تولى على شيراز وسائر البلاد * وأرسل رأسه إلى حاكم بغداد * وأمره بالطاعة * هو ومن معه من الجماعة * وأرسل إليه خلعة * وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعة * فلبس خلعته وائتمر * ممتثلا كلما به أمر * وأنه علق راس شاه منصور * بعدما طافوا به على السور * وما أظن لذلك صحة

ذكر ما وقع من الأمور والشرور * بعد واقعة شاه منصور *

فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم * وراسل من داناه من أقارب شاه شجاع وملوك الأمم * واستمال الخواطر واصطاد البادي والحاضر * ورحل فجاز * مدينة شيراز * وضبط أموالها * وقرر فيها خيلها ورجالها * ونادى بالأمان * للقاصي والداني * فأجاب دعوته ملوك البلاد * ولم يسعهم معه إلا الإطاعة

والانقياد * فوصل اليه سلطان احمد من كرمان * وشاه يحيى من يزد وعصى سلطان ابو اسحق بن شبرجان * فانعم وخلع على من أطاعه وانقاد * ولم يتعرض لأحد من العباد * ولم يشق بينه وبين مخالفيه العصا * وأكرم من أطاعه ليوقع بذلك من عصى * وطرح على شيراز وسائر البلدان بالأمان * وأقام في كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان * واحسن الى زين العابدين الذي هو وصيه من أبيه * ووظف له من الجوامك والادرارات ما يكفيه ويرويه *

ذكر ما صنع الزمان * عند حلوله باصبهان *

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من أكبر البلدان * مملوءة بالأماثل * محشوة بالأفاضل * وبها شخص من علماء الاسلام * والسادة الأعلام * قد بلغ في العلم الغاية * وفي العمل والاجتهاد النهاية * أنفاسه مبرورة * وكراماته مشهورة * ومآثره مذكورة * وسمات ملكه على جبهة الأيام مسطورة * وهو معتقد المسلمين * والأئمة أعلام الدين * وكان أهل اصبهان قد ركنوا

له رأيتموه * ثم يعتذرون من شرة أي حدة ونزق * فيقول لهم ما دمت بينكم
حيا * ما يضركم كيد شيئا * فإن وافاني الأجل * فكونوا من أخذه
على وجل * اتفق أنه في وصول تيمور * توفي الشيخ المذكور * فأصبحت
اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد أن كانت نورا على نور * فتضاعفت
حسرتهم * وترادفت كسرتهم * فوقعوا في الحيرة * وصاروا كأبي
هريرة * رضي الله عنه حيث يقول

* للناس هم ولي في اليوم همان * فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان *

* فخرجوا إليه وصالحوه على تحمل أموال * فأرسل إليهم لاستخلاصها
الرجال * فوزعوها على الجهات * وفرضوها على الحارات والمحلات *
وتفرق فيهم المستخلصون * فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون * واستطالوا
عليهم فجعلوهم كالخدم * وتوصلوا إلى أن مدوا أيديهم إلى الحرم *
فانتكوا منهم أي نكاية * فرفع أهل اصبهان إلى رئيسهم الشكاية *
وكثرت منهم الشكية * وهم قوم لهم حمية * فقالوا الموت على عزة
للنفس * خير من الحياة مع مذلة الاستطالة * فقال لهم رئيسهم إذا أقبل
المساء * فإني أضرب الطبل لكن لا تبيت كماهي * فإذا سمعتم الطبل قد دق *

لا تقولون قد حق * فليقبض كل منكم على نزيله * وليحكم منكم بسميين رأيه
وعزيله * فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس * والامر المنكوس في الطالع
المنحوس * وقصروا ايدي انظارهم السقيمه * عن قصارى هذه الامور
الوخيمه * ولما تعرف العنان من ثوب نوره * وابدل الجو قامه
بسموره * ومضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فحل
بالمستخلصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحواً من ستة آلاف * فاصبحوا
وقد غرسوا في دوح العصيان اغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم
الحور بعد الكور * وبان لهم البور فاصبحوا بوراً بهذا البور * ولما سل
الفجر حسامه * وحسر النهار لثامه * بلغ تيمور ذلك الصنع المشئوم *
فنفخ الشيطان منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * واستل عضب
غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجه الى المدينة مزمجرا * مضراع *
متكلما متأسفا متنمرا * فوصل اليها * واخنى عليها وامر بالدماء ان
تسفك * وبالحرمات ان تهتك * وبالارواح ان تسلب * وبالاموال
ان تنهب * وبالعمران ان تخرب * وبالزروع ان تحرق *
وبالضروع ان تخرق * وبالاطفال ان تطرح * وبالاجساد

ان تخوج * وبالاحرام ان تثلم * وبالقم ان تصلم ولا تسلم *
وان يطوي بساط الرحمة * وينشر مسح النقمة * فلا يرحم كبير لكبره *
ولا صغير لصغره * ولا يوقر عالم لعلمه * ولا ذو ادب لفضله وحلمه * ولا شريف
لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته
وقربته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمي لذمامه * ولا ضعيف لضعفه *
ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على احد *
ممن هو داخل البلد * واما اهل المدينة فعلموا انه ليس للجدال
مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وان قبول الاعذار محال *
وانه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم
في تلك الساعة * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة * فتحصنوا بحصون
الاصطبار * وتدرعوا دروع الاعتبار * وتلقوا سهام القضاء
من حنايا المنايا بمجن تسليم المراد * واستقبلوا ضربات الشفار
من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد * فاطلق في ميادين
رقابهم عنان الحسام البتار * وجعل مقابرهم بطون الطير والسباع
وحواصل الاطيار * ولازالت عواصف الفناء تحتهم من اشجار الوجود

حتى * حصروا عدد القتلى فكان نحو سبعة آلاف من أمة يونس بن متى *
فاستغاث بعض الصلحاء * بواحد من رؤس الامراء * وقال التقية
في البقية * والرعاية في الرعية * فقال ذلك الامير للسائل الفقير *
اجمعوا بعض الاطفال هنا بعض القتل * فلعل ان يلين قلبه عند
رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به امر * ووضعوا شرذمة
من الاطفال منه على الممر * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور روا خلفه
على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم *
فقال ما هؤلاء * الفقراء الاشقياء * فقال اطفال معصومون *
وامة مرحومون مرجومون * استحروا لقتل بوالديهم * وحل غضب
مولانا الامير على اكابرهم وذويهم * وهم يسترحمون بعواطفك الملوكية
وصغرهم * ويستشفعون اليك بذلتهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم * لن ترحم ذلهم * وتبقي على من بقي لهم * فلم يخرجوا باء
ولا ابن عن خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهر انه بصر بهم
ولا نظر اليهم * ومالت معه تلك الجنود والعساكر * حتى اتى منهم
على الاول والآخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ودقة تحت اقدامهم

اولئك * ثم جمع الاموال * وأوسق الاحمال * ومال راجعا الى سمرقند بما قد نال * وكم بين ملء الامور والقضايا * من دواه وبلايا * واخبار وحكايات وتجهيز سرايا * وتولية وعزل * وابراز هزل في صورة جد وجد في صورة هزل * وبناء وهد * وصد ورد * وتعمير عامر وتخريب عامر * وتهاون وتعاز * وانحراف وتواز * ومباحثات مع علماء * ومناظرات مع كبراء * ورفع وضعاء * ووضع شرفاء * وتمهيد قواعد * وتقريب اباعد * وتبعيد اداني * وبروز مراسيم الى كل قاص ودانى * الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر * ولا يضبط بديوان ولا دفتر *

ذكر ضبطه طرف المغل والجتا * وما صدر منه في تلك الاماكن واتى *

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير * مع سيف الدين الامير * الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته * وتنفذ فيه كلمته * وهو وراء سيحون شرقا سوا * آخذا في نحو ممالك المغل والجتا والخطا * نحوا من مسيرة شهر * عن ممالك ما وراء النهر * فمهدوا هنالك الوهاد والبقاع * وبنوا فيه جملة من القلاع * واقصاها بلد يسمى اشپاره * فمنوا فيه حصنا حصينا معدا للنهب

والغارة * وخطب من بنات الملوك ملكتين اخوتين * وكانت الاولى تدعى
الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى * فاجابهم ملكهم الى ما سأل *
واناب الى ما طلبه منه بالطاعة وبذل * وارتجت منه اقاليم المغل
والخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك * في كل طرف وبتك * من بلاد
الاسلام وسطا * وكان السفير في ذلك الله داد اخا سيف الدين المذكور *
وهو الذي استخلص اموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور * وامر
تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها
جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب * وسماها شاه رخية * وهي
في اماكن رخيه * وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * ووسم
هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج
مع بعض حاشيته * وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل *
وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل * فرمى على خصمه شاه رخا *
فبلي خصمه بذلك وارتج * وبينما خصمه قد وقع في الاين *
اذا بمبشرين جاءا مخبرين * احدهما يبشره بولد * والاخر يبشره
بتمام عمارة البلد * فسماهما بهذين الاسمين *

و وضعها بين البوتقتين *

ذكر عود ذلك الافعوان * الى ممالك فارس وخراسان * وفتكه بملوك عراق العجم * واستصفائه تلك الولايات والامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان * الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء * وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * ما بين دعوته * حاذرين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلموه الانجاد والاغوار * والاطواد والقفار * والقرى ومكانها * والمدن وقطانها * والقلاع العاصية * وربطوا بكف امره كل ناصية * ممتثلي اوامره * مجتنبي زواجره * حائدين عن نطاق عبوديته بانامل الاخلاص * تابعي رايات مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص * فمنهم من دخل كرها من المطيعين * ومنهم من كانوا في الشواهق متمنعين منيعين * ومن جملتهم اسكندر الجلابي احد ملوك مازندران * وارشيوند الفارسكوهي وذلك الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية القلال * وابراهيم القمي صاحب النجدة * والمعد لكل شدة * واطاعه السلطان

ابو اسحق بن شيرجان * فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر
نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن اخي سلطان * كلهم في ممالكهم
ملك مطاع * مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع * وشاه يحيى ابن
اخي شاه شجاع سوى ملوك مازندران * وسوى ارشيوند ووالي اهيم
وملوك خراسان * ولما ملك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه في الطاعة
وعمل على ذلك الطرز * خلف ببلدة شيرجان نائبا يقال له كودرز *
فاتفق في بعض الايام * انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام *
فكانوا عنده * في خيمة له وهو بينهم وحده * فاشار واحد منهم الى شاه يحيى
وقال امكنت الفرصه * ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه * فاجابه
بعض وامتنع بعض * وقال لمن رضي بذلك من لم يرض * ان لم
تكفوا * وعن هذا المقال تعفوا * اخبرته بهذه المقاله * واطلعته على هذه
الحاله * فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر الرصين * لاختلافهم
ولا يزالون مختلفين * وكانه طالع احوالهم وتفرس اقوالهم *
فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم * ثم مكث اياما * وجلس للناس جلوسا
عاما * وقد لبس ثيابا حمرا * ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرا *

ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا * ثم لما ابادهم * وضبط بلادهم * وجمع
طريفهم وتلادهم * وقتل اولادهم واحفادهم * واقام في ممالكهم
اولاده * وامراءه واحفاده واسباطه واجناده * وسبب قتله هؤلاء الملوك
وفتكه * وتمزيقه ستر حيوتهم وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو
عن الملوك الاكابر * ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي
ممالك واسعة * اطرافها شاسعة * مدنها وافرة * وقراها متكاثرة *
واوتاد اوتادها راسخة * وعرانين اطوادها شامخة * وتحت رايات
قلاعها ناشزة * ومضمرات مكامنها ومعادنها غير بارزة * وكواسر
اكاسرها كاسرة * ونواشز جوارحها للظهور ناشرة * ونحور دعائمها
طاهرة * وبحور شطارها طافرة * وثعابين ابطالها في جداول الجدال
ظاهرة * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهرة * فنظر تيمور بعين
بصيرته * في زنبيلة تامله ومرآة فكرته * فرأى انه لا يترك له ورد عارضها
من شوكة معارض * ولا يصفو ورد ثغور نابضها من شارب معارض *
ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم * ولا ينبت له في بستان
ممالكها غراس منعم * وكان قصده ابقاء مبانيها * واجراء اموره

على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته
في بسيط ارضها * وتوثق انها راوا امره في ضوابط مماليكها طولها
وعرضها * الا بقلع علائق الاسباب اكابرها * وكسر قوادم اخشاب
احساب اكاسرها * فسعى في استيصال فروعهم واصولهم * واجتهد
في اهلاك حرثهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم بزرة نطفة في ارض
رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها * وقيل
انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكان مجلس نشاط * ومقام
انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم
القضاء بافساد بنيتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه
وهو في حالة الشطح * وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج العقل
منها فوق السطح * اول من ينازع اولادك المشائيم * انا وارشيوند
وابراهيم * فان نجا من مخالبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب
ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البند * فانه لا مخرج
له من شراك ارشيوند * وكان ارشيوند وابراهيم غائبين * فلم
يتعرض تيمور لاسكندر بغدر وشين * واراد بالابقاء عليه * وقوعه

مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر ليم على ما قال * فقال لا مفر من قضاء الله ولا محال * ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشيونك والقاه في النار عات فصار نبا * وهتك حريم عمر وا ذجرعه اول الرعف واقرأه اخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم يرله اثر * ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه * طويل القامة اذا مشى بين الناس كانه علامه * حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد * كان نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم القمي استمر على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ابادة الملوك وابناءهم المهالك * فصل * ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان * وقيل ان محمد ومي شاه منصور موجود الى الان * وكان هذا الكلام * فاشيا في الخاص والعام * فكان كودرز يتوقع ظهوره * ويرجى على ذلك اموره وشهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم يبلغ له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان * واضاف اليهم عساكر سجستان * وذلك بعد ان شملها العمران *

وكان نائبها يدعى شاه ابا الفتح فحاصروه نحوا من عشرين *
وهم ما بين طامعين عقار عليها مغيرين * ومن بكر لا تفتح لطالبها بابا *
وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا * وكان تيمور ولّى كرمان * شخصا
يدعى ايدكو من اخوان السلطان * فكان هو المشار اليه * ومن العسكر
هو المعول عليه * ولما تحقق كودرز من شاه منصور رفاقه * وجد لعدم
الانصار وعجز الانتصار وفاقه * وكان ابو الفتح يراسله كل ساعة *
ويتكفل له عند تيمور بالشفاعة * اذعن للصلح * واستعمل لذلك
ابا الفتح * ونزل متراميا عليهم * وسلم الحصن اليهم * فحنق ايدكو
عليه * لكون عقد الصلح لم ينحل بيديه * فقتله من ساعته *
ولم يلتفت الى ابي الفتح وشفاعته * فاخبر تيمور بذلك * وكان
في بعض الممالك * فغضب عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

* فصل * فيما يحكى عن ايدكو متولي كرمان انه كان بها
للسلطان احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران * احدهما يدعى
سلطان مهدي والآخر سليمان خان * وكان سليمان خان في غاية
الحسن واللطافة * حاويا معاني الملاحة والظرافة * معتنيا بالكمال *

مؤتمى بالدلال * الفاظه رائقة * واللحاظة راشقه * والارواح اليه تائقة * وارباب الالباب له عاشقة * حركاته في القلوب ساكنه * ولفتاته للخلق فاتنه * كما قيل * شعر *

* نسيم صبير في غلالة ماء * وتمثال نور في اديم هواء *

وعمره اذ ذاك ستة اعوام * ولكن مفتتن به الخاص والعام * فعزم ابن كوطي اتلافهما * والحاقهما باسلافهما * ولم يكتف من تلك الدرة بانها صارت يتيمه * ولا رق لامهما التي خربت ديارها لكونهما مخدرة كريمه * ولم يكن له مدافع * ولا عنهما مانع * وطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه * فلم تطب نفس احد ان تمتد يده بمكروه اليه * ومضى على ذلك مدة * والخلق بسبب هذه القضية في ضيق وشدة * حتى وجد واحد اسود * كأنه للبلاء مرصد * وكأن الشياطين له موكب * والعفاريت له جنود وحفدة * وثوب ليل القهر من سواده انتهب * واهل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج * يستنزل عند صلصلة صوته خوار الثيران * ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان * قلت

* شعر *

* وربانية النيران تكره وجهه * ومن تراه تستعيذ جهنم *

قد نزع الله من قلبه المرحمه * وجبل فؤاده على المأثمة * فازعجوه

في ان يخنقها * ويقتلها * وكانت عين سليمان خان رملا *

وقد سكن في حجر دايته وتهدا * فدخل عليه ذلك الظالم

من ساعته * واغتاله وهو راقد في حجر دايته * فضربه في جنبه

بخنجر * انفذه من الجنب الآخر * فارتفع الضجيج والولوله * ووقع

الهجيج في الناس والزلزله * وعم المأتم امه الواليه وأهلها * وطفق

الناس يبكون عليها ولها * والظاهر ان هذه الامور * كانت باشارة

تيمور * وعسكر ذلك الظلوم الكفار * ما كان يخلو من مثل هذه الشرور

والاشرار * ولو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة

والمرافقة كان يصير يسير بسيرهم

* حكاية *

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره * كان مع واحد منهم اسيرة *

كشفت ايدي النوائب قناع عصمتها ولطافتها * وطمايته ما بنت لها

رضيع فقطعتها * فلما قربوا الى قضاعة * جعلت البنت تأن انين الاواه *
وتأبى فما من المضض المبكي * تتململ وتبكي * ومعهم رجال من بني اود *
مفطور على الفساد * مجبول على النكاد * مجبول على الغلاظة والقساوة *
مجبول من الفظاظة والغباوة * متناه من البلاء * متمكن من الاذى *
لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيئا فينتزع * ولم يودع لسانه
لفظا من الخير فيستمع * فاخذ تلك البنت من امها * فلا ارى في وجهها
الحقه انها اخذها ليخفف من همها * وكانت راكبة على جمل * ثم انقطع
ساعة عن الثقل * ثم وصل وبيده خالية * ووجهته عالية * فاستكشفت
امها حالها * فقال مالي ومالها * فهرب عقلها ووهي * فطرحت نفسها
ونحت نحوها * فاخذتها وانقلبت * واتت بها وركبت * فتناولها
منها مرة اخرى * على ان لا يسومها طوا * ثم غاب عنها ورجع *
وقد صنع كما صنع * فالقت نفسها ثانية * وعدت اليها ثانية * وجاءت
وهي عانية * وقطوف حتوفها دانية * فركبت واخذتها * ووضعتها
على جملها التي منها فلذتها * فاخذها منها مرة ثالثة * بنية
في الفساد عابثة * ويتلقفها بينها حانقة * انه يخنقها ويئده * ولا يعيدها

بحوره * فحلبها ماعه * ثم خرج عن سنة الجماعة * ورمى بها في بطن
البطاح * ومثل بها ما فعله اليهودى بصاحبة الاوضاح * وجاء
وبك الدامغة * بالاثم ملآى ومن البنت فارغة * وقد سلبها سالبها * وجلبها
الى امها جالبها * فطرحت نفسها باكية * ورامت الرجعى جارية *
فقال لها لا تتعبي * كفيتك همّا فارجعي واركبي * فبكت وصاحت *
وانّت وناحت * ووقعت في العناء وان كانت استراحت * والناس
على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * وان كان ايذاؤه لا يحتاج الى علة وسبب

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم *
وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب
بغداد واضطرب * فجهز جيشا عرمرما * وجعل رئيسهم اميرا مقداما
مقدّما * يدعى سنتاى * فتوجه الجيش نحو الجغتاى * فبلغ
تيمور خبر الجيش وخبره * فسرّ بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل
ذلك سببا لمهاوشته * وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته *
وانفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخارا * فتلاقيا بصدق نية * على مدينة

سلطانيه * فصدق كل منهما ما جربه الضرب * وشد ذلك عزة النية الأمنية
وعصام الحزب * واستمد بعسكر الجغتاني من افواج امواجه واصطدم
فانكسر في قسطليه قتيبات جند سلطاني فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد *
وتشتتوا في البلاد * فالبس السلطان احمد سيناتي المقنعه * واشهره
في بغداد بعد ان ضربه وازجعه * وكف تيمور عن عناده * وقفل
متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر * وهدو ذلك البحر المائر * لتطمئن منه
الاطراف فيحطمها كما يريد ويدير بها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل يتنقل في جوانبها
ونواحيها * وبنى حواليها قصبات * سماها باسماء كبار المدن
والامهات * وقد صفت له سمرقند وولاياتها * وممالك ما وراء
النهر وجهاتها * وتركستان وما فيها من البلاد * ونائبها من جهته
ينغي خذايداد * وخوارزم التي بها فتك وسطا * وكاشغر وهي في ثغر
ممالك الخطا * وبلخشان وهي ممالك على حدة * من ممالك سمرقند
متباعده * وتاقليم خوراسان * ومنها الى ممالك مازندران *

وسمرقند وخوارزم ولرستان وطبرستان * والري وغزنين واسترا باد *

وسلطانية وسائر تلك البلاد * وجبال الغور المنيعة * وعراق العجم

وفارس الشامخة الرفيعة * وكل ذلك من غير منازع * ولا مجادل

ولا ممانع * وله في كل مملكة من هذه الممالك ولد

او ولد ولد او نائب معتمد *

وخوارزم ما كان يجوز * تلك الطلول الكبرى * من عساكره في يجور * ويفوض

الى امور * ثم يجوز * بجرور ومن جملة ذلك خوارزم ما وراء النهر

وخوارزم جملة من بلاد الترك *

ثم انه مع اتساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع اراجيفه

في الاقطار * وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار * وثقل اثقاله *

وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله * كان يجري في جسد العالم مجرى

الشيطان من ابن آدم * ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد * قلت

* شعر *

* يموت يمنة ويصيب يسرة * ويثور في جبهة والقصد ثغره *

فبينا يكون لدى المشارق بارقا * اذ يطلع على المغارب بارق

بوائق * بينما نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في جنان العراق
واصبهان وشيراز * واذا برنات أوتاره وبوقات أبواقه تسمع
في مخاليف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث
في سمرقند مشغولا بإنشاء البساتين وعمارة القصور * وقد أمنت
منه البلاد واطمأنت الثغور * فلما انتهت أموره * وبلغ الكمال
قصوره * أمر بجمع جنده * الى سمرقند * ثم أمرهم ان يصنعوا لهم
قلانس ابتدعها * على صورة من التركيب والتصوير اخترعها *
فيلبسونها ويسيرون * وما يدرى الى اين يسيرون * ليكون ذلك لهم
شعارا * وقد كان أرصد له في كل جهة من ممالكه خشارا * ثم رحل
عن سمرقند * وأشاع انه قاصد خجند * وبلاد الترك وجند * ثم انه
انكمش * في درده وعسكره وانقمش * كأنه في لجة بحر انغمس *
ولم يشعر احد اين عطف * ولا اي قصد المختطف * ولا زال في تأريب
وإسآد * وجوب بلاد بعد بلاد * يجري جري المراكب * ويسير سير
الكواكب * ويفرق ما رتب وكل من نجائب الجنائب * حتى بلغ
من بلاد المغول * ولم يكن لاحد به شعور * وهي بلاد عامرة * خيراتها

متكاثرة * وفواكهها وافرة * اسم قلعتها بزوجرد وحاكمها عزالملك بن العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي * وهي مجاورة همذان * ومناظرة عراق العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر مالكها المتولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد * ولا عدد ولا امد ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * واتاه البلاء من حيث لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان * فنزل اليه وسلمه قيادة * فقبض عليه وضبط بلاده * ثم ارسله الى سمرقند وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه * ثم بعد ذلك بمدة اطلقه ورفع عنه ما نابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده واستنابه * ولما استخلص تلك الكفور * ولايات تلك الكفور * واصل السير الى همذان * فيها قريب زمان * فوصل اليها واهلها غافلون * فجاءهم الباس بياتا اوهم قائلون * فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى * فشفع فيهم بشفعه على ان يبذلوا مال الامان * ويشتروا باموالهم ما من عليهم

بيده من الأموال والأعيان * فامتثلوا أمره وفعلوا * ووزعوا إلى تلك
الجهة وإلى خزائنه نقلوا * فلما عمته نقمة الجبائية * أن طرح عليهم
بالمال مرة ثانية * فخرج إليه ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام
الشفاعة لمقام البائس الذليل * فقبل شفاعته * وأنجح حاجته *

ثم إنه سلك بعساكره وجحفله * حتى تلاحق به عسكره والتأم *

لابتداء تخريب تلك الخرب * أذربيجان ومملكة عراق العرب *
ولما بلغ السلطان أحمد بن الشيخ أويس * ما فعله بغنم رعايا جيرانه
اللور وعرف أن ذلك الأويس * وعلم أنه لا بد له من قصد مملكته
ودياره * لأنه مولع بأذاه بالشر وطرح على شراره طائر شراره *
وأن عسكره وإن كان كالسيل الهامر فإنه لا مقاومة له ببحره وتياره *
وأنه إذا جاء نصر الله بطل نهر عيسى * ولا مقابلة لسحرة فرعون
مع عصا موسى * قلت * شعر *

* السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر *
* حتى يوافي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له أثر *
فاستعد للبلاء قبل نزوله * وقبل مقابلته قبل حلوله * فتشمر للهزيمة *

وعلم ان ايابه مالها نصب العين * ولا تقصر من تثبيط عقد اهل تلك

والمقابلة على الوجه * فصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق

وتقريره * وقال لتعبئة النجاء النجاء * وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه

السلطان طاهر الى قلعة النجاء * وارتحل الى تيمور لا اشعار في الهيجاء *

فنظم في ذلك ما ترجمته وهو شعر *

فلئن كنت يا بغداد في الحرب شلا * فرجلي في الهزيمة غير عرجا *

ثم قصدوا البلاد الشامية * وذلك في سنة خمس وتسعين وسبعمائة *

في حياة الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه الله تعالى * فوصل تيمور

الى تبريز * ونهب بها القليل والعزيز * ووجه الى قلعة النجاء العساكر *

لانها كانت معقل السلطان احمد وبها ولده وزوجته والذخائر *

وتوجهوا الى بغداد ونهبها * ولم يخربها ولكن سلبها سلبها * وكان

الوالي بالنجاء رجلا شديد الباس يدعى التوتون * عند السلطان

احمد مأمون وله اليه ركون * ومعه جماعة من اهل النجدة *

واولي البأس والشدة * نحوا من ثلثماية رجل في العدة * وكان ينزل بهم

التوتون * اذا اخذ الليل في السكون * ويشن الغارة على تلك العساكر

والمكان المكين * فوصل امر العسكر * فابلغوا تيمور مثل الخبر *
فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور * مع اربعة امراء كبيرهم بك عمش
مملوك تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك الشوني فيها * وكان
قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينما هو راجع *
اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طلع الخبر * قال اين المفر * فقيل
كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه * فثبت جاشه وحاشيته
وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحفة
الاعلام * فاختموا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا
على ظهر الخيل وانتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * سوى
الطعن الصادق والضرب * قلت * شعر *

* كريما مت والا مت لئيما * فما والله بعد الموت موت *

فتعاهدوا بنية صادقة * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى
واثقة * وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكة * وصاروا في وسطهم
كالمغزل في الفلكة * وقصدوا الراية وحامليها * ومن يليها وذويها *
فبادهم ساعد معط اللحيان بنصرته * وحل منهم القبض الداخل

الكليهن بعلقته * فاساكنوا على راياتهم ذات الهيام من الدماء حمرة *
وفتحت لجماعتهم طريق الى عتبة النصرة * فلاح لهم فلاح * وتجح
لهم انجاح * فنجوا من الشرور * وحصل لهم السرور * بعد ان قتلوا
من العساكر اميرين احدهما قباغ تيمور * ولما وصل هذا الخبر اليه *
اسودت الدنيا في عينيه * بل انقلب الكون والمكان عليه * ثم نهض
اليها بنفسه * وربض عليها بحرسه * واحاط بجوانبها * والقم
الجرمس افواه مضاربها *

صفة قلعة النجا

وهذه القلعة امنع من العقاب * وارفع من السحاب * يناجي السماك
سماكها * ويسامي الافلاك استمساكها * كأن الشمس في شرفها *
ترس من الابريز على بعض شرفها * وكأن الثريا في انتصابها * قنديل معلق
على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * فانى يصل طائش السهم اليها *
ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار * فضلا ان تعلق على معصم
وصفها من اساكر الابصار سوار * وكان التنين قد تربى في ترائبها
ترابها * واحدق حلقة الحمر بشعابها * فصار كلما اتى الليل الناجم * وارصد

لسراق الشياطين حيرته الرواجم * شهبا من تلك القلاع * ومن
مروق طيف الخيال * ودب دبيب الشحم في اللحم * والماء في العود
والنار في الفحم * من درب لم تتوهمه الظنون * بعيون لا تراه
العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره العسس * ولا يزال
يتلو عليهم آيات الاخفاء * ويتمسك بطلسماته الاستخفاء * ويتقرب
ويترقب * حتى يلوح له في الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب *
فيكر سالما * ويفر غانما * فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه * حتى أعجز تيمور
وأصحابه * فلم ير تيمور أوفق من الارتحال * لضيق المجال
القتال * فارتحل عنها بعد أن رتب عليها للحصار البزك * وامتد
الحصار مدة طويلة والقضاء يقول له امير فانها لن تعجزك * قيل انها
مكثت في الحصار اثنتي عشرة سنة * وسبب أخذه لها ان التتون
المذكور * كان له أخ بالفسق مشهور * فحصل بينه وبين أم السلطان
طاهر * خيانة أوجب عليهما ما يجب على العاهر * فاطلع على ذلك
بأمره السلطان احمد * فتحكم عليهما وقتلهما ما كان في ذلك الرأي
الأحمد * وكان إذ ذاك التتون عن القلعة غائبا * فلما خرج منها

ويقتلني الغلام جانيا * فلما سمع النون القوا باب المقلعة عليه *
ورموا بانفسهم من فوق السور اليه * واخبروه خبره * وعجره وبجره *
فقال جزاكم الله احسن الجزاء * وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء * لو كنت عالما بفعله * او حاضرا قتله * لعاملته بما هو اهله *
وفعلت به ما يجب فعله * واحل به من الزمان دواهيه * ولا رايتكم
العبر فيه * ولا شهرته في خلق الله تعالى وبريته * وناديت عليه
على اجزاء من يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن
الوصول * فقال لهم يا اخي فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه * واما انا
فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل الى حين وفاه * ولم ازل موالي
ودكم * ومعاهد عهدكم * فان طردتموني فالى اين اذهب *
وان ودتم رحمتي فيكم فيها ارغب * فقالوا ربما ادركتك الحمية *
ولحقتك العصبية * فتذكرت اخاك * وتفكرت في تلك بعد رضاك *
فنقمت * وانتقمت * وانعوججت بعد ما استقمت * وتلك رمية
عاميها * ونلهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت

* شعر *

* ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يبقى به عقدة الربط *
فانشأ لهم ايمانا واثقة * ابن كلفاته وعهودا صادقة * فقالوا له
لا تطل فما حييت * مالك عندنا مقيل ولا مبيت * فارجع من حيث
جئت * وقل آخر العهد منك غضبت ام رضيت * فتخلى عن ثم
دهره * وبات كل يده ندامة وحسرة * على انه اغفل عفره * في طاعة
من لم يعرف قدره * ثم ردني فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسه
وماله * وفرق خيله ورجاله * ولما لم يكن له ملجا * سوى التجا النجا *
وقد خرجت من يده * والقت النار في كبده * ضرب اخماسا لاسداس *
فيمن يقصده من الناس * ثم اورد براية الزند * ان يقصد مدينة
مرند * وكانت تحت حكم تيمور * وفيها اولو امره تمور * فسالمها * وقصد
حاكمها * لابسا لبندي * وتاركا ماله وولدا * ولما اتصل بحاكمها
الخبر * احاط به الجبن والخور * فاضطرب واقشعر * واضطرم
بوا متنكر * واخذ الحذر * والزم المقر * فحقق انه وحده * من غير
رجال وعدد * فرجع عقله اليه * ودخل التهون عليه * فاخذ في التفتيش
عن اموره * ثم قطع راسه وارسله الى تيموره * فتحرق لذلك

واشتكى * وتأسف عليه وبكى * وأرسل إلى قاتله بعزله * ثم عذره
وقتله * ثم إن السلطان طاهر أيضاً خوفاً من الحوادث * وتجسس
بقية الحيلة بعد والخبث * لم يمكنه إلا متحصناً بقلعة يقال * ولم
ابقها وتيقن قبلها التحصن إليه * فإن نشر عليه محاصر تلك القلعة فعجز
عن إخصائها وتحصينها * وتمكن فيه ذلك في ذكاتها وعونها * وقتل جيشه
وانفل * فقيل مناعه منها وانتقل * فدان لتيمور ... يطاع
وفتح له من غير معالجة بابها * فولى فيها من يثق به من الأعوان * ورجع
به إلى العراق لمجاورة الشيخ إبراهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان الفساد *
إلى صوب بغداد * فهرب السلطان أحمد كما ذكر إلى الشام في فئة *
وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة * فوصل إليها حادي
عشرة يوم السبت * فكبتها وعن حوالها أي كبت *

ذكر أخبار صاحب بغداد * وأسماء آبائه
والأجداد * وكيفية دخوله إلى هذه البلاد *

وهو السلطان معتصم الدين أحمد بن الشيخ أويس بن الشيخ حسن بن
حسين بن آقبغا بن ايلكان * صاحب بغداد وأذربيجان * وهذا ...

المنة لله محسن ولا يطي ومثالبه * وارث كان جد والاملاه ابن القان

بالكهوف النجيبة * فمرتبته التي حيط القانون ارغون بن ابي سعيد *

فكان والده المتهم او نعش * من اهل البيت بلغني والكيس * ملكا عادلا

واماما شجاعا عافا حليما * مؤيدا منصورا * مهابا مشكورا * قليل الشر

كثير الخير * عمرت في دولته كثيرة حسنة * وكانت دولته تسعة عشر سنة *

وكان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء والكبراء * وكان من اعيان فيها

تصانيفه * [illegible] * ثم طلب زهو وقبيلة من ولاية تختها

للسلطان بين يدي ابا بكر وازر زنجان فاستحب لحلول نوبته * ورضي نزوله

مرتبته * وخلع عن المملكة نفسه * وولاه حسينا ولده * وهو اكبر بنيه *

بنوه لا ينتقل من اهله وذويه * وزمن اذانيه ووابلته * واقبل على طاعة

مولاه * واستعطفه الى الرفق * والعفو عما مضى * ولازم صلواته

وصيامه * وزكواته وقيامه * ولا زال يصلي ويصوم * حتى ادركه ذلك

الوقت المعلوم * فافاضه من زمرة المصون * وكذا اذا جاء اجلهم لا يستاخرون

ساعة ولا يستقدمون * ثم رحل عنه الطريقة الحسنة *

[illegible] بثلاثين سنة * ومن مغرب تبريز ال قمرة * وفي سنة

سنة وستين وسبعمائة ووصل الى الشام مصر * واستمر ولده جلال الدين
حسين مكانه * وافاض على رعيته فضله واحسانه * وكان كريم
الشمائل * جميل الفضائل * وافر الشهامة * ظاهر الكرامة * اراد
ان يمشي على سنن والده * ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاليه *
فحيل لتنا الاقدار * وخالفت صفو مساعيه الاكدار * وفي سنة
ثلث وثمانين وسبعمائة * وصل من قصاده الى الشام فيه * ومنهم
القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين
سليمان العبايقي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف
الدين ابن الحاج تاج الدين الحسيني الواسطي * وزير السلطان
وغيرهما * ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد
على اخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر الملك والدين مكانه فعذله *
فلا جعل حيوته من الفناء جنة * وعمره اذ ذاك نيف وعشرون
سنة * ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مد يد تعديه
وضم جناح الشفقة والارفاق * وشرع يقتل نفسه ووجهه * ويذهب
بها الجور والمايد يومه وليلته * ثم بالغ في الفسق والفجور * وتجاهر

بالمعاصي وتظاهروا بالفسوق * وتحت سخط الله مآلهم * إلى سلمي الأعراض

وثلم الأعراض ثلما * فعجل أن أمر يفعل لو مفعولا * واشتغلوا بأمور

فاغتبقوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعروا إلا والتتار قد دهمته *

وعساكر الجغتائي خيلا ورجلا حطمته * وذلك يوم السبت المذكور *

من الشهر المشهور فاقتحموا بخيلهم ورجله وقصدوا الأسوار * ولم

يمنعهم ذلك البحر التيار * وزاحمهم أهل البلد بالسهام * وعلم اصيل

أنه لا ينجيه إلا الانهزام * فخرج فيمن يثق به قاصد الشام * فتبعه

من الجغتائي طائفة لئام * فجعل يكر عليهم ويرد عنهم * ويفرق منهم

فيطمعهم * وحصل بينهم قتال شديد * وقتل من الطائفتين عدد

كثير * حتى وصل إلى الحلة * فعبر من جسرها نهر دجلة * ثم قطع

الجسر * ونجا من ورطة الأسر * واستمرت التتار في عقبه *

تكاد أنوفها تدخل في ذنبه * فوصلوا إلى الجسر ووجدوه مقطوعا * فتراموا

في الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * ففاتهم

ب‍ ووصل إلى مشهد الإمام * وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام *

ذكر ما افتعله هؤلاء الخليفة والملك * في بلاد أرزنجان وديار بكر

ثم وصل الى ديار بكر واستخلصها * ومن ايدي ولاتها خلصها * فبعث عليه
قلعة تكريت * فسلط عليها من عساكره كل عفريت * وذلك يوم الثلثاء
رابع عشر ذي الحجة * وقد ارتجت منه البلاد اشد رجة * فحاصرها
واخذها في صفر بالامان * ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متدرع
الاكفان * وفي حضنه وعلى عاتقه اطفاله * وقد ودعه اهله وماله *
واسلمه خيله ورجاله * وذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمه *
فارسله الى حائط فنقضه عليه وردمه * وقتل من بها من رجال * وسبى
النساء واسر الاطفال * وجعل يعيث ويستأصل * ويقطع في الفساد
ويوصل * حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين الى
الموصل * فاخربها وكسرها * ثم اتى رأس عين ونهبها واسرها * ثم الى
الرها تحول * ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاول * فزاد عيثا
وفسادا * وجار فيما عاند ثمودا وعادا * وخرج من تلك البلاد *
ثاني عشرة يوم الاحد * ثم اختار من عسكره وقومه طائفة * على
ورد الفناء حائمة وعلى قتل المسلمين عاكفة * فاخذهم وانحدر *
وفي ممالك ديار بكر انغمر * ولم يزالوا بها عائثين * ولاذاها قاصدين *

وعليها ظالمين * وفيها ماردين * نقصد ما بتلك العفاريت المصاليت * وواصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت * ومسافة ما بينهما للمجد * اثنى عشر يوماً ان لم يتردد * وكان سلطانها الملك الظاهر تحقق انه لا يضر من التجأ اليه * وقلدهم في ثوب الطاعة عليه * فما وسعه الا التشبث بذيل ذممه * والانتظام في سلك خدمه *

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الظاهر * من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر *

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وصاغيته * وقال اني ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان ردني حسبما اريد فهو المراد * وان طالبني بالقلعة * فكونوا انتم على التأبي والمنعة * واياكم ان تسلموها اليه * او تعتمدوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين اتلافي * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي * فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * واتى بالهلاك على اولكم وآخركم * وخسرتم شعاركم ودثاركم * وغبنتم انفسكم ودياركم * واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * واكفيكم بروحي

ماد ماكم * وبعض الشر اهون من بعض * وما انا اجس لكم النبض *
ثم قصد ذلك الكالح * المفسد الطالح * بعد ما استخلف ابن اخيه
الملك الصالح * شهاب الدين احمد الملك السعيد * اسكندر بن
الملك الصالح الشهيد * ونزل يوم الاربعاء خامس عشرين شهر ربيع
الاول سنة ست وتسعين وسبعمائه * واجتمع به في سلخه بمكان يسمى
الهلالية فقابله بشنعه * وقبض عليه بسرعه * وطلب منه تسليم
القلعه * فقال القلعة عند اربابها * وبيد اصحابها * وانا ما املك
الا نفسي فقل متها اليك * وقد مثلتها عليك * فلا تحملني فوق طاقتي *
ولا تكلفني غير استطاعتي * فاتي به القلعة وطلبها منهم فابوا * فقدمه
اليهم ليضرب عنقه او يسلموها فناوا * فطلب منه في مقابلة الامان *
من الدراهم الفضية مائة تومان * كل تومان ستون الفا * خارجا
عما يتقرب به اليه زلفى * ثم انه شد وثاقه * وسد عليه لينذهب عنه
ما به من قوة كل باب وطاقه * وشمر للفساد ذيله * وجعل يريح رجله
ويسمن خيله * ويتفوق كاسات فساده * ويعربد على عباد الله
وبلاده * واستمر على ذلك لا يصحي ولا يفيق * ويتردد ما بين الهود ومي

الى رسمل ونصيبين والموصل العتيق * ثم أمرهما كرة في جمادى
الآخرة ان يمردوا قلاعيبين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير *
ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا القفار
القفار * قطع الهندي * وهملوا في تلك الجبال والتلال بما قاله
الكندي * وهو * سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء
حالا على حال * فوصلوا اليها على غفلة * واحتووا عليها من غير مهلة
وذلك يوم الثلثاء ثاني عشره * وقد سل الصبح حسام فجره * وطار
غراب الدجى عن وكره * فصاروا سوار معصم تلك الأسوار * واحلوا
الدمار بما تيك الديار * فعموها رجفا * وساموها خسفا * وملوها
زحفا * ودكوها وجفا * وتعلقوا بأهداب أرجائها * وتسلقوا بالسلالم
من أرضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الأسوار * من القبلة رابية
اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار * فأخذوا المدينة عنوة
وقهرا * وملأوها فسقا وكفرا * وترفع أهل البلد ينفا الى القلعة * ولم يكن
أحد سواهم علو المنزلة والرفعة * واكوهدوا ملتجئين الى قوادمها
وخوافيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها *

فقتلوا من ظفروا به ذكراً وانثى صغيراً وكبيراً * ولم يرتضوا بما فيها نهباً وبمن فيها اسيراً * فحالك بغض الناس واظهرلهم بعض الجلادة * وازاد بتثبته لهم ان يضم الجهاد الى الشهادة * ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى * واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * وحين التقى على وجنتي الكون عارضا الليل * واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادرنون الظلام * يونس الشمس بالانتقام * طرأ على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر مقابل عربون * وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد * واكثرهم كان من اهل البلد * فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه * وينتظرون الصباح ويستبطئونه * الى ان شق الليل مكتوم جيبه * واظهر الظلام مكنون غيبه * واهمّ الكون وجه النهار ان يضرب على جنبي الآفاق اطراف شيبه * بكروا بكور الغراب * وهدروا الى الحرب والضراب * وحصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر * وهدموها واسوارها من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر * ثم باؤا بالآثام *

وقد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وصلود زند تلك الافكار الوبيله *

ولما آب ليله بالخيبة * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبة * شحذ فكرا

وحدد مكرا * وتاب عن المقابحه * وثاب الى المصالحه * فردع ذلك

الخميس * في نهار ذلك الخميس * وارسل اليهم يقول * ضمن كتاب

مع الرسول * نعلم اهل قلعة ماردين * الضعفاء والعجزة المساكين *

اننا قد عفونا عنهم واعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فليامنوا

وليضا عفوا النا لادعية وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما استتب

كيده * ولا انجح قصده * لان رصدها كانوا غيرراقدين * وشيا طين

حرسها كانوا كهي ماردين * فارتحل ذلك البلية * بكرة السبت

الى البشيريه * وارسل الى آمل الجنود * مع اميريك عن سلطان

محمود * فتوجه بجيش طام * وحاصرها خمسة ايام * وارسل

يستمد عليها * فتوجه بنفسه اليها * واحلها الهوان * فطلبوا

الامان * فامن البواب * ففتح له الباب * فدخل من باب التل * ووضع

السيف في الكل * فابادا الجميع * العاصي منهم والمطيع * واسروا

الصغار * وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار * واذاقوا الناس * لباس الباس * والتجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحوا الفى ساجد وراكع * ثم حرقوا الجامع * ورحلوا وتركوا ما بلاقع * فهداه ابليس * الى قلعة ارجيش * ثم بادر بالتحريك * وحط على قلعة اونيك * وفيها مصر بن قراحمد امير التركمان * فحاصروها واخذوها بالامان * وذلك فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان * ثم قتل كل من كان بها من الجند * وصير مصرا الى سمرقند *

* فصل *

ثم استصحب الملك الطاهر بسوء نيه * ورحل بها بعد ذى القعدة سنة ست وتسعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانيه * وحبس عنده من امرائه الامير ركن الدين * وعز الدين السليماني واستنبوغا وضياء الدين * وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث لا يدرى احد عجره وبجره * ولما اخذه شد الوثاق * قصد التوجه الى دشت قفجاق * فاجرى نحوما اقام من الفتنة على قدم وساق * وحكى الملك الطاهر سنه * لايدرى احد خبره في يقظة ولا سنه * ثم وقلت

المملكة الكبرى الى سلطانيه * وخفف عنه ما به من ضيق وبابه *
وفسحت له في مراسلة جماعته * وحرضته على طلب الدخول في رضى
تيمور وطاعته * زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته * وكان ذلك
من مكايد تيمور وباشارته * ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان *
سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى
همذان * ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى من
سلطانية الملك الطاهر * باكرام تام وانشراح صدر وخاطر * ففكوا قيوده
وقيود متعلقيه * وعظموه غاية التعظيم مع ذويه * وتوجه اليه يوم
الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره *
فتلقاه بالاحترام واعتنقه * واذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله
في وجهه مرارا * واعتذر اليه مما فعله معه جهارا * وقال له انك
لله ولي * ورفيع القدر كابي بكر وعلي * وتحالل منه * عما صدر في حقه
منه * واضافه ستة ايام * وخلع عليه خلع الملوك العظام * واحله
محلا جميلا * واعطاه عطاء جزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة
بغال * وستون الف دينار كبكية وستة جمال * وخاما مزركشة مكللة *

وانعامات وافرة مكملة * ولواء ايخفق على رأسه منصورا * وستة وخمسين منشورا * كلّ منشور بتولية بلد * وان لا ينازعه فيه احد * اوّل ذلك الرّها الى آخر ديار بكر * الى حدود اذربيجان وارمينية وكلّ ذلك من البلاد والمكر * وانّ جميع حكّام تلك البلاد يكون تحت طاعته * معدّ ودين في جملة خدمه وجماعته * يحملون اليه الخراج والخدم * ولا ينقلون الّا عن امره قدما عن قدم * بحيث يكون شخص كلّ من مجاوريه بما افاء الله لظلّه فياء * ويعفى هو فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيأ * وهذا وان كان في الظاهر كالاكرام * فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام * وفيه كما ترى ما فيه * والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه * وينجرّ ذلك الى ان يلتجي اليه * ويعوّل في كلّ اموره عليه * ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه * فيصل اذ ذاك منه الى حضنه * ثمّ انه شرط عليه * انه كلّما طلبه جاء اليه * ثم عانقه وودّعه * وامر امراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السّعة * ثاني عشرين شهر رمضان ليلة الجمعة * سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه * في عيشة رضية * وحالة

زم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع بأميران
ني إكرامه وعطاياه * وشيعه في أحسن هيئة وأيمن طور *
طان وبدليس وأرزن الى الصور * ووصل خبره الى قبائله
* فابتهج الناس ودقت البشائر * فوصل يوم الجمعة حادي
ال * وخرج أهل المدينة والأكابر للاستقبال * وسبق
، عهده الملك الصالح * فدخل المدينة بغال سعيد وأمر
جه الى مدرسة حسام الدين * وزار والده وأمواته
وعزم على ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز
فلم يتركه الناس خاصة وعامه * وترامو عليه وقبلوا
فصعد الى محل كرامته * واستقر في كرسي مملكته *
لا الشان مزيد بيان * وما جرى من الأمور * عند قدوم
ملوك عسكره الليام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام *
الملك الطاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من أدباء
ته * فاقترح عليهم أن يقولوا في ذلك شيئاً فقال أولاً

* طغى تمر واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له في الخافقين الكبائر *
* لقد زاد بغياً فافرحوا بزواله * لأن على الباغي تدور الدوائر *

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر احد الموقعين ثانياً * شعر *

* كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واغتنموا *
فسلموا الامر لما ان رأوا خطرا * للذي الجلال فلما سلموا سلموا *

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثاً *

* شعر *

* طويل حيوة المرء كاليوم في غد * فخيرته ان لا يزيد على الحد *
* ولابد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش يقتص للعبد *

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعاً دوبيت *

* شعر *

* لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون *
* بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون *

فجبه ذلك واجازه خمسة آلاف درهم * وصدقه والله اعلم *

* رجوعه من ديار بكر والعراق * وتوجهه الى مهامه قفجاق * ووصف

ملوكها وممالكها * وبيان ضياعها ومسالكها *

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في ممالكها اية قدم *
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * وسلمه مقاليد ما بيده
من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته *
وانتظم في سلك عبيده * واحله محل ولده * وسنذكر كيف تغرب عليه
ومن اي طريق تقرب اليه * فقصد دشت قفجاق * وجد في الوخد
والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتاميش
وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش *
اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه *
وانجده في ذلك كما مر للسيد بركه * وبلاد الدشت عن بلاد قفجاق
ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبرية * وبركة
المضاف اليه هو اول سلطان * اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية *
وانما كانوا قبل ذا اوثان * واهل شرك لا يعرفون الاسلام
والايمان * ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه
الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ

ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى انوشروان * وله قاضٍ يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان دولته بالقرب اليه ويزيد * هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته * فاستشاره في امر تيمور وما يفعله * ايطيعه ام يتحصن منه ام يقاتله * فقال له الفرار في رأيي اصوب * والتحصن في الجبال الشوامخ اوثق عندي وانسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * انجو انا واترك رعيتي ليوم عصيب * وماذا اجيب يوم القيامة رب البرية * اذا ضيعت امورهم واضعت الرعية * ولا عزمت ان اقاتله * وبالحرب والضرب اقابله * ولكنني اتوجه اليه سريعا * وامتثل بين يديه سامعا لامره مطيعا * فان ردني الى مكانتي وقررني في ولايتي * فهو قصدي وغايتي * وان آذاني او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفى الرعية مؤنة القتل والنهب والاسار * فيولي اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار * ثم امر بالاقامات فجمعت * واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت * وبعث في الولايات ان تتزين وتتزوق * وبسكانها برا وبحرا ان تأمن فتعامل وتتأنق * وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * وبالدنانير والدراهم

أن تقرب بو ميه ورسمه * ثم عمل التقادم والخدم * وتوجه
إليه بأطيب جاش وأثبت قدم * ولما وفد عليه * وتمثل بين يديه *
قدم الهدايا والتحف * وأنواع الغرائب والطرف * وعادة الجغتاي
في تقديم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعه * ليناولوا بذلك عند
المهدى اليه الكرامة والرفعه * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس
من أصناف ما قدمه تسعه * ومن المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون
أين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فاعجب
تيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه بمكان ومقام * وقال له بل أنت
ولدي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع عليه خلعة سنيه * ورده
الى مملكته مستبشرا ببلوغ الأمنيه * ثم فرقت تلك الاقامات * وتوزعت
الفواكه والطعامات * ففضل منها أمثال الجبال * عن ذلك العسكر
الذي هو كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * الى بلاد الشمال والتتار *
وسبب آخر لقصده تلك الممالك * وان كان لا يحتاج الى ذلك * ان الامير
أيدكو كان عند توقتامش احد رؤس امراء الميسره * والأعيان
المنتخبين في النائبات لديه وأرباب الرأي والمشوره * وقبيلته

تدعى قوبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات *
وكان ايدكو قد احس من مخدومه تغير خاطر فخاف منه على نفسه *
وكان توقتاميش شديد البأس فخشي منه حلول باسه * فلم يزل منه
متحرزا * وللفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه
ويراقيه * ويداريه ويداريه * ففي بعض ليالي السرور * ونجوم
الكاسات في افلاك الطرب تدور * وسلطان الخمرة قد انفذ في اسير
العقل امره * طفح توقتاميش الى ان قال لايدكو * ونور البصيرة يخبو
ويذكو * ان لي ولك يوما * يسومك الخسف سوما * ويوليك من موائد
الحيوة صوما * ويملأ عين بقائك من سنة الفناء نوما * فغالطه
ايدكو وباسطه * وقال اعيذ مولانا الخاقان * ان يدخل على عبده
ما خان * وان يذوي غراسا هو انشاه * او يهوي اساسا هو بناه *
ثم اظهر التذلل والخشوع * والتمسكن والخنوع * وتحقق ما كان
ظنه * واعمل في وجه الخلاص ذهنه * واستعمل في ذلك الذكاء
والفطنه * وعلم انه ان اهمل امره وامهله انه * فتمكث قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان * وخرج

في لجاجه * كأنه يريد قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجأش
يجيش ولا يطيش * وعمد الى فرس مسرجه * منجية منجبه * اقيمت
معدة * لكل شدة * وقال لبعض حاشيته * المؤتمن على سره من حاشيته *
من اراد ان يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * ولا تفش هذه الاسرار *
الا بعد ان تحقق اني قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به
الا وقد سبق * وركب طبقا عن طبق * وقطع على انوال السير اطول
الشقق * فلم يدركوا منه الآثار * ولا لحقوا منه ولا الغبار * فوصل
الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته واخباره كما جرت عليه *
وقال انت تطلب البلاد الشاحطه * والاماكن الوعرة الساقطه *
وتركب في ذلك الاخطار * وتقطع قفار القفار * وتتلو اسفار الاسفار *
وهذا المغنم البارد نصب عينك * تدركه هنيأ مريأ بهينك ولينك *
ففيم التواني والتناعس * وعلام التقاعد والتقاعس * فانهض بعزم
صميم * فانا لك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة تقلعك *
ولا قاطع يله فعلك * ولا دافع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما هم الا اوشاب واوباش * واموال تساق وخزائن بارجلها

موّاش * ولا زال يحرضه على ذلك ويطالب * ويفتل منه في الذروة والغارب * كما فعل معه عثمان قرايلوك حين جاء الى تبريز بوساوسه * وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين احمد ومحاصرة سيواس * كما يذكر * فتهيأ تيمور بأوفى حركه * الى استخلاص دشت بركه * وكانت بلاداً بالتتار خاصه * وبأنواع المواشي وقبائل الترك عاصّه * محفوظة الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة الارجاء * صحيحة الماء والهواء * حشمها رجاله * وجنودها نباله * افصح الاتراك لهجه * وازكاهم مهجه * واجملهم جبهه * واكملهم بهجه * نساؤهم شموس * ورجالهم بدور * وملوكهم رؤس * واغنيا وهم صدور * لا زور فيهم ولا تدليس * ولا مكر بينهم ولا تلبيس * دابهم الترحال على العجل * مع امان لا يدانيه وجل * مدنها قليله * ومراحلها طويله * وحد بلاد الدشت من القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم * وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم * وهذان البحران * كادا يلتقيان * لولا ان جبل الجركس بينهما برزخ لا يبغيان * ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم واترار ومغتاق *

الى غير ذلك من البلاد والآفاق * آخذاً الى تركستان وبلاد الجتا * متوغلاً الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا * ومن الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير والوحش فيه * وهو كرضى اكابر الزمان غاية لا تدرك * ونهاية لا تسلك * ومن الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار * وممالك النصارى والاشرار * ويتصل بتلك التخوم * ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم * وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون من غير ريب ولا وجل * والى قريم طولاً ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر * واما عرضاً فهو بحر من الرمل امده سبعة ابحر * لا يهتدي فيه الخريت * ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت * فكانت القافلة لا تحمل زاداً ولا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * وذلك لكثرة الامم * ووفور الامن والمأكل والمشرب من الحشم * فلا يصدرون الا عن قبيله * ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * وكأنه قيل فيهم

* شعر *

* متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار *

وَأَمَّا اليوم فليس بتلك الأماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الأمم

والحشم متحرك ولا ساكن * وليس فيها من أنيس * إلا اليعافير

وإلا العيس * وتحت الدشت سرا مى ومى مدينة إسلامية المبنيان *

بديعة الأركان * ويأتي وصفها * وكان السلطان بركة رحمه الله لما أسلم

بناها * واتخذها دار الملك واصطفاها * وحمل أمم الدشت على الدخول

في حمى الإسلام ورعاها * فلذلك كانت محل كل خير وبركه * وأضيفت

بعد إضافتها الى قفجاق والى بركه * انشدني لنفسه مولانا وسيدنا

الخواجه عصام الدين * بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد

الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغيناني رحمه الله

في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة

اربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة

انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسي

في درب الدشت انواع النكال *

* شعر *

لئن اسمع ان الخير يوجد في * صحرا تعزى الى سلطانها بركه *

بَرَكَتْ نَاقَةٌ تَرَجَّا لِي بِجَانِبِهَا * فَمَا رَأَيْتُ بِهَا فِي وَاحِدٍ بَرَكَهْ *

وَانْشَدَنِي اَيْضًا لِنَفْسِهِ مُعَرِّضًا بِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا حَافِظِ الدِّينِ

مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْكُرْدِيِّ الْبَزَّازِيِّ تَغَمَّدَهُ اللّٰهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ

فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْمَذْكُورَيْنِ *

* شعر *

* مَتَى تَحْفَظُ النَّاسُ فِي بَلْدَةٍ * مَصَالِحَهَا فِي يَدَيْ حَافِظِ *

* فَحَافِظُهَا صَارَ سُلْطَانَهَا * وَسُلْطَانُهَا لَيْسَ بِالْحَافِظِ *

وَلَمَّا تَشَرَّفَ بَرَكَةُ خَانْ بِخِلْعَةِ الْاِسْلَامِ وَرَفَعَ فِي اَطْرَافِ الدَّشْتِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ

الْاَعْلَامَ * اِسْتَدْعَى الْعُلَمَاءَ مِنَ الْاَطْرَافِ * وَالْمَشَائِخَ مِنَ الْآفَاقِ وَالْاَكْنَافِ *

لِيُوقِفُوا النَّاسَ عَلَى مَعَالِمِ دِينِهِمْ * وَيُبَصِّرُوهُمْ طَرَائِقَ تَوْحِيدِهِمْ وَيَقِينِهِمْ *

وَبَذَلَ فِي ذٰلِكَ الرَّغَبَاتِ * وَاَفَاضَ عَلَى الْوَافِدِينَ مِنْهُمْ بِحَارَ الْهِبَاتِ * وَاَقَامَ

حُرْمَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ * وَعَظَّمَ شَعَائِرَ اللّٰهِ تَعَالَى وَشَرَائِعَ الْاَنْبِيَاءِ * وَكَانَ عِنْدَهُ

فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ * وَقَبْلَهُ وَزْبَيْكَ بَعْدَهُ وَجَانِي بَيْكَ خَانْ * مَوْلَانَا قُطْبُ

الدِّينِ الْعَلَّامَةُ الرَّازِيُّ * وَالشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ * وَالسَّيِّدُ

جَلَالُ الدِّينِ شَارِحُ الْحَاجِبِيَّةِ * وَغَيْرُهُمْ مِنْ فُضَلَاءِ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ *

ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * ومولانا احمد الخجندي * رحمهم الله فصارت سراي بواسطة هولاء السادات * مجمع العلم ومعدن السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء * ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع في سواها * ولا في جامع مصر ولا قراها * وبين بنيانها وخرابها من الامكنة * ثلاث وستون سنة * وكانت من اعظم المدن وضعا * واكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق * تمكن في مكان منحي عن الطريق * وفتح له حانوتا * يتسبب فيه ويحصل له قوتا * واستمر ذلك المهين * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيه مولاه * ولا اجتمع به ولا رآه * وذلك لعظمها * وكثرة اممها * وهي على شط نهر منشعب من نهر اتل * الذي اجمع السياحون والمورخون وقطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجارية * والمياه العذبة النامية * اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس * وليس له فائدة سوى اغتيال النفوس * ويصب في بحر القلزم * وكذلك جيحون وسائر انهار العجم * مع ان بحر القلزم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور * مثل

كيلان وما زندران * واستراباد وشروان * واسم نهرها صسلا

ولا يقطع ايضا الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب *

وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل * وكل فرق اعظم

من الفرات والنيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * وجحفله الهائل شعف بعد كسرة توقتاميش خان *

فوصل تيمور الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * بل بالبحار

الزخارة * ذوي السهام الطيارة * والسيوف البتارة * والرماح

الخطارة * والاسود الهصارة * والنمور الكرارة * من كل شان الغارة *

فدرك في العدو ثاره * حام حقيقته وجاره * وعرينه ووجاره *

وقويمته ونجاره * والجم من بحر الحرب عماره * مقاوم امواجه وتياره *

فارسل توقتاميش الى زعماء حشمه * وعظماء امه * وسكان اخاذه *

وقطان اطرافه * ورؤس اسرته * وخصوص ميمنته وميسرته * فاستدعاهم

والى المقابلة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون *

وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا وقبائل * ما بين فارس

وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل * بحر مغب

وذ ايل * وهم قوم نبال النبال * ونصال النصال * لا يطيقون

شيئا * وهم من بني ثعل إذ رمى * إذا قصدوا الأوتار * أصابوا الأوتار *

وإن قصدوا الأوطار * وجدوا المقصد حتم أوطار * ثم نهض للمصادمة *

واستعد للمقاحمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثرة * وكالجبال قرة *

ذكر ما وقع من الخلاف * في عسكر توقتاميش وقت المصاف *

وحين تواقف الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش

أحد رؤس الميمنة * له دم على أحد الأمراء فطلبه منه وفي قتله

استأذنه * فقال له لينعم بالك * وليجب سؤالك * فلعمه * شعر

* لكن تروى ما قد طرى * على الورى وما جرى *

فامهلنا حتى إذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * أعطيتك غريمك *

وناولتك خصيمك * فأدرك منه ثارك * واقض أوطارك * قال لا ولكن

الساعة * وإلا فلا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب عظيم * هو من

مرامك أهم * وخطب مدلهم * هو من مصابك أعم * فاصبر ولا تعجل *

واطمئن ولا توجل * فما يذهب لأحد حق * ولا يضيع مستحق *

فلا تلجئ الأعمى إلى الحرف * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف *

فكأنك بليل الشدة وقد أدبر * وبصباح الفلاح وقد أسفر * فالزم مكانك * ونازل أقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجر ذلك الأمير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وطاغ * وقبيلته كلها واسمها تاقتاور * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو وحشمه الى ضواحي أدرنه * واستوطن تلك الأمكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم يربث من اللقاء وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وهزم وقاره وطيشه * وقدم من أطلابه الأبطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح * وسدد النبل والصفاح *

* فصـــل *

وأما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الأمور * لأن أمره معلوم * ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان * واصطدما * واصطليا بنار الحرب واضطرما * والتفت الأقران بالأقران * وامتدت الأعناق للضراب وشرعت النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكشرت عن أنياب الضراب

واصمرت * وتهارشت نمور الشرور واسبطرت * وتعانشت اسود الجنود
وازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه
الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت * وثار الغبار
وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاص وعام * وصارت نجوم
السهام * في ظلام القتام * لشياطين الاساطين رجوما وزواشق *
ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق *
ولا زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول *
ونقع السنابك الى الجو راقيا * ونجيع السوافك على الارض جاريا * حتى غدت
الارض ستا والسموات كالبحار ثمانيا * واستمر هذا الكر والخصام *
نحوا من ثلاثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش
وولى الادبار * وفرت عساكره وانذعرت * وانتشرت جنود تيمور في
ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * واتى على ضبط اواخرها
واوائلها * واحتوى على الناطق فمازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع
الغنائم * وفرق المغانم * واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر *
باطفاء فتائلهم * واكفاء مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع *

من الاموال والاشرف والمتاع * ووصلت طراشته الى آزاق *
ومن ثم سراي وسراجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق *
وعظمت منزلة ايدكو عنده * ثم انفتل قاصدا سمرقند *
وصحب ايدكو معه * ورام منه ان يتبعه *

ذكر ايدكو وما صنعه * وكيف خلب تيمور وخدعه *

فارسل ايدكو قاصدا الى اقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم
من اصحابه واخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بذلك شعور *
ان يرحلوا عن اماكنهم * ويتشمروا عن اوطانهم * وان ينحوا جهة عينها *
ومكامن بينها * صعبة المسالك * كثيرة المهالك * وان امكنهم ان لا يقيموا
في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم *
وأبادهم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايدكو * وارتحلوا ولم يلووا *
ولما علم ايدكو ان جماعته فوزوا * وحشمه لتيمور اعجزوا * قال له
يا مولانا الامير * ان لي من الاقارب والحشم الجم الغفير * وانهم عضدي
وجناحي * وبصلاح معايشهم صلاحي * ولا آمن عليهم ان يلقوا
بعدي * من توقتاميش الجور والتعدي * بل لا اشك انه يجتاحهم *

أما صيفا فلأن الرياح للرمال تسفي * فتخفي الطريق على المارة وتعفي *
وأما شتاء فلأن الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * اذ كل ارضها
مجاهل * ومنازلها مثل اهل * ومراحلها مهامه ومناهل * فهي على
كل تقدير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشرة
على ايدكو فتشتت وتشرد * وتبذر وتبدد * وغرق هو ونحو من خمس
مائة رجل من اخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به احد * واستبد توقتاميش
بالمملكة * وصفا له دشت بركة * وكان مع هذا متشوفا لاخبار ايدكو
واحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله * ومر على ذلك
نحو من نصف سنه * وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنة *
وايدكو كان دعيميص تلك الاعقاص والاحقاف * وممن قطع بسير
اقدامه اديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر
معنى ما قلته ويتدبر * وهو * * شعر *

* ارقب الأمر وانتظر فرجا * وانتهز وقتها اذا ما جا *

* وامزج الصبر بالحجى فبه * ورق التوت صار ديباجا *

* فلما تيقن ان توقتاميش أيسه * وتحقق ان ليث المنايا افترسه *

فروع يتجسس أخباره * ويتتبع * ويستشرف آثاره * ويتطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى جناح العجل * وارتكب جنوح الليل * ووصل السهر بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع النداى * حتى وصل اليه * تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه * كالقضاء المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * واسود المنايا انتوشته * وثعا بين الرماح وافاعي السهام نهشته * فجاولهم قليلا * وجاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر امر الدشت على متولي ايدكو * وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو * وتفرقت اولاد توقتاميش في الآفاق * جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق * واستمر امر الناس على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه احد * ويحكم فلا يجاوز ذلك الحد * فممن ولاه توبليغ تيمورخان واخوه شادي بيك خان * ثم فولاد خان بن توبليغ تيمور

ثم أخوه تيمورخان * وفي أيامه تخبطت الأمور * فلم يسلم لايدكو زمامه * وقال لا عزله ولا كرامه * أنا الكبش المطاع فأنى أكون مطيعا * والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق * ولجم من ذوي الضغينة مخبو النفاق * وجرت شرور وصحن * وحروب واحن * وبينا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور في دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت * اذ ابتدر الدولة الجلالية * من مشارق السلالة التوقتاميشية * بزغ مهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا * وكانت هذه القضية * في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائة * فتعاظمت الأمور * وتفاقمت الشرور * وضعف حال ايدكو وقتله تيمور * واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات ايدكو غريقا جريحا * واخرجوه من نهر سيحون بسرا بحوق والقوه طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * واخبار ونوادر غريبه * ومنها مذ واه في أعدائه مصيبه * وافكار ومكائد * ووقعات ومصائد * وله في أصول فقه السياسة نقود وردود * البحث فيها يخرج عن محصول المقصود * وكان امر شادبك السمرة ربعه * مستمسك

ولا تقيد له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤس الرؤس من قصاده * وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين * وقسمهم نصفين * وارسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * واخبرهما بالقضية * عن جليه * وما ورد عليه من خطاب تيمور المقوت * وانه جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكاية * ولم يزده على هذه الحكاية * وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما * ودياري دياركما * وانا ذرة من غباركما * وقطرة من بحاركما * وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي وبلادي * ورقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما * واتكالا على مناصرتكما * واقامة لاعلام حرمة دولتكما * ونشرا لرايات هيبة صولتكما * فاني جنة ثغركما * ووقاية نحركما * وشاوش جنودكما * وجاليش بنود كما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والا فمن

اين لي مقاومته * واني تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم احواله * وعرفتم مشاهد ته وافعاله * فكم من جيش كسر * وقيل اسر * وملك ملك * ومالك اهلك * وستر هتك * ونفس سفك * وحصن فتح * وفتح منح * ومال نهب * وعز سلب * وصعب اذل * وخطب احل * وعقل ازل * وفهم اخل * وخيل هزم * وراس هدم * وسؤل قطع * ووصل منع * وطود تلع * وطفل فجع * وراس شدخ * وظهر فضخ * وعقل نسخ * ونار اشب * وريح اهب * وماء اغار * ورهج اثار * وقلب شوى * وكبد كوى * وجيد قصم * وطرف اعمى وسمع اصم * واني لي ملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغتلم * فان انجد ثماني وجد ثماني * وان خذلتماني بذ لتماني * ويكفيكما هيبة وشهرة * وناهيكما ابهة ونصرة * ان من خذلكما قد امكما * من كفا كما ما دهاكما * وان اصابني والعياذ بالله منه ضرر * او تطاير الى مملكتي من جمرات شره شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به وثان وثالث * قلت * شعر *

* والشر كالنار يبدو وحين تقدحه * شرارة فاذا ما درته خمدا *

* وإن توانيت من إطفائه كسلا * أورى فتائل تشوي القلب والكبدا *
* فلو تجمع أهل الأرض كلهم * لما أفادوك في إطفائها أبدا *

وإنما أهملت خطابه * وأهملت جوابه * لتترسما فتقتفي * وتأمرا فاكتفي * وتوسما فابني عليه * وتجاوبا فيصل ذلك كل لك مني إليه *

ذكر ما اجاب به السلطان * ابو يزيد بن عثمان * للقاضي
برهان الدين ابي العباس * سلطان ممالك سيواس *

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه * ونغم هذا القول اطربه * واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه * وارسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى * والا فلنأتينه بجنود لا قبل له بها * فليقابله بعين قريرة * وليثبت له بحسن البصيرة * واخلاص السريرة * ولا يجزع من جنوده الغزيرة * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة * وان اقتضت آراؤه السديدة * واحكامه السعيدة * توجه بنفسه اليه * وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه * ليرفع اعلامه * وينفذ احكامه * ويكون لسيفه يدا * ولجناحه عضدا * ثم ارسل كتابه * وانتظر جوابه * واما الملك الطاهر

فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي يزيد * اذا افعالهما واقوالهما في الباطن والظاهر * كانت من باب توارد الخاطر * ثم انني رأيت كتابا * يتضمن خطابا وجوابا * وذكر ان الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما سوى آي الكتاب غير زائد ولا زاهر * اما صورة الخطاب * فهو قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه * مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لشاكٍ * ولا نرحم عبرة باكٍ * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل امورنا * فانا قد خربنا البلاد * واملكنا العباد * واظهرنا في الارض الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق * ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا لا يضام * فان انتم قبلتم شرطنا * واصلحتم امرنا * كان لكم ما لنا * وعليكم ما علينا * وان انتم خالفتم وابيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا انفسكم *

لا تحصون منا لا تمنع * والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم
علينا لا يستجاب ولا يسمع * لأنكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع *
فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم
أننا كفرة * فقد ثبت عندنا أنكم فجرة * قد سلطنا عليكم من بيده أمور
مقدرة * وأحكام مدبرة * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا
ذليل * قد ملكنا الأرض شرقا وغربا * وأخذنا منها كل سفينة
غصبا * وأرسلنا إليكم هذا الكتاب * فأسرعوا في رد الجواب * قبل
أن ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء *
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * وقد أنصفناكم إذ راسلناكم *
ونثرنا جواهر من الكلام عليكم * والسلام * ومسودة الجواب
وقيل هو إنشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما أظن ذلك صحيحا *
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء *
وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء * بيدك الخير
إنك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة
الإيلخانية * والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية * قولكم إنا مخلوقون

مَن سَخَطِهِ * مُسَلَّطونَ على مَن يَحِلُّ عليهِ غَضَبُهُ * لا نَرِقُّ لِشاكٍ * ولا نَرحَمُ
عَبرَةَ باكٍ * قد نَزَعَ اللهُ الرَّحمَةَ من قُلُوبِكُم * فهذا من أكبَرِ عُيوبِكُم *
ومِنهُ أمن أقبَحِ ما وَصَفتُم بِهِ أنفُسَكُم * ويَكفيكُم بهذهِ الشَّهادَةِ واعِظًا
إذا اتَّعَظتُم قُل يا أيُّها الكافِرونَ * لا أعبُدُ ما تَعبُدونَ * ففي كُلِّ كِتابٍ
ذَكَرتُم * وبِكُلِّ قَبيحٍ وُصِفتُم * وزَعَمتُم أنَّكُم كافِرونَ * ألا لَعنَةُ اللهِ
على الكافِرينَ * مَن تَشَبَّهَ بالأُصولِ لا يُبالي بالفُروعِ نَحنُ المُؤمِنونَ
حَقًّا لا يَصِلُ لنا عَيبٌ * ولا يَلِدُ اهلَنا رَيبٌ * القُرآنُ علينا نَزَلَ * وهو
رَحيمٌ بِنا لم يَزَل * وقد عَمَّنا بِبَرَكَةِ تأويلِهِ * وقد خَصَّنا بِفَضلِ تَحريمِهِ وتَحليلِهِ *
إنَّما النَّارُ لكُم خُلِقَت * ولِجُلودِكُم أُضرِمَت * إذا السَّماءُ انفَطَرَت *
ومِنَ العَجَبِ العُجابِ * تَهديدُ اللُّيوثِ باللُّيوثِ والسِّباعِ بالضِّباعِ *
والكُماةِ بالكُراعِ * نَحنُ خُيولُنا عَرَبِيَّةٌ * وهِمَمُنا عَلِيَّةٌ * ولَنا قَناةٌ شَديدَةُ
المَضارِبِ * ذِكرُها في المَشارِقِ والمَغارِبِ * إن قَتَلناكُم فَنِعمَ البِضاعَةُ *
وإن قَتَلتُمونا فَبَينَنا وبَينَ الجَنَّةِ ساعَةٌ * ولا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا
في سَبيلِ اللهِ أمواتًا بَل أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقونَ * وقَولُكُم قُلوبُنا كالجِبالِ *
وعَدَدُنا كالرِّمالِ * فالجَزَّارُ لا يُبالي بِكَثرَةِ الغَنَمِ * وكَثيرٌ مِنَ الحَطَبِ

يكفيه قليل من الضرم * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين * الغرا زلا من الرزايا * نحن من المنيه * في غاية الامنيه * ان عشنا عشنا سعداء * وان متنا متنا شهداء * الا ان حزب الله هم الغالبون * أبعد امير المومنين * وخليفة رب العالمين * تطلبون منا طاعه * لا سمع لكم ولا طاعه * وطلبتم ان نوضح لكم امرنا فهذا الكلام في نظمه تركيك * وفي سلكه تفكيك * لو كشف لبان * قبل التبيان * أكفر بعد ايمان * ام اتخذتم ربا ثان * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * قل لكاتبك الذي رصع رسالته * ووصف مقالته * حصل الوقوف على كتاب كصرير باب * او طنين ذباب * وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى * ثم اني وجدت في نسخة صدا مر المورد بتقادم مدة قدمها * وبعض كرا العصور على وجه الزمان من شيبها سوادها * صورة هذا الكتاب * وهيئة هذا الخطاب من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك الى سلطان مصر *

وصورة الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر *

فصل *

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق * ورنق لجناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق * وغص غصباً فكاد من الغيظ ان يختنق * ولكن علم ان في الزوايا خبايا * وللاسلام جنوداً وسرايا * وفي عرين الدين من ليوث المسلمين بقايا * وان امامه اسوداً هواصر * وجوارح كواسر * فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر *

ذكر توجه العساكر الشامية * لدفع تلك الداهية *

بلغ ان ملك الامراء بالشام موتمش * خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم * ولم يروا في ذلك ضيرا * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا * وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور * وقد اصطلى من كواكب ماعاهم صورته وجلدته نوراً على نور *

ذكر رجوع ذلك الكنود * وقصده استخلاص بلاد الهنود *

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه * انتقل من رتبة الدنيا

الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له خليفة * فمضى تيمور * لأن يتولى بحكم الوفاة والشعور * تلك الوظيفة * ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى * ومرج بحر الهند وماج فجعل كل يخوض خوضا * فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزيره اسمه ملو * فراب من امر الناس ما انصلح * ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه اخوه شارنك خان * متولي مدينة ملتان * ووقع بينهم التخالف * وافترق ملأ الهنود فرقا وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد *

واقوى عضد وساعد * قلت * * شعر *

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب *

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه شارنك خان * فاقام لمحاصرتها * وبعد مشاجرتها * وكانت عساكرها جمة * ولها الى كتائبها المسودة لهمة * حتى قيل ان من جملة عسكرها الثقيل * كان ثمانمائة فيل * جمع ابن كل امير من اطراف الهند * ورئيس من اكناف السند * كأن قد تعلقت اذياله * وتلازم ابطاله ورجاله * وضبط لجوانبهم اثقالهم *

وربط حوائجه أفياله * واستوفى تلك البلاد والعمار * وحموا من تلقى
عام * الى أن استخلصها * ومن يده خلصها *

* فصل *

ولما استولى ملو واستقر امر الهند عليه * بلغه توجه تيمور اليه * فجد
واجتهد * واعد العدد والعدد * واستمد الامداد * وافلذ
الاكباد * وحسب ان لن يقدر عليه احد * في الازال * وجمع
الخيل والرجال * واحضر ما في مملكته من الافيال ثم حصن مدائنه *
ومكن كائنه * وشيد على الافيال للمقابلة ابراجا احكم في تحريرها
المناضلة طريقة فقهية فيها ذهب ومنها جا * وجد في السير *
حتى كاد يسبق الطير * اذ لم يكن له في ذلك الارث تجبه * ولا
في عساكر سلطان الهند من يقربه * فلما بلغ الهنود ذلك * برزت
اليه بالجنود الهنود * وقدموا الفيول * لتنفير الخيول * بنوا
على كل فيل من الاتراس برجا * وعبوا في كل برج من المقاتلة من يخشى
في المضائق ويرجى * بعد ما جعلوا من اكبر بركستوانات فرشا
وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدهش العقول

إلى الديار * وقد نزل في حرا طيها سيوفا يصلح أن يقال إنها سيوف

الهند * ثم هو المورى من شعلة فيها فتحولها ماجلية تستحق أن يقال لها

نار السند * وهذا خارج من تلك الأفيلة من الأنياب * التي هي

في الحروب كالحراب * فهي في أداء ما وجب عليها نصاب

كاملة * ونطاميها النبلي مصيبة في نحور من يقابلها تغص

ما بين وذابل * فكأن تلك الأفيال * في وصف القتال * كأنها

جبال بأسود ما ماشية * وبحار من بجنود ما جارية * وأطواد بنمورها

عادية * وبحار رياح أمواجها رائحة جائية * وظلل من الغمام

بصواعقها هامية * ليالي العراق بنوا نبها السود سارية * وخلفها

من الهنود * فرسان الحرب * وأبطال الطعن والضرب * أسود

الأسود * وطلب ثار ونقض العهود * بالذابل الخطي * والصارم

الهندي * والخنجي * مع قلب ذكي وجنان جري * وعزم قوي

وصبر رضي *

ذكر الف الحيال * من الهندية في إجفال الأفيال *

وتصير تمور على هذه الحال * وتحقق أن شقة عساكر الهند نسجت

على مثال المنوال * اعمل المكيدة * في قلع مدينة المصيدة * وحرق لهم بمرة
قد ربطتها اخشن من العصيدة * فبدأ اولاً في الاحتيال * بدفع مكيدة
الافيال * فاستعمل الفكر الحديد * في اصطناع شوكات من حديد *
مثلثة الاطراف * محددة الارهاف * كانها في شكلها الخبيث *
طرق القائلين بالتثليث * او وضع اصحاب الاوفاق * اعدادهم
المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من ذلك الالوف * ثم عمد الى مجال
الفيول في الصفوف * فنثر ذلك لها ليلا * وجلب لاملها حربا وويلا *
ورقم لذلك حدا * ورسم ان يفعل ذلك الحد لا يتعدى * ثم ركب اطلابه
وابطاله * ورتب اسوده واشباله * وهذب خيله وشذب رجاله *
وارصد شمالا ويمينا * من عسكره للعدو كمينا * وحين بعث سلطان
السيارة في جوانب الآفاق خيله * وضم جيش الظلام رجالة انجمه
وشمر للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك العدو رويدا حتى وصل اليه *
ولما تراآى الجمعان نكص على عقبيه * ثم تنكب بالخيول * عن طريق
الفيول * فتصوروا ان خيوله اجفلت * وشمس نصرته انكسفت *
وكواكب جيشه افلت * فاقتلعوا قلاع الفيول * فانهزم انهزام

المحمول * وما قوها خلف عساكره مرقا * على ذلك الشوك الملقى * واتبع
الفيالة * من الهنود الرجالة والخيالة * فلما وصلت سيول الفيول
من مطارح الشوك الى المناسم * واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها
وارجلها وتشبث بتلك المناسم * واحتضنت قوائمها بشوكها * رجعت
القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها ونهروها من التولي
فلم يفدها النهي والنهنهة * وصارت في التقدم الى جهة العدو
كفيل ابرهة * ثم لم ينفعها لما اضرها الشوك في تلك الحرار * الا التولي
من الزحف والفرار * فحطمت الفيول * الرجال والخيول * وصارت
القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول * وخرج عليهم الكمين *
من ذات الشمال وذات اليمين * فابادوا سائرهم * والحقوا
اولهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر * وان منظرها يجعل
الفيل فيصيرا بعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير جفول * وتعبا
رواحلها والحمول * قصبا محشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول *
وان تساق امام الركبان * الى ان يتراءى الجمعان * فلما تصافوا ولم
يبق الا القتال * امر ان تطلق النيران في تلك الحشايا والاحمال *

وتساق الى جهة مواجهة الافيال * فلما احس البعران * بحرارة النيران * رغت ورقصت * ونحو الفيول شخصت * وصارت كما قيل

* شعر *

* كأنها من جمال بني أقيش * يقعقع بين رجليها بشن *

فلما رأت الفيلة النيران * وسمعت رغاء البعران * ونظرت الى الابل كيف خلقت * وشاهدتها وقد غنت ورقصت * وباخفافها صفقت * ألوت على عقبها ناكصة * لما يليها واهصة * ولراكبها واقصة * فعطلت الخيالة * ومشت الرجالة * وتلا الكافرون آية النصر على اصحاب الفيل * وارسلوا عليهم من السماء طيرا ابابيل * فلم ينتفعوا بالافيال * بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت عساكر الجنود * وابطال الخيالة من الجنود * وعبّوا الكتائب وبندوا البنود * ثم تراموا وتصافوا * وتضاموا وتحاذفوا * وهم ما بين مجروح وسليم * ومبارز منتصب ومناد بالشعار معلم * وكل في سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم * ثم تدانوا مع التتار وتزاحفوا * وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تثاقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلاقوا وتواثبوا * ثم تراموا

من ظهور الخيل * واستمر في ذلك القتال النهار بالليل * ولا زالت
تختلف بينهم الضربات * وتطول بينهم الحملات * وتخمد منهم
الصولات * حتى تلالسان القضاء والقدران في اختلاف الليل
والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * واسفرت
القضية عن ان برد حامي الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود
الويل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقلد
شملهم في المحاربة فحلوا * وقتلت سرواتهم وهرب سلطانهم ملو *
ثبت تيمور وحكمه في هنده * الى الآن كما ثبت اوتاده في سمرقند *
فجمع اقيالها * وربط افيالها * وضبط احوالها * وما غفل عن ضبط
ما عليها وما لها * وسلم اقيالها افيالها * ثم توجه نحو تختها وهي مدينة
دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي * معقل
التجار ومعدن الجواهر والبهار * فتسلمها عليه بالجهار * فاحاط
بها السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه
من الخلائق والامم * فقيل ان منه بها لعساكره والخلائق مع عظمها
وكثرتها * لم يقدروا ان يكتنفوها لسعة دائرتها * وانه اخذها من احد

جوانبها بالمحاصرة * ودام الجانب الآخر ثلاثة ايام في المجاذبة
والمشاجرة * ولم يبق من في الجانب المحاصر * لبعد المدد وكثرة الآلام
ما فعل بالجانب الآخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعوق * بوفاة الملكين ابي العباس احمد
وا الملك الظاهر برقوق *

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره * واحتوى على ممالكه
واقطاره * وبلغت مراسيمه اعماق انجاده واغواره * وانبث جيشه
في ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر فساده في رعاياها برا وبحرا * اذ
ورد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد
السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام *
فسر بذلك صدره وانشرح * وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح *
فبادر بسرعة امور الهند * ونقل الى مملكته من فيها من العساكر
والجند * بما اخذه من الاثقال * ونفائس الاموال * ووزع ذلك
بالجمهور * من ذلك الجند المشهور * على اطراف ما وراء النهر
من الحصون والثغور * واقام بالهند باتيا من غير وجل * ثم جد

من سمرقند قاصدا الى الشام على عجل * ومعه من الهند رؤس اجنادها
ووجوه اعيانها * وسلطان اقيالها واقيال سلطانها * ثم انه صار قرير
العين بتلك الطوائف الطاغية * في اوائل سنة اثنين وثمانمائة *
وانصب بذلك الطوفان * من سيحون الى خراسان * وكان قد قرر
ولده لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار * والسلطان
احمد قد رجع الى بغداد وهو مستوطن لتلك الدار * وسبب حركته الى بلاد
الشام * ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاعتام *
لكنه اراد ان يعمي مقصده * ويغطي عن الناس مصدره ومورده *

قلت بديها * شعر *

* وأنى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحو النهار *
* وكيف يسر فرد المسك يفشو * خياشيم الورى في يوم عار *
* وأنى يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النفار *

فان قصده كان بعيد المدة طويل الامد * محتاجا الى اعداد اهبة
السلوك * ويخشى ان تضاهي غزوة تبوك * واظهر سببا ابطن فيه
ما رامه من مكره ودواهيه * واشاع ذلك واذاع * فامتلأت منه القلوب *

ـوا لأصاغ * ذكر مضمون كتاب وقد ومونى المتن عليه * زعموا ان ولده

اميران شاه ارسله اليه * وذلك ان ابنه اميران شاه المذكور راسله *

وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله وحاوله * انك قد عجزت

لكبر سنك * وشمول الضعف ببدنك وزمنك * عن اقامة شعائر

الرياسة * والقيام باعباء الايالة والسياسة * والاولى بحالك ان كنت

من المتقين * ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين *

وقد تم في اولادك واحفادك * من يكفيك امر رعيتك واجنادك *

ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك * واني لك بلاد وممالك * وانت

من قريب هالك * فان كان لك عين باصرة * وبصيرة في نقد الاشياء

ماهرة * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخرة * ولو ملكت ملك شداد *

ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النصر والعون *

حتى تبلغ مقام هامان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون *

حتى تفوق في جمع المال قارون * وصرت في خراب البلاد كبختنصر *

الذي طول الله تعالى له بقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار *

وقضيت من دنياك غاية الاوطار * وما عمر كبيرها اطول الاعمار *

وهبك ملكت الدنيا ملوكها الأعاظم * فقصر جندك قيصر * وكسر كسرى
فانكسر * وتبعك تبع والنجاشي * واوساط الملوك والاقيال عبيدك والملك خولها
وحواشي * وفغر لك فغفور بالثناء فاه * واخنع لك ملك الخان وخاقان
فوجه كل في رقعة دستك شاه * واذعن لك فرعون مصر وسلطانها *
وجبى اليك على يد خيرا الذين ايران الدنيا وتورانها * وآل امرك
الى ان كان لك سكان الاقاليم وقطانها * أليس قصارى تطاول قصورك
الى القصور * ونهايته كمالك النقص وحيوتك الموت وسكناك القبور *

قلت * شعر *

فعش ما شئت في الدنيا وادرك * بها ما رمت من صيت وصوت *
فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بموت *

وقيل * شعر *

* قميص من القطن من حله * وشربة ماء قراح وقوت *
* ينال به المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت *

فاين أنت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه وحسن عبوديته
وشكره * ولقمان وحفظه ولبده * وتربيته لطول الحيوة لبده * وداود

في مملكة التسبيح * مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح *
وسليمان بن داود وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح * وذو
القرنين الذي ملك المشرقين * وبلغ المغربين وبني السد بين الصدفين *
وفتح البلاد * وملك العباد * واين هؤلاء من سيد الانبياء * وخاتم
الرسل وصفوة الاصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبيا وآدم
بين الماء والطين * محمد المصطفى * واحمد المجتبى * الذي زويت له مشارق
الارض ومغاربها * وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها * وفتحت له خزائنها *
وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الانس
والجن والطير والوحش والهوام * وأيده الله الكريم المتعال * بان ارسل
لطاعته ملك الجبال * وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين
والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * وايده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين
والانصار * وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار * وان الله سبحانه به اسرى * في بعض ليلة من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به

الى الصبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده بمشروعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحكمه ورسمه * وخلق لاجله الكائنات * وانار بوجوده الموجودات * ولم يخلق فى الكون اشرف منه ولا افخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * واظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى الكثير من الرجال مما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وبعث اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * ولا تحصى معجزاته وتحصر كراماته * وناهيك بمعجزته المؤبدة * وكرامته المؤبدة المخلدة * على ممر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو القرآن المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * وحبوه منازله فى الدنيا * غير ما ادخر له فى العقبى * وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو ادركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره * فهو دعوة ابراهيم الخليل * ومتوسل موسى وعلماء بني اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل *

وحامل لواء حمد ربه يوم لقائه * فآدم ومن دونه تحت لوائه * ومؤصاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود * بمعنى ما قلت مفوفا مقتبسا * شعر *

* قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تجد * تفويف حلة عزوا قتبس نعمي *

فانظر الى هؤلاء السادة * معادن الخير ومفاتيح السعادة * هل رغبوا في الدنيا واعتمدوا عليها * او نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها * اوهل كان نظرهم غيرا لتعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء الراشدين * واعظم بالعمرين * الذين كانا في هذه الامة بالمنزلة القمرين * وهلم جرا بالخلفاء العادلين * والملوك الكاملين والسلاطين الفاضلين * الذين تولوا فرعوا حقوق الله تعالى في عباده * وحموا عباد الله عن الظلم في بلاده * واسسوا قواعد الخير * وساروا في نهج العدل والانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم * واحيت بعد موتهم ايامهم اخبارهم * فمضى على ذلك مثل الاولين * وبقي لهم لسان صدق في الآخرين *

اذ صنعوا * بموجب ما سمعوا

* شعر *

* فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث *

وانت وان كنت تسلطت على الخلق * فقد تسلطت ايضا ولكن عن الحق * ورعيت ولكن اموالهم وزروعهم * وحميت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم * واسست ولكن قواعد الفتن * وشيدت ولكن على شير اماتة السنن * ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون وشداد * ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد * ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهى وامر * ثم مضى وغبر * ولا تكن ممن طغى وبغى وفجر * وتولى وكفر * واقنع بهذا الخطاب * عن الجواب * واعط القوس باريها * واترك الدار لبانيها * وتولى الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا ممن تولى في الارض ليفسد فيها * فانني اذ ذاك امشي عليك * واضرب على يديك * وامنعك من السعي في الفساد بان اسوق بين رجليك * مع قلة آداب جرائمها كثيرة عمار ين ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان الركاب * وكان عند اميرانشاه من المعتدين * جماعة سعوا في الارض

مفيد ين * ومنهم قطب الموصلي اعجوبة الزمان الدوار * واستاذ علم الموسيقا والادوار * اذا استنطق اليراعه * اسكت اهل البراعه * واذا وضع الناي بفيه * شحق عود اسحق وابيه * وان اخذ في الاغاني * اغنى عن الغواني * تقول النفس لنفسه الرخيم * خفف عني انيني * فتشير يراعته بالاصبع وتقول على عيني * ثم ينفخ فيها الروح * فيشفي كل قلب مجروح * ويداوي كل فؤاد مقروح * فان اقامت قامتها الرشيقة زاقصة في سماعها * يحني الجنك ظهره خاضعا لطيب استماعها * وان فتحت فاها لتقرع اسماع القلوب الحانه * يميل العود عنقه مصغيا اليها حاركا باناملى الادب آذانه * قيل انه كان يؤدي جميع الانغام الفروع والمركبات والشعب والاصول * من كل ثقب من اثقب الماصول * وله مصنفات في ادوار المقامات * وجرت بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات * وكان اميران شاه به مغرما * يعد صحبته والعشرة معه مغنما * وكان تيمور لا يعجبه العجب * ولا يستهويه اللهو والطرب * فقال ان القطب افسد عقل اميران شاه * كما افسد عبد القادر واحسن بن الشيخ اويس واطغاه * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر

ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة الى قراباغ * فاناخ بها ركابه * واراح بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين واهل العدوان * ولم يتعرض لاميران شاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما امور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله * ثم توجه بذلك الخميس ثاني جمادى الآخرة يوم الخميس * واخذ مدينة تفليس * وقصد بلاد الكرج * وهدم ما استولى عليه من قلعة وبرج * وقلعهم الى الصياصي * والقلاع العواصي * وقتل من ظفر به من طائع وعاصي * وجز ما بين رؤس ونواصي * ثم ثنى عنان الفساد * وجرش البغاة على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك الكجب * الى قرا يوسف في ثامن عشرين شهر رجب * فسكن تيمور زمازعه * وطمن بذلك مراقبه ومنازعه * وتمهل في السير * واستعمل في نحوه مع مناظريه مباحث يوهم وغير * وصار يتجاوز ويتجاهل * وينشد ومويتغافل

* شعر *

* امور عن سلطيها بعاومانتم * مرادي بلا سعد ما اريد ولا ملوم *

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام * متصورين

انه لم يخرج من بلاد الكرج اللئام * فلما تحققا هذا الخروج *
وكانا تحققا انه اذا خرج على شيء فما يعوج * طار طائر همّا نحو الروم *
وتركا ذيارهما ينعق فيها الغراب والبوم * فتوجه ذلك الغشمان *
الى مصيف البتركان * ناعمي الشيف وكفى عن الحيف ومهم الصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والبدع * وما سل للشرور من
حسام * بعد موت سلطان سيواس والشام *

وكان اذ ذاك قد تخبط امر الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام
الى سيواس * اما مصر والشام فلموت سلطانيهما * واما سيواس
فلقتل برهانها * وكان موتهما متقارب الزمان * كموت قرا يوسف
والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان * فان مدة
ما بين موت مولاء الملوك العظام * كان نحوا من نصف عام * وكذا
كان ما بين موت ذينك السلطانين

ذكر نبذة من امور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي *
وسبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه وبين عثمان
قرايلوك رأس المتلبثين * وميزدادبيانها * اذا اتى مكانها * وهذا

السلطان ابوه كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض
ممالك قرمان * وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة وامكان *
وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة
العلم الشريف واصحابه * المجتهدين في تحصيله واكتسابه * فتوجه
الى مصر لاقتناء العلوم * وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم *
وكان ذا فطنة وقادة * وقريحة نقادة * ومقلة بغير رقادة * فحصل
من العلوم عدة * في ادنى مدة * فبينما هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس
على الطريق كبير * فناوله شيأ يسد به خلته * ويجبر به فقره وكسرته *
فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم * وكشف له عن السر المكتوم * وقال
لاتقعد في هذه الديار فانك سلطان الروم * فصدع بهذا الكلام قلبه *
فاخذ في اعداد الاهبة * وقطع العلائق * ودخل الطرق صحبة
الرفاق * ولما وصل الى سيواس * ابتهج به الملوك واعيان الناس *
وشهد له بين الخلق اشد بنيان واشد اساس * وشرع في القاء
الدروس * ومصاحبة الاعيان والرؤس * وكان فيه امية ابيه *
ووجاهة سنية * ونفس زكية * وخصائل رضية * وشمائل مرضية *

وتحرير شاف * وتقرير واف * يحقق كلام العلماء * ويدقق النظر في مقالات الفضلاء * وله مصنفات في المعقول * ولطائف في المنقول * ينظم الشعر الرقيق * ويعطي عليه العطاء الجليل * ويحبه اللفظ الدقيق * ويثيب عليه الثواب الجزيل * ومع ذلك يتزيا بزي الاجناد * ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * ويلازم ابواب السلطان * ويتجنب الخدم والاعوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه على السرير * وكان عنده من اعيان الامراء * ورؤس الوزراء * اناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان الدين فصار هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح الرعيه * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضيه * فمات ابو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة آباءه واقرانه * فتفرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم * فبقي حوالي السلطان محمد * فريدون وغضنفر وبرهان الدين احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت

الولاية بين الثلاثه * على سبيل الاشتراك وراثه * وقلما اتفق صوتان على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وما يه فقير * يلتفون في حصير * وما كان لا يسعهما اقليم كبير * فاراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال * اذا الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم * فرأى شريكاه ان العيادة عبادة * فطلبا بعيادته الحسنى ورام هو الزيادة * فعاداه وقد عاداهما * وما راعاه والذي راعهما وما راعاهما * فدخلا عليه وقد ارصد لهما رصدا * واعد لهما من الرجال لمعقده عددا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك * وخلص توحيد السلطنة الاحدية عن الاشراك * فقوي بالتوحيد سلطانه * واضاء به للدين حجته وبرهانه * ولكن ناواه انداده * وعصى عليه من النواب اكفاؤه واضداده * واظهر كامن العداوة اعداؤه وحساده * وقالوا انه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا اجداده * ونحن كلنا سواسية اذ انتمينا * فانى يكون له الملك علينا * وحسن الرياسة هو الغل القمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب

صاحب توقات الغاسية * ومنهم حاجي كلدي وكان نائب اماسية *
فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * وكان قبل استولى بأخذ ذاك
السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان برهان الدين
ان رواة التواريخ حدثتنا واسمعتنا * وكتب السير انبأتنا واخبرتنا
ان ما حوالينا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا وارثنا * ثم شرع
في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * وجعل يشن الغارات على
من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا *
واستصحبه معه طيبة وقهرا * وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير *
وعثمان الملقب بقرا يلوك قال له انا تحت اوامرك امير وفي قيد
طاعتك اسير * فكان قرا يلوك من جملة خدمه * وفي حساب تراكمته
وحشمه * فكان يرحل هو ومن معه من الناس * شتاء وصيفا بضواحي سيواس *

ذكر ما وقع بين قرا يلوك عثمان آتا رأتوار بيوهان آلدين

السلطان * بسبب ما اظهره من العدوان * واضمره حالة
العصيان * وتبعه عليه لما خلع ربقة الدين وهان *

ثم انه وقع بين قرا يلوك وبين السلطان منافرة * ادت الى المهاجرة *

والتهت الى المراضحة والمناقرة * فنقض العهود والقلائم * وامتنع من حملي التقادم والخدم * وتمنع في الاماكن القاصية بمن معه من المتراكمة والحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان * وكان بالقرب من سيواس مصيف * منظره ظريف * وتربة نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه لطيف * كأن الخلق خلع على اكتاف رياضه سندسه الاخضر * والورد ومن فجرى خلال اشجاره من نهره الكوثر * على حد انقه من رنوهات الجنات شبه * وفي ربوة جبهته للابصار دهشات وللمصائر نزهة *

* قلتُ * شعر *

علية شقيق قلبه زها كأنه * عيون عقيق ارصعت بالعنابر *

فقصده قرايلوك * ورام في طريقة السلوك * فنزل على سيواس فحربها القاضي ابو العباس * فجاز بركابه * ولم يلمّ ببابه * قالت تموز قيظه * وكان يتميز من غيظه * وقال بلغ من هل الغواء ان يلج برج الاسد * ويلهم قدم ايل امه والا حل بهذا البلد * ثم امر جماعته بالركوب * وقصد غاية الوثوب * واستفزوا الغضب والطيش * ان ركب

يلتقي الجيش * فقال له بعض من معه من الجماعة * لو تأنيت مولانا السلطان ساعة * حتى يتلاحق العسكر * كان احزم واوفق واجدر * وان كانت حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها ايد * لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل سائراً وراءه حتى هجم الظلام * فكر عليه قرايلوك بجماعته * فقبض عليه باليد من ساعته * ولم يدن رجاله العسكر * وتفرق امراؤه وجنده شذر مذر *

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأي المصيب
ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب *

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق * ويقلع غراس الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق * ويرده الى مكانه * ويصير كاحد امرائه وأعوانه * ويعلم بذلك السلطان أنه له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * وان ابنه نجيب الذي كان يتولى قلعة توقات * وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات * ثم تعرض لعلمه * واخذ قلعته وبالكرامة اختصه *

وجد فرصة فانتهزها * وكان في قلبه كمائن مخبية فابرزها * فجاء
الى قرايلوك * ووقف في خدمته كالمملوك * وقال اغيل عالم مثلك
ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل
فكرك ان يعاب * قد امكن الله من العدو * وانى لك منه
هدو سكون وهدو * قلت * شعر *

* ما الدهر الا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم او نادم *

فلئن ابقيت عليه لا يبقي عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة
فالله لا ينظر اليك * فانه رجل غبي * وبانواع المكر واصناف الخديعة عبي *
عسر القياد * ابيك لا ينجع فيه الخير والي * وهبك والعياذ بالله
مكانه منك * اكان يرق لك او يصفح عنك * هيهات هل اوانه محال *
فقد وقع لك مجال * فما كل اوان * يسمح بالمراد الزمان * والدهر
فرص واكثره غصص * فاياك ان تفوت الفرصة * لا تقع في الغصة
وافي غصة * ولا ينفعك الندم * اذا زلت بك القدم * وتفكر فيما اقول *
واستنبط دليل هذه المسئلة من المنقول * واستبق شرفات البروج بارنان
دنيه * وحصن امنا رحزمك بابن الحرمة * وتنه كونه اخير * اخوة

ثم ابو حمو وتمكين * ولا زال ذلك الشيطان * يحسن له الرأي في قتل
السلطان * ويقول له الرأي انفع لك وعليك اجود * كما فعل بسطام
الامير الكردي بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرا يلوك
من رأيه لاخذ عهود ماله * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف
رحمه الله * وكان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس
في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان
السلطان رحمه الله كما ذكرنا اولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا
في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه
شديد البأس * رقيق الحاشية اديبا * شاعرا ظريفا لبيبا لبيبا * جوادا
مقبلا * كريما معطاء * يهاب الدنيا وما بها * يهب الالوف ولم يبالها
يحب العلماء ويجالسهم * ويدني الفقراء ويكاسيهم * قد جعل يوم
الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة * لا يدخل
عليه معهم احد غيرهم حتى قلت للامير الفاسدة * وكان قد اقلع قبل وفاته
عن جميع ما كان عليه * وتاب الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات
منها الترجيع على التلويح * وكان عند دنياهم للفضل تقريرا * بعث الي

في تاريخ العتبي في اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وان في احسن من ذلك اسلوبا * واغزر ينبوعا * واعذب مشروبا * مع انهم لم اقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عبد العزيز من ابعد نصيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح على الانزاح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الزجاج فصاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات منكسرا ميتة صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين * بعد قتل قرايلوك

لـ السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسة * ويتقن احكام السلطنة والسياسة * فرجع قرايلوك الى سيواس * ودعا الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاخذ يحاصرهم ويعنا كدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستنجدوا عليه التتار فامدوهم * واتبع طائفة منهم فنجدوهم * فكسروا قرايلوك ففروا * واستنجدوا واطوا نفهم وكروا * والقيلوا بالقض والقضيض * وملأوا البقاع

والتجشم * فلم يكن لقرا يلوك على جبهة قتالهم طوق * فتخلل عليهم

من تحت ونجاه من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان تيمور بجيشه

في اذربيجان يمور * وقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل يناديه

الى هذه البلاد ويغريه * كما فعل معه الامير ايدكو * فحك لاقى الدبرة *

فاجابه اجابة برصيصا ابامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس انى يسلكون ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا

فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام

لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم

السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا *

واستنهضوه اليهم وافدا * وانشدوه * وقالوا مستنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري *

فتوجه من ناحيته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد

والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واما قرا ايـ

في تاريخ العتبي في اليميني * السلطان محمود بن سبكتكين * وان
مني احسن من ذلك اسلوبا * واغزر ينبوعا * واعذب مشروبا *
مع اني لم اقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عبد
العزيز من ابعد نهب منه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح
على الانزاح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد
فصاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات متاسيا ميتة
صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين * بعد قتل قرايلوك
السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسة *
وينفذ احكام السلطنة والسياسة * فرجع قرايلوك الى سيواس * ودعا
الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاخذ يحاصرهم
ويناكدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمدوا عليه التتار
فامدوهم * واتبع طائفة منهم فنجدوهم * فكسروهم قرايلوك ففروا *
واستنجدوا طوائفهم وكروا * واقبلوا بالقض والقضيض * وملأوا البقاع

ذا الجمعين * فلم يمكن لقرايلوك على جثته قتالهم حتى طوق * فتداخل عليهم من تحته ونهاهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان تحت جيشه في اذربيجان يمور * وقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل يناديه الى ملوك البلاد ويكشفه * كما فعل معه الامير ايدكو * فحكمه في الدبرة *

فاجابه اجابة برصيصا بامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس اني يملكون و من يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا * واستنهضوه اليهم وافدا * وانشدوه * وقالوا مستنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري *

فتوجه من شامته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واضاف اليه

خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوب بن اوزانجس وحمزة

بن بيها روقوج علي ومصطفى ردوادار * واستمال خواطر الاعيان *

وتوجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * وقصد في انهزامه

تبوز * فاستولى ابن عثمان * على مدينة ارزنجان * واخذ اموال

طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه *

ورجع بالاموال والحمول * واشتغل بمحاصرة استنبول *

* فصـــــل *

فتنة قرايلوك وطهرتن * من تيمور تلم الفتن * وان كان المتحرك منه

في الفساد ما سكن * حتى توجه الى مملكة البلاد * وعم فساده البلاد

والعباد * فوصلوا الى ارزنجان وارديبن * ثم ارتحلوا ونزلوا مقبل بن

ماردين * نعصى عليه الملك الظاهر * لما كان قاهاه اولاد من طاعة

ذلك الغادر * فنكث مملى اطلاقه اول مرة * كما سيندم يوم القيمة

ولم تنفعه الندامة والحسرة * وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانمائة *

والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية والعنازل كل فئة

منهم وتفرقت آزاؤهم ايادي سبا * وما مأوى كل منهم الى ذبور وشمال

ومنها * واهملوا امور الرعايا * وغفلوا عن حلول الرزايا *

قلت * شعر *

* من يهمل الاعدا ويأمن كيدهم * مثل النووم وراءه مستيقظ *

قلت * شعر *

* واللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس *

ثم قتل هو تيمم ملك الامراء بالشام المحروس * اعيان الامراء والاعلام الروس * في شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور *

قلت * شعر *

* واذا العرين تصرعت آساده * عوت الثعالب فيه آمنة الردى *

ذكر فصل ذلك الغدار * سيواس وما يليها من هذه الديار *

ثم ان تيمور وجه عنان الهاس * نحو مدينة سيواس * وبها كماة كرامير سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل نحيرا باه بهذا الامر المهول * يستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يصل اليه بنفسه * لاحتياجه الى المدد وبعد المسير منه * ستفقوق جندي *

أهل المنعة * وحصن المدينة والقلعة * واستعد للقتال واستعمل
للحصار * وفرق رؤوس أمرائه على أبواب الأسوار * وجهز تيمور
من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عنده مظنون * ولما كشفت جيوشه
للأمير سليمان زينتها * فلما أن رأى عينها * فعزم على التوجه إلى أبيه *
واشترط مع أمرائه وذويه * أنهم يحفظون له البلد * وهيّا يجهز لهم
العدد والعدد * فلم يسعهم إلا الموافقة * والتخلف وعدم المرافقة *
فرام لنفسه الخلاص * ولات حين مناص * فوصل إليه تيمور بتلك
السيول الطامية * سابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانمائة *
ولما حل بميدان رجله الشوم * قال أنا فاتح هذه المدينة في ثمانية
عشر يوما * ثم أقام في محاصرتها على ما بين العشر * وفتحها في اليوم الثامن
عشر * بعد ما مضى فيها ومات * وذلك يوم الخميس خامس المحرم
سنة ثلاث * وبعد أن حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم * وأنه يرعى
ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم * ولما فرغت المقاتلة * وامتكن
من المقاتلة * ربطهم في الوثاق ضربا * وحفر لهم في الأرض سربا * وألقاهم
أحياء في تلك الأخاديد * كما ألقي في قليب بدر الصناديد * ومنذ

فمن لقي في تلك السفرة كان ثلاثة آلاف نفر * ثم أطلق عنان النهاب *
وأتبع النهب الأسر والخراب * وكانت هذه المدينة من أظرف الأمصار
وفي أحسن الأقطار * ذات عمائر مكينة * وأماكن حصينة * ومآثر
مشهودة * ومشاهد للخير معهودة * ماؤها رائق * وهواؤها للأمزجة
موافق * وسكانها من أحشم الخلائق يتعانون التوقير والاحتشام *
ويتعاطون أصحاب التكلف والاحترام * وهي متاخمة لثلاث تخوم *
الشام وأذربيجان والروم * وأما الآن فقد خلع بها الغير * وتفرق
أهلها شذر مذر * وانمحت مراسم نقوشها * فهي خاوية على عروشها *

ذكر انصباب صواعق ذلك البلاء الطام *

من غمام الغرام على فرق ممالك الشام *

ولما اشتفى صدره من بغداد وبغيها * وامتلأت ما خضه أو رميها * فوق
سهام الانتقام إلى نحو ممالك الشام * بجنود إن قيل كالجراد
المنتشر * فالجراد كان من أعوانها * أو كالسيل المنهمر * فسيل الدماء
جار من ميزابها وخرصانها * أو كالفراش المبثوث فالفراش تحترق عند
تطاير سهامها * أو كالقطر الهامي فالديم تضمحل عند انعقاد قتامها *

من رجال توران * وأبطال إيران * ونمور تركستان * وببور الخفان * وصقور التبت والخطا * ونمور المغول وكواسر الختا * وأفاعي خجند وثعابين أيلاكان * وضرام خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان جغانيان * وضواري حصار شادمان * وفوارس فارس وأسود خراسان * وضباع الجبل وليوث مازندران * وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان * وأصل قبائل غور وكرمان * وطلس أرباب طيالسة أصبهان * وذئاب الري وغزني وهمذان * وأفيال الهند والسند وملتان * وكباش ولايات اللور * وثيران شواهق الغور * وعقارب شهرزور * وجرارات عسكر مكرم وجندي سابور *

* شعر *

* قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا إليه زرافات ووحدانا *

مع ما أضيف إليهم من أعيان الخدم * ووفرا عليها التراكمة والأوباش والحشم * وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم * ومعالة عباد الأوثان وأنجاس مجوس الأمم * مالا يكتنفه ديوان * ولا يحيط به دفتر حسبان * وبالجملة فإنه الدجال ومعه يأجوج ومأجوج *

والرياح العقيمة الهوج * فتوجه نحو النصر قلبك * والشعل زرافات عزو العقبان * موافقة

والقدر يمضيه * ومشيئة الله تعالى تتابعه * وارادة الله عز وجل

في تدمير العباد والبلاد سابقة * فبلغ خبره البلاد الشامية * واتصل

ذلك بالديار المصرية * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر

النواب والحكام * وغزاة الدين وحماة الاسلام * ان يتوجهوا الى

حلب * ويقيموا عليه الجلب * ويجتهدوا في دفعه * ويتعاونوا على

منعه * فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعسكر * ورحلوا

الى حلب سنة ثلث وثمانمائة في شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا *

فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليلة *

فاخذها ولكن كف عنها لطيفة ربانية ثبوره وويله * ثم وطئ مدينة

ملطية فابادها * ودك اطوادها * ثم حل كعبه المشؤم * بقلعة الروم *

وكان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * وسنذكر ما جرى له معه

مشبعا * وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى * فاقام بها يوما * فلم

يتح له روما * ولم يحتفل لها بحصار ولا صياح * وقال تعني امور على من

كما لقي على الحجاج * وذلك انه لما رآها من بعيد * كان بها ما قاله

من لم يميل الى المقاتل * والحق انه لما رآها * قال ان الله لما بناها

الا كرما لنفسه واصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى من تاب *

وكان نائبها ركماس * رجلا شديد الباس * فحصنها واستعد *

وباشر القتال بنفسه واشتد * ثم خرج فهرب الى حلب *

فلم يزل وراءه الطلب *

ذكر ما ارسل من كتاب وشنيع خطاب * الى النواب

بحلب وهو في عين تاب *

ثم ارسل الى النواب * قاصده وهو في عين تاب * وصحبته مرسوم *

بانواع التفخيم موسوم * وباصناف التهويل مرقوم * ومن جملته

ان يطيعوا اوامره * ويكفوا عن القتال والمشاجرة * ويخطبوا باسم

محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه

اطلاميش الذي كان عنده فخان * واقتنصه التركمان * وارسله الى مصر

لحضرة السلطان * واطلاميش هذا زوج بنت اخت تيمور * وكان جاء

الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وفيما بين ذلك امور * كان لها بطون

فصار لها ظهور * وكان اولا في مصر محبوسا * ونال ضرا وبوسا *

ثم صار رمعززا مكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا *
وجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وهو بجول *
في ميدان هذه الرسالة ويصول * انه هو ولي بسياسة الانام * وان
من نصبه هو الخليفة والامام * وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع
والمطاع * وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع * واني لغيره
رتبة الرياسه * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه * مع كثير
من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال *
وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال *
وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال *
ولكنهم قصوا مراده بالفعال * ولم يلتفت سيبي يسودون لما يقول * وضرب
على رؤس الاشهاد عنق الرسول * واستعدوا للمبارزة * واستمدوا للمناجزة

ذكر ما تشاور عليه النواب * وهم في حلب وتيمور في عين تاب *

ثم ان النواب والامراء * ورؤس الاجناد والكبراء * تشاوروا كيف
يكافحونه * وفي اي مكان يناطحونه * فقال بعضهم من ذوي الرأي
بلا شده * ان نحصن البلد * ونكون على اسوارها بالرصد * نحرس بروج

أفلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فإن رأينا حواليها من شياطين العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا * وقال آخر هذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نحلق حواليها * ونمنع العدو أن يصل اليها * ويكون ذلك أفسح للمجال * وأشرح للمجال * ثم ذكر كل من أولئك * ما عن له في ذلك * وخلطوا غث القول بسمينه * وساقوا هجان الرأي مع هجينه * فقال الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو إذ ذاك نائب طرابلس يا معشر الاصحاب * وأسود الحرب وفوارس الضراب * اعلموا أن أمركم خطر * وعدوكم داعر عسر * داهية دهياء * معضلة عضلاء * جنده ثقيل * وفكره وبيل * ومصابه عريض طويل * فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فإن صائبة الأفكار * يفعل ما لا يفعله الصارم البتار * ومشاورة الأذكياء * مقدحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * إن هذا البحر ما يحده بر * وجيشه عددا كالقطر والذر * وهو وإن كان كالوابل الصبيب * لكنه أعمى لأنه في بلادنا غريب * فيغنيني الرأي الصائب * أن نحصن

المدينة من كل جانب * ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد * ولنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حولنا خنادق * ونجعل أسوارها البنادق والبوارق * ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق * الى الاعراب والأكراد * والتراكمة ومعاشر البلاد * فيتسلطون عليه من الجوانب * ويثب عليه كل راجل وراكب * ويصير ما بين قاتل وناهب * وخاطف وسالب * فان أقام وأبى له ذلك ففي هو مقام * وان تقدم الينا صافحناه بسواعد الأسنة وأكف الدرق وأنامل السهام * وان رجع وهو المرام رجع بخيبة * وأقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبة * وان كان بسلطانه علينا عرج * قلنا بحمد الله بسلطان وفي سلطاننا فرج * وأقل الاشياء أن نماده ونتحرز من جنده * فعسى الله أن يأتي بالفتح او أمر من عنده * ومن الرأي الاسد * بعينه كان رأي شاه منصور لا الأسد * فقال تمرداش وهو نائب المدينة * ما هذه الآراء مكينة ولا هذه الأفكار رصينة * بل المقابلة خير من المطاولة * والمناجزة * في هذه المواطن قبل المحاجزة * ومقام المنازلة * لا تجدي فيه المغازلة * ولكل مقام مقال * ولكل مجال رجال * ومثل الطيور

في قفص * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * ونازلوه بالحرب * وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * ويستنشق من ذكره ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا امركم واعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا * وانهضوا وثابروا * واصبروا وصابروا * فانتم بحمد الله اهل النجدة * واولوا الباس والشدة * وكل منكم في هذه المناضلة مغن ومختار * وعلمه في افاضة دماء الاعداء منار * وله في ذلك كفاية * ومدايته ونهايته * وغيره له بدايه * ومولجمع الاسلام كنز واف وجامع كافي ووقايه * فنحوا لسنة سيوفكم الى تكليم الروس فهي في لفظها كافية شافية * وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريفها عليها شافية كافيه * فان كسرناه فزنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين القتال * وتلك من الله معونه * فنكون كفينا عساكر المصريين المؤنه * وكان ذلك اعلى لحرمتنا * واقوى في ورود النصر لشوكتنا * واذكى لريح نصرنا وازكى * وابكى لعين الشحينة واتكى * وان كانت والعياذ بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا واقمنا عذرا * ومخلد ومنا يدرك ثارنا * ويحيي آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار *

فاستعدوا للملاقاة هؤلاء الاشرار * واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار * ولا زال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأي الطائش * حتى اجمعوا عليه * واتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب الملك * وعلى كلامه المعول والمعتمد * وكان تمرداش قد خالف الجمهور * ووافق في الباطن تيمور * وهذه كانت عادته * وعلى المراوغة جبلت طينته * فانه كان كالشاة العائرة * والمرأة العاهرة الغائرة * اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في احدهما صاحبا منه ومكرا * بل يعبر الى هذا مرة والى هذا اخرى * مع انه كان صورة بلا معنى * ولفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه * وفوض الامور اليه * وكذلك عساكر الشام * وجنود الاسلام * ثم حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها * وضيقوا شوارعها ورحابها * ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها * وفتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه * وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناة *

ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب * على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب *

ثم ان تيمور نقل الركاب * فوصل في سبعة ايام الى حلب من عينتاب *

فحل بذلك الخميس * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك العسكر * طائفة نحوا من الفي نفر * يتقدم لهم من الامود الشاميه * نحو من ثلثمائه * فقاتلوهم بالصفاح * وشكلوهم بالرماح * فمانادوهم وطردوهم * وحذروهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف الثقاف * فتقدم اليهم طائفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبكت بين الطائفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتد ولوا التحموا * ولازالت اقلام الخط * في الواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط * والارض من اثقال اجمال القتال تاط * حتى سجى ليلا الظلام والقتام والغطشا * فتراجعوا وقد اعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو مع فرقتي نفران * وفقد من العساكر الاسلامية نفران * ثم اصبحوا يوم السبت حادي عشره وقد تجمعت الجنود الشاميه * والعساكر الاسلامية السلطانيه * بالعدة البالغه * والاهبة السابغه * والخيول المسومه * والرماح المقومه * والاعلام المعلمة * ولم يغزوا وبتلك الصنا ديد *

نحو شمة من النصر والتأييد * فنحوا قصده * وقصد وارده وصده *
واقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر
مظاهره * بالجنود المذكورة * والجيوش المعهودة المنصورة *
تؤمهم الاقبال * واخيال القتال * واذا به قد أضمر لهم الويل *
وعبى عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وارسل عليهم وقابلهم بمقدمتهم
وشغلهم باوائلهم * واحاط الباقون بهم فأتوهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشي الموسى
على الشعر * وسعى سعي النار على الزرع الاخضر * وكان هذا الجولان *
على قرية حيلان * ولما اهتمش امر الناس وهاش * وجاشت الهوشة
والانتحاش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * فرت الميمنة
وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * واخذ الابطال من الدهشة
الارتعاش * وغلبتهم الحيرة والانبهار * فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار *
ثم ولوا الدبر * وصارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر * واستمروا امامهم
يتواثبون * وعسكره وراءهم يتخاطفون *

يعجبني ما قلت * شعر *

* جعلنا ظهور القوم في الحرب أوجها * رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا *
فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم ما بين مهشوم ومجروح *
والسيوف تشققهم * والرماح تدقهم * وقد سالت بهم ما بينهم الاباطح *
وقتر من سائرجهاتهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا *
وتجمعوا فيه يدا واحدة وتكردسوا * ولا زال يدوس بعضهم بعضا *
حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى *
ولم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا في البلاد * وتفرقوا في المهامه
والاطواد * وكسر باب انطاكية الممالك الاغتام * وخرجوا منه
قاصدين بلاد الشام * فوصل فلهم الى دمشق في ابشع صورة * وحكوا
في كيفية هذه الوقعة اشنع سيرة * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا *
فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا * ونزلوا بواسطة تمرداش
اليه * وقد حصل كل منهم من الحيوة بيديه * ثم انه مشى على هينته *
مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ما طلب *
وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدي
سودون وشيخ على الخاصكي واما تمرداش فخلع عليه * وقبض

على الترلبغا العثماني نائب صفد * وعلى عمر بن الطحان نائب غزة * وجعل
الكل في صفد * وشرع في استخلاص الاموال * وضبط الاثقال
والانفال * وقد ملأت القلوب هواجس هيبته * وانتشرت في الآفاق
شرار صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى المآذن
من الرؤس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريد الذي ارسله الى
حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بقصته *
واراد القود من اهل حلب لذي قرابته * فاجاب سؤاله فمكنه * فيمن
يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى
من رؤسهم كذا وكذا مئذنه *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر
تيمور انها ثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان
بها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه حصل عليه وكان يخرج
للغارات ثم قال ما نصه بحروفه وكان قد ابدع تجاه تمرلنك وطواشيته
بقوة اقامته عليه منها وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب

وكثر تهديدها بأن كان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم
في الفرات وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت
من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامي وسائر ملوك البلاد حضروا
الي وانت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به
منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك
ان ابيت الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت
الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم
وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه
المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه
تمرلنك شدة حزم ورجع من محاربته واخذ في مخادعته وملاطفته
وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل خرجه فلم يخضع منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جارية فلم يعطه وعاد خائبا واخذ

المشار إليه في أواخره قتلاً ونهباً وأسراً كلّ ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوماً واحداً وأنشد فيه لسان الحال *

* شعر *

* هذا الأمير الذي صحّت مناقبه * ليث الوغى عمّ الدنيا مفاخره *
* ولّى تمرلنك مكسوراً وإن له * منه مراراً ومن عوراً أواخره *

وكان حصول تلك السعادة للمشار إليه دون غيره من الملوك وأصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والإخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها * ولمّا كان يوم الخميس تاسع ربيع الأول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت إليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الأسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلمّا رأى المقر السيفي اختلافهم أذن لأهل حلب في إخلائها والتوجه حيث شاؤوا وكان نعم الرأي منه

فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر الباب تلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل أن يسمع كلامه ويوم
الجمعة حصل بين الأطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي
عشر شهر ربيع الأول زحف تمرلنك بجيوشه وفيلته فولى المسلمون
نحو المدينة وازدحموا في الأبواب ومات منهم خلق عظيم والعدو
وراءهم يقتل ويأسر وأخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب
المملكة وخواص الناس إلى القلعة وكان أهل حلب قد جعلوا غالب
أموالهم فيها وفي يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول أخذ القلعة
بالأمان والأيمان التي ليس معها إيمان وفي ثاني يوم صعد إليها
وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا إليه ثم أوقفنا ساعة
ثم أمر بجلوسنا وطلب من معه من أهل العلم فقال لأميرهم عندنا
وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي والده من العلماء
المشهورين بسمرقند قل لهم إني سائلكم عن مسألة سألت عنها علماء
سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا عن جواب
فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني إلا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم فإني

فغالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في الانس بهم قلب يهيم

وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم

او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عني هذا

شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار

سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم

فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت

القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين

موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا

سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما

قلت هذا عالمنا قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب

عنه في هذا المقام ووقع في نفسي عند الجبار مثل ذلك والقى تمرلنك

اليّ سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابي

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمولنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد ما تر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسر الي القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

علم الدين القفصي المالكي كلا ما معناه ان الكل مجتهدون فغضبه

لذلك غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم

حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت في

ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف

معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل مني

ومن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف الدين

هذا رجل فصيح فسألني تمرلنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع

واربعين وسبع مائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي

شرف الدين وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمرلنك

انتم في عمر اولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت

صلوة المغرب واقيمت الصلوة وامنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبي

قائما يركع ويسجد * ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة

واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى *

اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه

القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة

ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرغم عليه ونزل تمرلنك من القلعة واقام بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنوابين في خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر الربيع الاول * ثم طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين واعاد السؤال عن علي ومعاوية فقلت له لا شك ان الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي فقال تمرلنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه

القلعة تفعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي
ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي
التي اخاف عليكما والذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا امر بشيء
فعل بسرعة ولا يحيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه ❁
وفي اول يوم من الربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق
وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريج
وقطع رؤس نقلناها الخبر فقيل ان تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا
من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما
وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عبد الجبار لنأمن طلبنا
فقال يريد يستفتيكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت
فذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل
منا احدا قصدنا فعادوا اليه ونحن ننتظره وبين يديه لحم سليق في طبق
يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من اكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وما شخص مكانا
وآخر مكانا وجاءنا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار

رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة
لحرمته على جاري عادته ففهموا منه غير ما اراد وانه قال اطلقكم
فامضوا حيث شئتم * وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق
فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الاقامة بها واخذ الامير موسى
احسن الله اليه في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد احوالنا مدة
اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر
فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك ومرة تجيء بالعكس الى ان
انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك
قتالا عظيما اشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض
امرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا بالحزم ودخل تمرلنك الى
دمشق ونهبها واحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس
بل احضر له منها مال ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعا طالبا
بلاده * ولما كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك
عائدا من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل امر المقيمين
بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبني الامير

عز الدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير زمم بإطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت وكثير لا روح معكم الى مشهد الحسين واقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد وكان القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من الفي مسلم وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى النار وهي تضرم في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك *

* شعر *

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *

وكانت نواب بلاد الشام معه ماسورين وانفلتوا اولا باول وما بقي سودون بالبطن معه في قبضة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تنكري وردي والله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة *

كما وجدته *

ذكر ورود هذا الخبر الذي اقلق * ووصول استنبوغا اليه وادار

وعذل القصار الى حلق *

فورد من حلب استنبوغا الكل واداره * والقى الامر الملك بتوبيخ القصار * وقال لاهما شر المسلمين * الفرار منا لايطاق من شيم المرسلين * من يقتل رطل حلبا * فليطلب لنفسه طريق النجا * ومن اطاق ان يشتري ذيله فلا يبيتن في دمشق ليله * ولا يغالط نفسه بالمك اصنه * فليس الخبر كالمعاينة * تفرقت الاراء * واختلفت الاهواء * وماج امر الناس موجا * وتفرقوا كما مؤدبهم فوجا فوجا * فبعض الناس انتصح * وجهزوا امره وانتزح * وبعضهم كابر واصر * وكشر انيابه لا ستنبوغا وعذل القصار واقر * واراد وا رجم هذين الناصحين * وان يسقوهما كاس حنين * وقالوا انما اردتما بذلك تهويل الناس وتشريدهم * واجلاءهم من اوطانهم وتجريدهم * وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم * والا فالامن حاصل * والسلطان عثمان الهواصل * والنواب في حلب كانوا شرذمة قليله * ولم يعتم لهم معه الفكر والحيله * مع انه حصل من بعضهم مخامره * ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره * ولم يكن لهم راس * فلا تأخذه وافي قلعة المشتملة بالقياس *

وأما عساكر مصر فإنهم كانوا العدة * وساعد العدة * وبهم للمسلمين فرج
بعد الشدة * فقالوا لا نحن بعد اللتيا والتي من شرة علمنا * وما شهدنا إلا بما
علمنا * وكل منا أفصح عما أدى إليه اجتهاده وأبان * وواقع أنه
في نصيحته المسلمين المنذرة لعنوان * وقد نصحنا لكم إن كنتم مفلحين *
ولكن لا تحبون الناصحين * واستمر أمر الناس في التردد والتشاعب *
والتفرق والتبدد والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الأماكن القدسية *
وتوجه بعض إلى الديار المصرية * وبعض تشبث بأذيال الجروف
العاصية * وتحصن آخرون بالأماكن الغامضة القاصية *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر *

ثم إن السلطان * خرج من غير توان * وتوجه بالعساكر لاستعداد
التتار * إلى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جأشهم
وزال استيحاشهم * وزال غالب ما كان برح منهم * وانفرج الكرب
والضيق عنهم * وأما أولوا العزم * وذووا الرأي السديد والحزم *
فلم يلتفتوا إلى تقدم السلطان * بل طلبوا لنفوسهم الأمان * وانتظروا

بما يتولد من حادثات الزمان * وكأن انامل الله مرالله ابر * كتبت
لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر *

* الا انما الايام ابناء واحد * وهذي الليالي كلها اخوات *
* فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذي مرت به السنوات *

وقلت * شعر *

ان اختفى ما في الزمان الآتي * فقس على الماضي من الاوقات

* فصـــــل *

ولما تجز تيمورا مرحلب * ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال وسلب *
ووضعه في القلعه * ووكل به بعض امرائه من ذوي الشجاعة والمنعه *
وهو الامير موسى بن حاجي طغاي * وكان ذا عزم شديد ورأي *
وتوجه بذلك الجيش الطام * غرة شهر الربيع الآخر الى جهة الشام *
فوصل الى حماه * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بامر نهب واسير *
ولا بالسرايع في مسير * بل سار رويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

* حكاية *

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة

تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماة بالتجاء مع النوروزي بها
من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسية
ما ترجمته * وسبب تحرير * هذا التسطير * هو ان الله تعالى يسر لنا
فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد *
فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف
والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك
ان تنعقد المودة بين الجانبين * وتأكد الصداقة من الطرفين *
ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم
الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا
لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماة
في العشرين من شهر الربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة *

* فصل *

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتبديد * ووهبها لسيدي
خالد بن الوليد *

قلت بديها * شعر *

* ألا لا تجاور سوف التحير بين جحا وكن جارهم في العبوره *

* ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بعاد بلايا تمور *

* لأنهم جاوروا خالدا * ومن جاور الأتقيا لا يبور *

وخرج إليه شخص من آحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس *

فاستجلب خاطره * وكأنه قدم إليه تقدمة فاخرة * فولاه أمور

البلد * وركن إليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى

شمس الدين بن الحداد * ونادى بالأمان * للقاصي والدان *

وتبايعوا بها وتشاوروا * وفي استفادة ربح الأمن لم يتماروا * ثم إن نائب

الشام ضعف معه ومات على قلة يلبغا * ونائب طرابلس هرب منه

وللخلاص ابتغى * فوصل الى ملطية * واستقر في ولايته * فاضطرم

غضبا * واستشاط لهبا * واشتعل قيظ غيظه * وقتل كل من وكله بحفظه *

وأسعر بهم سقر * وكانوا ستة عشر * وأما تمرداش فإنه داراه وماراه *

وهرب منه في قارا * واستمر علاء الدين ألطنبغا العثماني نائب صفد *

وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه في صفد * ثم ساروا ارتبك *

حتى نزلا على بعلبك * فخرج أهلها ودخلوا عليه * وترامو طالبين

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى مقال * وارسل فيهم جوارح النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار * ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملاؤا الفضاء * واشرق الكون منهم واضاء * فيا لها بها لجب قلب من نوى الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل عقص ماحقه * واسنة رماحها الرتق سماء الارواح من ارض الاشباح فاتقه * وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة * ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملاؤا البطاح والبراح * وساروا بالمقانب المكتبه * والكتائب المقنبه * والكواكب المكوكبه * والمراكب الموكبه * والمواكب المقربه * والمقربات المرتبه * والسلاهب المجنبه * والنجائب التي هي على اكل اللجم مستلهبه * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور القشاعم *

* قلت * شعر *

* ورُبَّ ذِي لَجَبٍ كالطَّوْدِ ذِي حَنَقٍ * كأنَّهُ البَحْرُ في أثنائه آفاتُ *

* بَحْرانِ في كُلِّ مَوْجٍ منهما أَسَدٌ * يُلاعِبُ المَوْتَ في كَفَّيْهِ حَيَّاتُ *

* كُلٌّ يَرَى العَيْنُ مَعْنَاهُ وصُورَتَهُ * عِنْدَ النِّزالِ وإن يَنْزِلْ فَشَظَفاتُ *

* إن يَسْرِ تَلْقَ السَّما في الأرْضِ دائِرَةً * أو سارَ تَعْقِدُ أرْضًا منهُ غَبَراتُ *

وقد تَنَكَّبُوا حَنايا المَنايا وتَقَلَّدُوا سُيُوفَ الحُتُوفِ واعْتَقَلُوا الأَسِنَّةَ والنِّبالَ النَّواهِلَ * وثَبَتُوا حَيْثُ نَبَتُوا وكأنَّهُم خُلِقُوا من كَواهِلِ الصَّواهِلِ *

* قلت * شعر *

* كأنَّ الجَوْثَوبَ لازَوَرْدِي * يُزَرْكِشُ نَسْجَهُ قَصَبُ الرِّماحِ *

فإن عَقَدَ القَتامُ عليه لَيْلاً * أَرَتْكَ صِفاحُهُ لَمْعَ الصَّباحِ *

* كأنَّ نُجُومَهُ النُّشَّابُ تَرْمِي * شَياطِينَ الكِفاحِ لَدَى النِّطاحِ *

ولا زالت أفواجُ هذه الأمواجِ * على هذا المِنْهاجِ مُتَلاطِمَةً * وأمواجُ هذا البَحْرِ العَجَّاجِ * تحتَ العَجاجِ مُتَصادِمَةً * وكُلٌّ يُنادِي بطريقِ المَفْهُومِ * وما مِنّا إلّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * فوَصَلْتُ غَيْلانُ الوَغَى * إلى قُبَّةِ يَلْمَغا * يومَ الأحَدِ العاشِرِ * من شَهْرِ الربيعِ الآخِرِ * عامَ ثَلاثةٍ وثمانِمائةٍ من الهِجْرَةِ * فنَزَلَ كُلٌّ من العَساكِرِ يَمْنَةً ويَسْرَةً * واسْتَقَرَّتِ العَساكِرُ

والأمراء الإسلامية * في البيوت والمساكن * ونزلت الجنود التتارية * غربي دمشق من داريا والخولة وما يلي تلك الأماكن * ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد * ثم أخذ كل من الجيشين حذره * وتجهز المقاتلة والمقاتلة أمره * وحفروا الخنادق * وشد كل على الآخر أفواه المضائق * وشرعوا في المهاوشة والمناوشة * والمهارشة والمعانشة * ثم أمر السلطان العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة رؤساء أعيانها * وتنحاز في المقاتلة الى سلطانها * والأطفال الصغار والرجال * يجأرون الى الجبال * رينادون بحرقة * كل ليلة في الأزقة * يا الله يا رحمن * انصر مولانا السلطان * والناس في اضطراب وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار * يا مجاهدون الأسوار * واستشهد من رؤساء البلد في تلك الأيام * قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام * وشلت يد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حسام * وجعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * وبما غنموا منهم من باطق

وما هم فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة حدثت * لو أنها نفعت *

ثم في بعض الأيام * تقدم من أولئك الأغنام * نحو من عشرة آلاف *
وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشامية *
نحو من خمس مائة * ثم اتبعهم الأمير استنباي في نحو من ثلاث مائة *

* شعر *

* أسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا *
* شموس اذا الاهوال ولوا اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همّوا *
* صقور اذا انقضوا نمور اذا سموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تحجب قدود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك
الدماء من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبهها
بأجفانه صائبه * وترس لين اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على
شمس * وعليه خوذة * كأنها من لمعان وجنته مأخوذة * وزمن بوارق
طلعته مفلوذة * اذا نظر الطرف اليها بأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها
يذهب بالابصار * ولبوس أشبه لابسه * وما زملابسه * ظاهره حرير

ناعم كبشرته * وباطنه خشن كقلبه في قسوته * وقد امتطوا الفحول * من نجائب الخيول * فكأن بدور تلك الجموع * مع الرماح المتهيئة الاسنة عروس تجلى تحت الشموع * وتوجهوا الى حومة الوغى * وتلا قوا في واد خلف قبة يلبغا *

* فصـــل *

ولما رأت هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعليله * وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله * فاحاطوا اولئك بهولاء لكثرة الغلبه * وادار والقرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه * وحين صاروا في خبن هذه الدائرة كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالضرب العضوض * فلولا ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الراس وخبل العقل وقطع الكف * فسلموا بالرمح الطويل عقلهم * وثلموا بالرشق المديد شكلهم * وبتروا بالعضب البسيط وافرهم * وشتروا بالسهم السريع كاملهم * فحذفوهم وقصموهم * وخرموهم وشعثوهم وثرموهم * وهتموهم ووقصوهم وعصبوهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم *

فزادوا صلف وزهم على الاعجاز * وسلّ وطي حقيقة الخلاص منهم المجاز * فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف * ومجزوء ومنهوك وموقوف * ورجع استنباءً المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك خفيفهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم * وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * وبالتمكين التام مذيل * وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل *

ذكر ما افتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر والمين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شابًّا ذا شجاعة * وعنده طيش ورقاعة * واظهروا بقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح * وكان في رأسه خمة شعر فازالوه * وخلعوا عليه ومن زيهم اظهروه *

* فصـــل *

ثم ان تيمور اشاع انه خار وتتعتع * فرحل قليلا ورجع القهقرى

وتكعكع * كل ذلك من مكائده * وحبائل مصائده * وبيان ذلك انه

بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرون * فيفوتونه

اذ ذاك فاظهر الخون * وشيع انه راحل ليثبتهم * وعن الفرار

يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بيك

وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان عدده كثيرا * والجيش

وان تراآى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شيء

منهم بسوء الراي صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم *

وانتقلت اشعار شعارهم من الدائرة المؤتلفه * الى الدائرة المختلفه *

ونقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * وادخل في عرض صاحبه

بالتعاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف

الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع *

وسلطوا على مرعى مزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سنن هذا

الحيف الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

والأوائل بالأواخر * وصاروا كما قال الشاعر *

* شعر *

* تفرقت غنمي يوماً فقلت لها * يا رب سلط عليها الذيب والضبعا *

وتوجه منهم رؤس الى القاهرة * تاركا كل منهم قوته وناصره * وصاروا تيمور في تغيبه عنهم معرفة السياسه * والدربة في سلوك طرائق الرياسه *

* فصل *

ولما علم الغابرون * ما فعله السائرون * لم يسعهم غير تشمير الذيل * واتباعهم تحت جنح الليل * ومن تخلف عن قوم * او اخذته سنة او نوم * وقع في الشرك * وهوى الى اسفل الدرك * وكان الناس في الليل والنهار * ملازمين الاقامة على الاسوار * وكل قد فرح وابتهج * وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج * ففي بعض الليالي صعد الناس الى مكان عالي * واذا باماكن مخيم السلطان * قد ملئت من النيران * ولم يعرف احد ما الخبر * غير ان الدنيا ملئت بالشر والضرر * واصبحوا وقد خلت الديار * ولم يبق في قبة يلبغا ديار * فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم * فجعلوا يتهافتون وفيما بينهم

بيّنها فتون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب *
فانقصم ظهر الناس * وايقنوا حلول الباس * وتفاقمت الهموم *
وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق انواع
العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطت الاوامر والامور *

* فصــــل *

ثم ان تيمور رحمل ربه * ورحل من مكانه ونزل القبه * والقى عصاه *
ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت * * شعر *

* الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد ادبر والمأمول قد حصلا *
وحفر الخنادق حوله * وبث فى الاطراف رجله وخيله * وارسل
الطلب * وراء من هرب * وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال *
امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك
الفلاة * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوة *

* فصــــل *

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم *
وانصاب انصياب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين

تيمور في الارض * وملأت الطول والعرض * ووصلت طوا شتهم

الى اطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * وجعلوا

من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها *

وتقدموا الى المدينه * وكانت كما ذكر بالاهبة حصينه * وبانواع

الاستعداد مكينه * مقفولة الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع اهلها

عليهم * ولم يسلموها اليهم * رجاء ان يشموا من النجدة الارج *

او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين *

ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان

وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت *

ذكر خروج الاعيان * بعد ذهاب السلطان * وطلبهم من تيمور الامان *

ولما انتهى الظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع

من المدينة الكبراء * والموجود من الاعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة

محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين

وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة

شمس الدين بن محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين بن محمد بن أبي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة اذ ذاك له أبهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين الحباتي الشافعي والقاضي شهاب الدين ابراهيم بن القوشة الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن أبي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان * وطلبوا منه الامان * بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت كلمتهم في سلك الوفاق *

* فصـــل *

ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المشحون * وقع في بحر العساكر التيمورية قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من اعلام الاعيان * وممن قدم مع السلطان * فلما قفل السلطان وانفرك * كانه كان غائباً فوقع في الفرك * وكان نازلاً في المدرسة العادلية * فتوجه هؤلاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضية * فوافق فكرة فكرهم * فملكوه

في ذلك أمرهم * وما وسعهم * إلا استصحابه معهم * وكان مالكي
المذهب والمنظر * أصمعي الرواية والمخبر * فتوجه منهم بعمامة
خفيفه * وهيئة ظريفه * وبرنس كهو رقيق الحاشيه * يشبه
من دامس الليل الناشيه * فقدموه بين يديهم * ورضوا بأقواله
وأفعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه *
واستمروا واقفين * وجلين خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين
نفوسهم * ثم هش إليهم * ومر ضاحكا عليهم * وجعل يراقب أحوالهم *
ويسبر بمسبار عقله أقوالهم وأفعالهم * ولما رأى شكل ابن خلدون
لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من هاهنا * فانفتح للمقال مجال *
فبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طووا بساط الكلام * ونشروا سماط
الطعام * فكوموا تلالا من اللحم السليق * ووضعوا أمام كل ما به يليق *
وبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الأكل بالحديث
ولها * وبعض مد يده وأكل * وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل *
والى الأكل أرشدهم * ونادمهم وأنشدهم *

* شعر *

* كلوا أكل من إن عاش أخبرا فله * وإن مات يلق الله وهو بطين *

وكان من جملة الآكلين * قاضي القضاة ولي الدين * وكل ذلك وتيمور
يرمقهم * وعينه الخزراء تسترقهم * وكان ابن خلدون أيضا
يصوب نحو تيمور الحدق * فإذا نظر إليه أطرق * وإذا ولى عنه
رمق * ثم نادى وقال * بصوت عال * يا مولانا الأمير * الحمد لله العلي
الكبير * لقد شرفت بحضوري ملوك الأنام * وأحييت بتواريخي
ما ماتت لهم من الأيام * ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا *
وحضرت كذا وكذا سلطانا * وشهدت مشارق الأرض ومغاربها *
وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها * ولكن لله المنة إذ امتد بي زماني
ومن الله علي بأن أحياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة *
والمملك شريعة السلطنة على الطريقة * فإن كان طعام الملوك يؤكل
لدفع التلف * فطعام مولانا الأمير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف *
فاهتز تيمور عجبا * وكاد يرقص طربا * وأقبل بوجه الخطاب إليه *
وعول في ذلك دون الكل عليه * وسأله عن ملوك العرب وأخبارها *
وأيام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما خلع عقله وخلبه *

وجلب لبه وسلبه * وكان تيمور في سير الملوك والامم امه * وبالتواريخ
شرقا وغربا وامه * وبمثل كل هذه المعاني * بديع بيان *

* فصل *

وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير * اذا بالقاضي صدر
الدين المناوي في ايديهم اسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب *
فادركه في ميسلون الطلب * فقبضوا عليه * واحضروه بين يديه *
واذا هو بعمامة كالبرج * واردان كالخرج * فتخطى الرقاب *
وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاستشاط تيمور غضبا * وملأ
المجلس لهبا * وانتفخ سحره * وشجر غيظا نحره * وشخر ونخر ومخر بحر حنقه
وزخر * وامر طائفة من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين *
فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * واوسعوه سبا
وشتما * واشبعوه ركلا ولكما * ثم امرهم بنشب يد اسره * وتجديد
كسره * وترادف الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التصريفيين
عليه * فاخرج اخراج الظالم * يوم يولون مدبرا ماله من دون الله
من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب غوائله ودواهيه *

فألبس كلا من هؤلاء الأعيان خلعة * وأقام عنده في عزة ورفعة *
ثم ردهم منشرحي الصدور * في دعة وسرور * وفي خاطره
غرور * وأمور تثور * فساروا * وقلعها زاروا *

* قلت * شعر *

* كالهدي زينه المهلوك وعظمه * وعن قريب لضيف الموت أطعمه *
وشرط لهم ولكن وبهم الأمان * على أن يدفعوا إليه أموال السلطان *
وماله وللأمراء من أثقال * وتعلقات وأموال * ودواب ومواش * ومماليك
وحواش * ففعلوا ما به أمر * ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر * فأما القلعة فإنها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى
ازدار * فحصنها * وبالأهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان
نجدة * أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة * فلم يلتفت تيمور في أول
الأمر اليها * ولا احتفل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه الى تحصيل
الأموال * وتوسيق الأحمال بالأثقال * فلما حصل الغرض والحاصل
من خزائنه انتقل * طرح على المدينة أموال الأمان * واستعان على
استخلاصها بهؤلاء الأعيان * وأقام عليهم دواوينه وكتبته * وأمل

الضبط والخرص من مباشرته وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله داد *
احد اركان دولته ومن عليه الاعتماد * وهو اخو سيف الدين الامير المذكور *
في اول الكتاب لامه * واقام معهم كل جبار عنيد ومن نشا في حجر الفظاظة
ورضع ثدي ظلمه * ونادى بالامان والاطمئنان * وان لا يبغي
انسان على انسان * فمد بعض الجغتاي يده الى غارة * بعد ما سمعوا
هذا النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فامر بصلبهم في مكان
مشهور * فصلبوهم في الحريريين * براس سوق البزوريين *
ففرح الناس بهذه الفعلة * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من ابواب
المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر المدينة على التقرير
والتقطير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات * وتنادوا هذا محل
الظلم والعدوان من القريب والغريب بالثارات * وجعلوا دار الذهب
مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * وتسلط بعض
الناس على البعض * واستظهر ذئاب الارض بكلاب الارض *
وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره
كجيش تيمور بنثيره على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق *

ثم الى بيت الامير بجاص وامر بالقصر ان يهدم ويحرق * ودخل الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * وصلى الجمعة في جامع بني امية * وقدم الحنفية على الشافعية * وخطب به قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه من امور وشرور * ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي * وبين علماء الشام لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات ومراجعات * وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها وقائع علي ومعاوية * وما مضى بينهم في تلك القرون الخالية * ومنها امور يزيد وما يزيد * وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في الكفر * ولا شك ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه فهم كفار * وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واغرار * وان الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبة * فمنها ما هو مردود * ومنها ما هو عجيبة * الى ان اجاب كاتب اليسير

وأجاد * وأصاب فيما قال لو أفاد * أطال الله الكبير * بقاء مولانا الأمير *
أما أنا فنسبتي متصل بعمرو وعثمان * وإن جدي الأعلى كان من أقيال
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان
من رجال الحق * وأبطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضح
الشيء في محله * أنه توصل الى رأس سيدنا الحسين * ونزعه
مما حصل له من ابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعظمه وقبله
وطيبه وبجله * وواراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى
من أفضل قربه * فلذلك أيها الغمام الصيب * كنونا بأبي الطيب *
وعلى كل تقدير * أيها الأمير * فتلك أمة قد خلت * وغموم غيوم انجلت *
وبما جرعت انقضت * وبما أذاقت مرت وحلت * وفتن أراحنا الله
إذ أزاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * وأما الساعة *
فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعة * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله
العجب * وما سميتم بأولاد أبي الطيب إلا لهذا السبب * قال نعم
ويشهد لي بذلك القاضي والدي * وأنا محمد بن عمر محمد بن أبي
القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبي الطيب العمري العثماني * فقال

لك المعذرة * ياطيب الاسلاف * لولا اني ظاهر العذر لحسنت على عاتقي
والاكتاف * ولكن ستروى ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم
والالطاف * ثم انه ردعهم بالتعظيم والاحترام شيعهم * ومنها انه
سألهم كناية * سوالا اضرار ونكاية * فقال ما اعلى الرتب * درجة
العلم او درجة النسب * فاذكروا فصده وفهموا * لكن عن رد الجواب
وجموا * وعلم كل منهم انه قد ابتلي * فابتدر بالجواب القاضي
شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقال درجة العلم اعلى من درجة
النسب * مرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب * والهجين
الفاضل * يقدم على الهجان الجاهل * والمقرف المنيف * اولى
للامامة من الصيد الشريف * والدليل في هذا جلي * وهو اجماع
الصحابة على تقديم ابي بكر على علي * وقد اجمعوا على ان ابا بكر
اعلمهم * واثبتهم قدما في الاسلام واقدمهم * واثبات هذه الدلالة *
من قول صاحب الرساله * لا تجتمع امتي على ضلالة * ثم اخذ في نزع
ثيابه * مصيخا لتيمور وما يصدر من جوابه * ففكك ازراره * وقال لنفسه
انما انت عارة * وكاس الموت لا بد من شربها * فسواء ما بين بعدما

وقربها * والموت على الشهادة * من افضل العبادة * واحسن اقوال من اعتقد انه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسأل ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * ان فرق عساكرك كأمم بني اسرائيل * وفيهم من ابتدعوا بدعا * وتقطعوا في مذهبهم قطعا * وفرقوا دينهم وكانوا شيعا * ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل وعقائل مباحثها تحل الصدور وتعقل * واذا تبع هذا الكلام عني ووعاه احد غير سني * خصوصا من ادعى موالاة علي * ويسمى في رفضه ابا بكر بالرافضي * وتحقق مني تعيينه وانه لا ناصر لي يقيني فانه يقتلني جهارا * ويريق دمي نهارا * واذا كان كذلك فاني استعد لهذه السعادة * اختم احكام القضاء بالشهادة * فقال لله هذا ما افصحه * واجراه في الكلام واوقحه * ثم نظر الى القوم * وقال لا ينخلي هذا محلي بعد اليوم

* فصل *

وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه * وممن يخوض في دماء المسلمين امامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا *

اصولياً جدلياً مدققاً * وابوه النعمان * في سمرقند كان * وهو
في الفروع من اعلم اهل الزمان * حتى كان يقال له النعمان الثاني *
وكان من القائلين بعدم الرؤية في الاخرى * فاعمى الله تعالى
بصره كبصيرته في الدنيا * واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه
الفروع * ونقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع
بين اهل السنة واهل الاعتزال * وانما اختلافهم في اصول الدين
في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

* فصل *

تصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور
صدام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحارثي وابن المحدث
وعبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقه * وغيرهم من نظرائهم *
من عواقب الظلم وابنائهم * مع حضور اكابر المدينة واعيانها *
المار ذكرهم ورؤساء قطانها * فانه امكنهم في ذلك ان يتخلفوا *
ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور ذوا وينه وحسابه *
وضابطي امور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السمناني *

ومولانا نصير الدين الطغلاني * كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور * ونزل الله داد داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * وجمع كل من في قلبه من آحاد ضغينه * او شحنة دفينه * او غل او حسد او حقد او نكد * يغمز على اخوته اولئك الظلمة الفظاظ * والزبانية الشداد الغلاظ *

* شعر *

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا *

بل بادني اشاره * واقل عباره * يمنون لهذا الارض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق * وينشئون على حسب الحقد اذا من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق * وتبرق له من الدمار والبوار بوارق *

* فصل *

ثم انه صار في مدة المدة يحاصر القلعة ويعد لها ما استطاع من عدد * وامر ان يملي مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدوها * فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعبوها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب

أدركوها * وذلك من جهة الشام والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها بالطعن والضرب * وفوض أمر الحصار * لأمير من أمرائه الكبار * يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها المجانيق * ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق * وكان فيها من المقاتلة * فئة غير غافلة * أمثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي * وشهاب الدين احمد الزردكاش الحلبي * فأبليا في عسكره بلاء حسنا * وكان على جيشه كلما فاء اليه فنا بهم وباء مصيبة وفنا * فاهلكا من جيشه بالاخراق * وازهاد المدافع والابراق * ما فات العد * ويتبدد عن دائرة الحد * ولكنه لما احاط بها من بحار تخريبه سيل عرم سائلها * وامطر عليها من سهام غمام رماته وصوا عق بوارق كماته صيب وابلها * اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها وعن شمائلها * وكلت عن المجاذبة والمنابذة ايدي مقاتليها * فطلبوا الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء العجيب * في أواخر شهر الربيع الآخر وجمادين وشهر رجب * ولكن ما نال من القلعة رؤما * إلا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين يوما *

وما رفي مثلها المدة يتطلب الافاضل * واصحاب الحرف والصنائع وارباب الفضائل * ونسج الحريريون له قباء ابالحرير والذهب * ليس له درزا ذا موشى عجب * وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم * وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم *

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * ووقى وقيا بنفائسه النفوس والانفاس *

وكان في صفد * تاجر من اهل البلد * احد الرؤساء والتجار * يدعى علاء الدين وينتسب الى ذوادار * كانه تقلد منه له خدمة على السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب * والعادة ان ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب * ناب عن نائبها التونبغا العثماني * حاجبها علاء الدين الدوادار * فغرق في امر ذلك الطوفان * كل النواب من جملتهم العثماني وابن الطحان * ومات منهم من مات وفر من فر * واعتبر في قيد الاسرا لتونبغا وعمر * فلما قدم تيمور الشام * وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء باموال الايتام *

مع كل متولي في بلاد * يفعل ما ادى اليه الاجتهاد * فبعض حصن
اماكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للنفار * وفرقة استوفزت
للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادوا وهادنوا * ففكر علاء الدين
المذكور وقدر * وتأمل في خلاص صاحبيه وبلده وتبصر * وكان
من انباء الناس * وعنده ذوق الاكياس * واستشار مصيب عقله في ذلك
واستفتاه * فقال دارِهِ بما معك من مالٍ واترك ضرب الفراز ونفقه *
وما كنّ به اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له وصدقه * وكان ذا مالٍ
ممدود * فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام
السود * فطلب من تيمور الرياضه * واراد ان يحسن اولا بمجاملته
مخاصه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهادنة
وجال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور اجناسا من ماله
الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى اوامره * ثم اردفها
باضعافها * واضعف خواصرها بازدائها * فشكر تيمور له صنعه *
وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه * وارسل اليه مرسوم امان * وان
يعامل هو واهل بلده بالمجاملة والاحسان * فليؤمن رزقهم * وليسكن

جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث انهم يتهايعون ويتشاورون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون * وان استطال احد من اجناده * ولو انه من اخوته واولاده * فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما اراده * فيرسله اليه بزيادة * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقل وجنس طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض * جمل بصل ابيض * بناء على ان ذلك لا يوجد في الشام باسرها فضلا عن صفد * ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال فارسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبه وتمنى قربه * وقال فيه معنى *

ما قلت * شعر *

* داريت وقتك واحتميت ببذل ما لك يا بشر *

* لو كان مثلك آخر في الشام ما سمت بشر *

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه من دمشق ورحل *

لمّا اقشعّ عن الشام ضباب ضيره * وامتدّ في ميدان الرحيل حبل سيره * أعقب علاء الدين الدوادار * قاصداً الى ذلك الاسد الضاري * ومعه تحف سنيه * ونتف ملوكيه * ومطالعة فحاويها رائقه * ومعانيها فائقه * والفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه * فيها من الترقيقات ما تقشعر منه الجلود * ويلين له الحديد والصخر الجلمود * ويجري في طبائع الأبدان اليابسة جري الماء في العود * وطلب في اثنائها مرحمة في أمر العثماني وابن الطحان * وجزنا صية عبوديتهما بمقراض الاعتاق والامتنان * وان يجعل العفو عنهما شكر القدره * ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره * وانهما اقل من ان ينسبا الى اسره * إذ ملوك الارض تودّ لو كانت اطفالاً تحت حجره * ورأيه الشريف اعلى * وامتثال ما يبلغه من المراسيم أولى * فلما اطلع تيمور على فحواه * وفهم ما ابداه وما انهاه * وشاهد تحفه ومداياه * وتفكر في اول أمره ما الحجه معه من النعم وما أسداه * والخير له تأثير * والبادي أكرم * والشر كله تقصير * والبادي اظلم *

قلت * شعر *

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا انت لا تسي *

وقيل * شعر *

* من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

لان قلبه وان كان حديدا * وهان صعبه الذي لم يزل شديدا *

فدعاهما * واكرم مثواهما * واحسن اليهما * وذكرلهما شفاعة علاء

الدين فيهما * ثم امنهما الباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثماني

اثنان * وواحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلغهما

المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * وحل ذاك في صفد

وهذا في غزته *

* فصـــل *

ولما تنجز لتيمور اخذ القلعه * جهز امره ورام الرجعه * وقد استخرج

منها ما اراد من نفائس واموال * بانواع العقاب واصناف

العذاب والنكال *

ذكر معنى كتاب ارسل اليه * طي بيسق بعد ما فروا من بين يديه *

وقيل ان السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا اثارمنه الغضب *

فمن معناه * وفحوى ما عناه * لا تحسب أنّا جزعنا منك * وفررنا عنك *
وإنما بعض مما لبكنا قوى أنفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة راسه *
وتصور ان كل من خرج عرج * ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلماً فلزج *
ولو أذن لك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فان
دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذ ابلى بجسمه مرضا ن د أوى
الأخطار * ورأيناك أنت أهون المخاطبين وأحقر * فثنى عزمنا
الشريف عنانه * ليعرّك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم
في نظم طاعته ميزانه * وايم الله لنكونن عليك كرة الأسد الغضبان *
ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان * ولنحصدنكم
حصد الهشيم * ولندوسنكم دوس الحطيم * فلتلفظنكم رحى الحرب
في كل طريق * لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق *
ولنضيقن عليكم سبل الخلاص * فلتنادن ولات حين مناص *
ونحو هذه الترهات * ومثل هذه الخرافات * التي هي كالملح
على الجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولو كان بدل هذا
الكلام الذي لا طائل فيه * والخطاب الهذيان الذي تمجه الآذان

وتر ميه * ما يستميل خاطره * ويطفي من لهيب غضبه نا ئره * مع شي من الهدايا والتقادم * وابرازقضايا هم في صورة المعتذر النادم * ربما كان كسر من غيظه * او فمل من حنقه وبرد من قيظه * وانما فعلوا تلك المعذرة * بعد حريق دمشق وخراب البصرة * وارسلوا الخدم والهدايا بعد ضبة النعام والزرافات * وقد اعجز التدارك وفات * وصاروا كما قيل *

* شعر *

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله * في النائبات ولكن بعد ما افتضحا *

وكما قيل * مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

* فصــــــل *

ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه * وأديت الرسالة اليه * وقرئ الكتاب عليه * قال لي قل الحق * ما اسمك قلت بيسق * قال ما معنى هذا اللفظ المزري * قلت له مولانا لا ادري * فقال انت لا يعرف معنى اسمك يا تعاله * فكيف تصلح لحمل الرساله * ولولا ان عادة الملوك ان لا يهجوا الرسل * وقد مهد واملى ذلك القواعد وسلكوا

السبل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة

ما قيل *

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها *

ثم قال لي توجه الى قلعتكم * ومكان عزتكم ومنعتكم * فذهبت فوجدتها قد دكت دكا * وهيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رأيته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان اراسله * ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك * وما انا منشب مخاليب اسود بي بذنبك * فليشمر للقرار وللفرار الذيل * وليعد لا يهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل * ثم امرني فاخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر ودحرجت *

* فصـــــل *

وجيبن ملآ جراب طمعه من نفائس الاموال وردنه * واستدرّ خلفا نها شيأ فشيأ صافيا ورنقا حتى صفا ها بقطنه * أمر بتعذيب هؤلاء الأمراء الكبار * فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار * واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار * ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام * والسبي الطام * والفتك والقتل والاحراق * والتقييد بالاسر على الاطلاق * فهجمت اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم * وانقضوا على الناس بالتعذيب * والتثريب والتخريب * انقضاض النجوم * واهتزوا وربوا * وفتكوا وسبوا * وصالوا على المسلمين واهل الذمم * صولة الذئاب الضوارى على ضوارى الغنم * وفعلوا مالا يليق فعله * ولا يحمل ذكره ونقله * واسروا المخدرات * وكشفوا غطاء المسترات * واستنزلوا شموس الخدور * من افلاك القصور * وبدور الجمال * من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والاصاغر بانواع العذاب * وبدا للخلق مالم يكن فى الحساب * واستخلصوا باصلاء النار رجوا من الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس

وبينهم من نكرة ابيهم * وكيف يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي * ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان نقد امثاه الملاحم انا انجحمته * وفي مضايق البلاء رما زق الا انكسار انا اقحمته * وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنا لي العيش واصف قانيه مجاوروه * فان اقتضت الاراء المنيره * ارسال قاصد الى تلك الاماكن والقبائل الكثيره * صحبة مرسوم شريف * وامر عالي منيف * باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم وترقيع حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش وريق وريف * ونتخلص من هذا التشتت * والخلق التشتت * ونقتضي ما مضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الانهار * فالرأي الشريف اعلى * واتباع ما يبديه بالممالك اولى * فقال له تيمور انت عنه يقها المرجب وجذيلها المحكك * ومع وجودك انت من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك ومريدك * ومن تراه لشيء اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل انت اولى بهذا الامر ممكن ضمينه * اذ لا يعتني وما لك في المدينه *

فمال ايدكو الى واحد من الامراء * ليكون له عليهم وزرا * مع مراسيم
شريفة * بما تقتضيه الآراء المنيفة * فاجابه وقضى مراده * واضاف اليه
من اراده * ليقضيا مآربهما وينجزاه * ونحو مطالبهما تجهزا * ولما فصل ايدكو
عن تيمور * استدرك فارطه * وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه *
فانفذ اليه قاصدا * ان يكون اليه عائدا * لامر قد سنح * ورأي
قد جنح * فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما ارسل به اليه * قال له
وللامير الذي معه * وقد نهى كلا منهما ان يتبعه * اقضيا مآربكما *
والحقا صاحبكما * وقولا بلغاه * ان امد اجتماعنا امنتهاه *
واني بريء منه اني اخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك
المضايقة الشديدة الا ملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحرفا وما وقفا *
ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتبرح وتبرم * وحرق عليه الارم
وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع
كأس العتب ويوم يعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التعقيب به فلم
يتحرك له بحركة * وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه * فكان
هذا آخر امره من دشت بركه * قيل انه لم ينخدع تيمور ويد منه *

ويخلبه قولاً وفعلاً ويطغيه * سوى ايدكو الماري ذكره * أوّلاً وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي الآتي حكايته وأمره *

تتمة ما جرى في نواحي الشمال * بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال * الى ان تغير أمر كل منهما وحال *

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقر في مملكته بعد ما وصل * اتصل ايدكو بحاشيته * وابتهج بعصا غيبته وغاشيته * وأخذ في التفتيش من امور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولما واته انتصب وتجهز * اذ لم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رقع ما خرقه * وايضاً ما امكنه الاستقلال بادعاء السلطنة * اذ لو امكن ذلك * لادعاه تيمور الذي ملك الممالك * فنصب من جهته سلطاناً * وشيّد في دار الملك خاناً * ودعا رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فلبوا دعوته واقبلوا عليه * اذ كانوا اقوى من غيرهم * آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم * فقوى بذلك سلطانه * وعمر بفحول الجنود خانه * وثبت في دار الملك اساسه وعلت اركانه * واما توقتاميش فبعد ان تراجع وهله * واستقر

جمع عساكره * وحصل عدده * ورجل عدده * وما بيده مقبله
واستنجد قومه وناصره * فلا زالت حروب الضراب لحراب الحروب
بينه وبين ايدكو قائمة * وعيون السكون لجفون الزمان المتعامي
عن صلحهما نائمة * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مرة * يدال هذا
على ذاك تارة وذاك على هذا اخرى * فاختل امرهما وآل الدشت
الى التناقص والشتات * وبواسطة قلة العقول والحصون وقعوا في الانبثاث
والانبتات * لا سيما وقد تناوشها اسدان * واظل عليها نكدان *
وقد كان جلهم ذهب مع تيمور * واسر وهو في اسره محصور * وفي
حصره مأسور * فانقلبت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن
ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك
لحظهم المشؤوم وجدهم المنكوس * فصاروا بين مشركين نصارى *
ومسلمين اسارى * كما فعله جبلة ببني غسان * واسم هذه الطائفة
قرابوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الدشت الى الخلاء والخراب *
والتفرق والتباب * والانفلات والانقلاب * وصارت بحيث لو سلكها احد
من غير دليل وزملة * فانه يهلك على الحقيقة * لاضاعته في المجاز طريقه *

من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذهلت كل مرضعة عما ارضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت * وفرّ المرء من اخيه وامه وابيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * واستمرت النهب العام * نحوا من ثلاثة ايام *

ذكر القائهم النار * في البلد لمحو الآثار *

ثم انهم لما انتهوا العيث والعبث * وقضوا في حج فسادهم التفث * واتموا ها بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * رموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات * وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * ورملوا في اشواط الاحراق فارملوا في حرم المدينة شواظا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع

بني امية * فتشبثت النار بلهيبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتساوقا في محو الآثار ريحاً ونارا * واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا الهمس * واصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس * وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * واوسقوا به الاحمال *

ذكر اقلاع ما تيك الرزايا * واقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا * عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا *

ثم ارتحل ذلك الفتان * واقلع صيب بلائه الهتان * يوم السبت ثالث شعبان * وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل * ويلقونه شيأ فشيأ في اوعار المراحل * وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل * واضحت القفار والبراري * والجبال والصحاري * من الامتعة والاقمشة * كأنها اسواق الدهشة * وكان

الارض فتحت خزائنها * واظهرت من المعادن والفلوات كامنها *

قلت بذ يها * شعر *

* وما زلسان شرهم ينادي * على قنن الشواهق والبوادي *
الا ذي شنشنة عرفناها * وعادة نساد الفناها * ومن ملكنا ودينه
اقترفناها * نهبنا اموال المسلمين وحفظناها * وما في وجهها
صرفناها * ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها *
ومع ذلك فلو احذ من نفائس دمشق اضعاف ما اخذ * وفلذ من اكباد
ذخائرها آلاف ما فلذ * ما غاض ذلك ما في عينها * ولا نقص
من بحار معينها * ولكن النار كانت هي البلاء الداهي * والمصاب
المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث *
فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشة والاثاث * وصريت الكلاب
باكل لحوم من مات داخل البلد * فما صار يجسر على العبور الى جامع
بني امية احد *

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم
هذه الاهوال والاخطار *

فأما مصر فما دونها من البلاد فإنها تخبطت * وانخلعت قوائمها وأيديها
تربطت * وعدمت القرار * واستعدت للفرار * فلو رأيت الناس
وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى * بل إنهم راجفة * وقلوبهم
واجفة * وأصواتهم خافتة * وأبصارهم باهتة * وشفاههم يابسة *
وصورهم بائسة * ووجوههم باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة * وقد
استوفز كل من أهل الأمصار * وسكان الأنجاد والأغوار * وقد أصاخ
لما يرد عليه من جلي الأخبار * فيبني على ذلك ما يكون * من متعلقات
الحركة والسكون * فاتفق تيمور على طريقته العوجاء * ورجع على
ميل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا * وقد ملأت عساكره
الآفاق والأكناف * وعمت هيبته الأرجاء والأطراف *

ذكر من أصيب من سهام القضاء بالرشق *

ووقع في مخاليب أسره من أعيان دمشق *

واتخذ من أعيان الشام * ومشاهيرها الأعلام * قاضي القضاة
محيي الدين بن العز الحنفي بعد أن عاقبوه بأنواع العقاب وكووه *
وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه * وولده قاضي القضاة

شهاب الدين ابو العباس * توصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة وباس * ثم رجعا الى الشام * واختل امرهما في الانتظام * وقاضي القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي * فتوفيا الى رحمة الله الوهاب * فريقا في نهر التراب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتمر * وكان متحملا اوزار الوزر * بعد ان راموا ضيابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز متعلقيه الى الاماكن البعيدة * واقام هو في دمشق جريدة * فذكر لهم حكايته * وبذل لهم في دفع موجوده طاقته * فاخذ وا ما اخفاه خفية ولم يعاقبوه * ولكنهم بالامنة والقلة استصحبوه * فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف النوس * انواعا من غربة وفقر ومحن * ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخواص * الامير الكبير بتخاص * وكان مقيدا معه ومات * عند وصوله الى العراق * فاما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فاتهم هاقبوه بكل بلية * وكان رفيق الدين لطيف المزاج سوداويه * فما كان عنده لذلك تسلية * فاعتراه مرض عاجز وموت منه بالموت وفات * فمات واستراح * وشربه

من النعاد كاس مدام جاءه وراح * فدفنوه عشيه * بالمدرسة

البكرومية * ولما شرع في النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضي

القضاة تقي الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف

سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما *

وكانوا قد خرجوا من الاحياء والاموات * وخافوا ان لا يكون لاحد

منهم من ايديهم بحجة الوفاة فوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا *

وحرجوا ان لا يخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور

تعسرت الامور * فتحيروا في تجهيزه * وتغلبوا في امره وتجهيزه *

ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير * دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من

الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عمر الملك بن

التكريتي فولاه نيابة سيرام * فمكث فيها القليل من الايام *

وهي وراء سيحون * وشخص آخر يدعى يلبغا المجنون * وكان مقربا

عنده * وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده * واخبره على ما قيل

بعدماوي * فخاصه بذلك من المهالك والمهاوي * وحصل له بذلك

قربه * وزيادة ملازمة وصحبه * فولاه ذلك الحساس * نيابة مدينة

لكَ هي ينكي بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوماً من

سمرقند * بينها وبين سيرام * نحو من اربعة ايام * وكان اسم ذلك

الخوّن * احمد فتلقت بيليبغا المجنون * واخذ من دمشق ارباب

الفضل واهل الصنائع * وكل ماهر في فن من الفنون بارع * من النساجين

والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقباعية والبياطرة

والخيميه * والنقاشين والقواسين والبازداريه * وفي الجملة اهل اي

فن كان * وجمع كما ذكر السودان * وفرق هؤلاء الطوائف على

رؤس الجند * وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * واخذ جمال الدين

رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش وكان في القلعة كما ذكر

وابادمن عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون *

وكان في حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط

والغضب * وقال له انك افنيت صاغيتي * وحصيت غاشيتي *

وقصيت حاشيتي * فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي غليلي * ولا يهدأ

غليلي * ولكن اعذبك بكبر سنك * وازيدك كسرا على كسرك

ووهنا على وهنك * فقيد بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة

أرطال ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه * فلم يزل مقيدا * مكتوب على قيده مخلدا ابدا * حتى مات تيمور * وارتفعت الشرور * وخلص من القيد ذلك المأسور * ثم توفي الى رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ اناسا من الفضلاء * والاعيان والسادات والنبلاء * من لا اعرفه * فكيف اصفه * وكذلك كل أمير من أمرائه * وزعيم من زعمائه * أخذ من الفقهاء والعلماء * وحفاظ القرآن والفضلاء * وأهل الحرف والصناعات * والعبيد والنساء والصبيان والبنات * ما لا يسع الضبط * ولا يحل الربط * وكذلك كل من عسكره * اخذ كبيرا وصغيرا واسرة في اسره * لانه ما ثم حرج على من نهب شيئا وعزله * وكل من سبقت يده الى شيء فهو له * ومنه اذا اطلق عنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام * ولو كان الناهب أميرا فيهم * او دخيلا عليهم * والسالب من غير طمتهم * ولكن أبيح له ذلك لما يباريهم * وتخلق بشيمتهم * واطلق عليه حكمهم * وأجري عليه شكمهم * فاما قبل الاذن فلم تعد يد احد على احد * وكان عند تيمور بمنزلة الوالد

او الولد * او استطال بعقل او رحمة * او تقاقط بغارة او نهبه * فانه يهدر ما للادوم * ويهتك حرمته وحرمه * ولا تنجيه استغفاره وندمه * ولا تنجد به اهله وخدمه * ولا يقال لعا لمن زلت به قدمه * وكانت هذه قاعدة لا تحترم * وبنية لا تهدم *

ذكر ما اباده بعده الجراد *

ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها اعقبه لقاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد * فاعرى كل شجر وعود * وجرد ما على وجه الارض جردا * فوصل الى حمص وما نهبها * ولخالد كما ذكر وهبها * ولكن نهبوا قراها * وهدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * واستخرجوا اكامنها * واسروا عرائسها * واستملكوا كنائسها * وفي سابع عشر شعبان انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وارسل الى حلب واخذ من قلعتها ما استودعها * ثم الى الفرات وعبروها بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم الى الرها * فنهبها واستحلب درها * ثم ارسل ذلك الغادر * رسولا الى ماردين يستدعي الملك الظاهر * وديباجة كتابه الدقيل * طم

ما نقل * شعر *

* سلامٌ عليكم والعهودُ بحالها * لقد بلغ الأشواقُ منّا كمالها *

فأبى أنْ ينزلَ إليه * ولا استمع كلامَه ولا التفت إليه * فإنه كان آذاهُ كما

ذكر أول مرةٍ * فما احتاج إلى تجربته آخر كرة * فسلك معه برا لسلامه *

وقال شطر بيت (ع) من جرّب المجرّب حلّت به الندامه *

ولكن أرسل إليه قاصداً من بعض الخدّام * يدعى الحاج محمد بن خاص بلاد

ومعه التقادم والخدام * واعتذر عن الحضور * بعدة أمور *

وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو *

* شعر *

* تشوّقي إليكم زائد الحدّ وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها *

فلم يلتفت تيمور إلى هذا الكلام * وأخذ يعنف نفسه بأنواع الملام *

كيف خلص من مخاليبه أول مرةٍ بسلام * ...

ذكر ورود ماردين بالهيبة * وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد بن ماء ماردين * فنزلوا

وتيمور وهو والحصار قاصدين * وإذا بأهلها وقد أخلوا المدينه *

وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه *

* صفة هذه القلعة *

وهذه القلعة عنقاء قلتها تلبراً ان تصاد * وعرنين عانيها يأبى ان يدخل
لخاطب تحت مقود انقياد * لأنها في قلة من القلل * على ظهر جبل *
لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك * الا ان تلك لا ثبات لها وهذا
ثابت ليس به حراك * بظهره وادبطنه اوسع من صدر الاحرار *
فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح
المواشي والضروع * وحدوده جروف لا تصل همم ذوي الكرم
الى ارجائها * وخروف يعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه
من القلعة او على القلعه * والقلعة في غاية المناعة والرفعه * والمدينة
مبنية حواليها * متشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب
من فائض سيلها * فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون * وفى السماء رزقهم
وما يوعدون * فاقام لمحاصرتها على مضايقها * يسترشد الى طرق
المضايقة وطرائقها * ولم يكن حواليها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق
مجال * فعولوا على نقبها بالمعاول والفوس * واستعان على ذلك بالمقاول

والرؤس * وحاشا درز ذيل حشمتها وعصمتها ان يسام فتقا * لانها
وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا * فلازالت المعاول تعل *
والقطاطيس تكل * ومناقير الفوس تتعقف * وخصور المرازب كهيف
القدود تتقصف *

قلت * شعر *

[illegible] ن سعيهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر *
* او عذل ذي حسب صبا به صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر *

واستمر على اللدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل
على طائل ولم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد والمكابرة * وتوجهه
بما رويه ذوي الفساد * عن ماردين الى بغداد *

ولما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * وطلاب ما لا يستطاع عيا *
والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والبلاغة في غير مقامها عي
لجلج * ستر عيبته * وابقى بعض الحرمة والهيبة * وخرب المدينة
واسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها *

ودكّ أساسها وأحجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالدبى

والفراش والجراد * وجهّز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد *

فوصلوا الى مدينة صوز وليس بها بيت مشاد * ثم الى خلاط وعيد

الجوز وهي بلاد الاكراد * آهلة عامرة البنيان * وأول ما هو جار

تحت حكمه من ولاية تبريز وآذربيجان * فعيد الثقل بعيد الجوز

عيد رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك

خراسان * وكان اذذاك قد خرج فصل الشتا * وفصل الربيع تزين واتى *

وصفحات الرياض بأنامل صباغ القدرة تلونت * وعروس الروض

قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت * والاطيار في الازهار *

ما بين مائة بلبل والف هزار * قد شنفت الاسماع * واقامت السماع *

واستمالت الطباع برخيم صوتها * واحيت آثار رحمة الله الارض

بعد موتها * ولا زال الثقل بين تاء وباء وادلاج * وسير ولا سير

الحاج * كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام * فوصلوا الى نيسابور

ثم الى جام * ثم قطعوا اسفارز باورد وماخان * ثم الى اندخوى وانتهوا

الى نهر جيحان * فعبروه بالمراكب * وساروا سير النجم الثاقب *

ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلثا * سنة اربع وثمانمائة * وفيهم من اهل الشام فئة امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بياطرة وصبا غون ونساجة الحرير * هذا اول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمرا الاسارى والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالانفال واحمال الاموال والاسرى *

* فصـــــل *

ثم ان تيمور ولى آمد قرا يلوك عثمان * وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يعبث في تلك الديار * وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صور سورها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاوية من عامر عمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * واخنى عليها بكتائبه المدلهمة * فبعد ان احلها الحين * وهبها الحسين بيك بن حسين * ثم جمز بنز مجرة * الى ناحية القنطرة * واشاع انه كف فساده * وقصد بلاده * ولكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده *

وقلّ ان وهم ووهم كما انه بقى له ذلك دأب وعادة *

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس * لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس *

فلما بلغ السلطان احمد * ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد * ثم عزم
على ان يتبغدد * وقال الغود احمد * استعد ولكن للفرار * واستقر
رأيه على ان لا قرار * ثم استناب نائباً يدعى فرج * واوصى اليه
والى ابن البليقي بامور وصحبه قرا يوسف الى الروم وخرج * وكان
من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب * ولا يسدل
دون ما يرومه حجاب * ولا يشهر في وجهه سيف * ولا يقابل فيما
يأمر به بلم وكيف * فبلغ تيمور هذه الامور * فجهز ذلك المخاذيل *
الى بغداد عشرين الف مقاتل * وامر عليهم من امرائه ورؤساء
وزرائه والظالمة المعتدين * امير زاده رستم وجلال الاسلامي
وشيخ نور الدين * وامر ان يكون المقدم * من الثلاثة الامير
رستم * فاذا تسلموا بغداد * يكون هو حاكم البلاد * وحين غربت
من سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربة * ومد ظلام

الظالم جناح العساكر التيمورية على آفاقها وأرسل عليها شهبه * أبى فرج المذكور أن يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده من أهبة المحاصرة وأوعى * فاطلعوا تيمور على هذا الأمر * وانتظروا ما يكون منه من نهي وأمر * فثنى نحوها عنان الحنق * وأضمر ما تصل إليه يده من غرق وحرق * وأظل عليهم بغمام غم بعد ما رعد وبرق * فوصل بتلك الفرق * وأحل بهم البوس والقلق * وأذاقهم لباس الجوع والغرق * فرجمهم أي رج * وحاصرهم في أشهر الحج * فثبتت مقاتلتهم وأكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق * أشد الحنق * وزحف عليها برجله وخيله فأخذها عنوة يوم الأضحى * فتقرب إلى زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم أمر كل من هو في دفتر ديوانه محسوب * وإلى يزك عساكره من الجند والجيش منسوب * أن يأتيه من رؤس أهل بغداد برأسين * فسقوا كل واحد من خمرة سلب الروح والمال كأسين * ثم أتوا بهم فرادى وجمله * وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجلة * وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين * وجمعوا رؤسهم فبنى بها مأذن * فقتلوا من أهل بغداد نحوا

من تسعين الف نفس صبرا * وبعضهم عجز عن تحصيل ابغلٍ ادينٍ فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى * وعجز بعض عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * واغتال من معه من رفيق * ودفع عن نفسه بعد وصد يق * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعة * ومن العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق * اومات في الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا انفسهم في الماء وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحتوشوه من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق * وبقي من المياذين * نحوا من مائة وعشرين * كذا اخبرني القاضي تاج الدين احمد النعمان * الحنفي الحاكم ببغداد كان * وتوفي في غرة المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى * ثم ان تيمور خرب المدينة * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينة * وافقر اهلها واقفر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت بعد

أن كانت مدينة السلام * دار السّلام * وأسروا من بقي من ضعفة أهلها فتمزق * ومزقتهم أيدي الزمان كلّ ممزق * بعد أن كانوا في ظلال ودلال * ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشش البوم والغراب أماكنهم * وأصبحوا لا ترى إلاّ مساكنهم * ومدة المدينة هي أشهر من أن توصف * وعرف ما رتبتها وعرفانها أذكى من أن يعرف * وناهيك أنها كاسمها مدينة السّلام * وأنه على ما قيل

لم يمت بها إمام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * وإقامته في قراباغ *

ثم الوى بتلك الاتراك التي يصح أن يقال لكلّ منها انه في التركية طاغية طاغ * وعزم أن يشتي في مكان يصلح أن يكون في الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ * وأمسى كالبازي المطلّ بل كالبوم المشوم * مراقباً أطراف الآفاق وخصوصاً ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدريم بايزيد *

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز * وجعل السلطان احمد وقرا يوسف

منهبا * وذكرا انهما من سطوات سيوفه هربا * وانهما مادة الفساد *
ودبورا البلاد * ودمارا العباد * ومنبع الخمول والادبار * وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار * وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقد صارا بمن معهما في حمى ذراكم لاطئين * واينما حلوا
حلت التعاسة والشوم * وحاشا ان يكون مثلهما من المفلوكين تحت
جناح صاحب الروم * فاياكم ان تأووهم بل اخرجوهم * وخذوهم
واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * واياكم ومخالفة امرنا *
فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم *
وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم *
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلا عن جدال وقتال * فقد
بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد
والتخويف * واصناف التهويل والاراجيف * وكان ابن عثمان عنده
رقاعة وشجاعة * ولم يكن عنده صبر ساعة * مع انه كان من الملوك
العادلين * وعنده تهور وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وهو في
صدر مكان * فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان *

وكان بواسطة عدله ساعدة الزمان * وتقويت شوكته في المكان *
فاستصفى ممالك قرمان * وقتل ملكها السلطان علاء الدين واسر
له عنده ولدان * واستولى على ممالك منشا وصاروخان * وهرب منه
الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان * وصفا له
من حدود جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان *
فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * نهض وربض *
وامتعض وارتمض * ورفع صوته وخفض * وكأنه تجرع نقوع
الحضض * ثم قال ايخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
او يحسب انني مثل ملوك الاعجام * او تتار الدشت الاغنام * اوفي
جمع الجنود * كجيش الهنود * او جندي في الشقاق * كجمع العراق *
او ما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * او ان تفله
المجمع كجندي * او ما يعلم ان اخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل وقت يستضعف طائفة منهم * وانا افصل جمل هذه الامور * واكشف
ما خزنته في التامور * واما اول امره فحرامي سفاك الدم * متاك

الحزم نقاض العهود والذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا *
فصال وجال وسطا * ثم طال واستطال * واتسع له المجال * وغفل
عنه الرجال * ومن حين نبغ * استصبى حتى شاب الشيب بالعيب
فادرك ما ادرك وما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شرارة *
وانتشرت فرواغ حبته فصارت غرارة * اما ملوك العجم فانه
استنزلهم بدخله وختله * ثم استفزهم بخيله ورجله * وبادر الى قتلهم
بعد ان امكنته فرصة قتله * واما توقتاميش خان * فان غالب
عسكره خان * ومن اين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * ومالهم
سوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الاروام * واما جنود الهنود
فانه ختلهم في امرهم * ورد كيدهم في نحرهم * فوهت اركانهم * لاسيما
وقد مات سلطانهم * واما عساكر الشام * فامرهم مشهور * وما جرى
عليهم فظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم * وتضعضعت اركانهم *
وانفض امرهم وانتقض * وبغى بعضهم على بعض * قطعت منهم الرؤس
الكبار * ولم يبق فيهم الا رؤس صغار * فنثر الزمان نظامهم *
وسام التبدد ملكهم وشامهم * مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني

جمادها * يعرفون هوا جف قومي انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى

وفرادى * لا جرم تفرقت ايام من سبا احزاب تلك الزمر * فاشتغل

جيشه فيها بالمحرم فباض لما خلاله الجو وصفر * ولو كان بينهم اتفاق

لفتوقنا * ولبذ واشمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم

شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسلسل لهاميمهم * وقوة نطاحهم *

وشدة كفاحهم * وشدة رماحهم * وكونهم ظهرا للحاج * واسود

الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا *

وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراة * وبين من تحمل امر

الكماة الغزاة * فان الحرب دأبنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا *

وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبا

على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا باعوا

انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضرباتهم في آذان

الكفار من طنه * ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنه * ولنون قسيهم

في خياشيم بني الصليب من غنه * لو رمنا منهم خوض البحار خاضوها *

او كلفناهم افاضة دماء الكفار افاضوها * قد اطلوا من صياصيهم

على قلاع قلاع الكفار واخنوا عليها * واستكوا بعثا من افراسهم فكلما سمعوا
هيعة طاروا اليها * لا يقولون لنبيهم اذ اغمرهم في البلاء والابتلا *
انا ههنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاة *
افرس من فوارس الكماة * اظفارهم باترة * واظفارهم ظافرة *
كالاسود الكاسرة * والنمور الجاسرة * والذئاب الهاصرة * قلوبهم
بودادنا عامرة * لا تخامر بواطنهم علينا مخامرة * بل وجوههم
في الحرب ناضرة * الى ربها ناظرة * وحاصل الامر ان كل اشغالنا *
وجل احوالنا وافعالنا * حرم الكفار ولم الامر وضم الغنائم * فنحن
المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان
هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق
ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اقاتلك البتة * فزوجاتي
اذ ذاك طوالق ثلاثا بتة * ثم انهى خطابه * ورد على هذا الطريق
جوابه * فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون حمق *
لانه اطال واساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان ذكر
النساء عندهم من العيوب * واكبر الذنوب * حتى انهم لا يلفظون

بلفظ امرأة ولا بأنثى * وإنما يعبرون عن كل انثى بلفظ آخر ويتحاشون على الاحتراز عنه جدا * ولو ولد لاحد منهم بنت يقولون ولد له مخدرة *
او من ربات الحجال او مستورة * او نحو ذلك *

ذكر طيران ذلك البوم * وقصده خراب ممالك الروم *

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت * وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وهاج فاذا القبور بعثرت * وما زفر زلزلت الارض زلزالها * وما رغا ظهرت القيامة أهوالها * وارسل الى ولي عهده ووصيه من بعده * حفيده محمد سلطان بن جهانكير * أن يتوجه إليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق لا التوفيق * وجرى بذلك البحر المطرخم * والليل المدلهم * فلما ارودا على قلعة كماخ أناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد * وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل إليها ثاقب فهم * موسس اركان

هضابها معمار القدره * ومهندس بنيان قبابها الجبار الفطره * ليست بالعالية الشاهقه * ولا بالقصيرة اللاصقه * غيران نها في مناعتها وحصانتها فائقه * من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها * ومن الجهة الاخرى وادٍ متسع يحفظ اعلامها * لا يمكن للاقدام فيه الثبات * وهو مسيل ماء يصب في نهر الفرات * ومن الجهتين الآخرتين هضاب * يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا لشيء عجاب * فاخذها من غير كلفه * ولج حرمها من غير طواف بها ووقفه * وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه * ووكل امر حصارها وقتالها اليه * وسبب ذلك ان الوادي الذي وراءها * كان يرد بالخيبة لوعورته من جاءها * لكونه مزلة الاقدام * واسع الانفحام بعيد مهوى المرام * لا يطلب لسان السهم له عرض غرض * ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر قرار ارض * فبمجرد ما وقع نظره عليها * نظر بعين الفراسة اليها * ثم امر بقطع الاخشاب * ونقل الاحطاب * فلم يكن الا كلمح البصر * حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر * ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد * وطرحوها في قعر ذلك الواد * فساووا

به الأرض * وملأوا طوله والعرض * وحين شعر أهل القلعة بهيئة العمال * ألقوا النار والبارود على تلك الأخشاب فأخذت في الإشتعال * وأما أمامهم القلعة فلا ينال * لأنه راكب على قلل الجبال * فلم يمدد ذلك من امره * ولم يشرد من فكره * بل أمر في الحال * كل واحد من الرجال * أن يأتي من تلك القفار * بعدل من الأحجار * فانبثوا كالنمل والجراد * في تلك المهامه والأطواد * والبوارق والمهاد * وجابوا الصخر بالواد * ففي الحال ملأوا تلك الدائرة * من الحصباء والحجارة * ثم أمر أن يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد * ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد * فألقوا في ذلك الوادي بعض ما لموه * من أكداس تلك الحجارة فطموه * وبقي في بياد ذلك الحجر * أضعاف ما رمي من البصر * ولما امتلأ الوادي من الأحجار * مشوا عليها وقربوا من الأسوار * ونصبوا السلالم وتسلقوا * وبناصية مراميها تعلقوا * فأقلع أهل القلعة عن الكلام * وطلبوا الأمان وقالوا ادخلوها بسلام * وكان هذا الحصار والتلجئة في شوال سنة اربع وثمانمائة * ولما استقرينها * أمر بتلك الأحجار أن تنقل

من واديها * نفي الحال سقوما * وفي مكان اخذ وما منه زموما *
ثم ولحق بها شجعا يذب عن الشمس * وولى عنها كما ولى امس * ومنه
القلعة نحو من نصف يوم من ارزنجان * ومن القلاع المشهورة
في الدنيا بامتناعها والعصيان * فلا جرم حين استولى عليها * وافضى
بصارمه الذكر اليها * وفتحها قهرا * ومنحها جبرا * ابرد بهذا المغنم
البارد * الى كل صادر في ممالكه ووارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار
كل سانح وشارد * وعنوان هذه الترجمة * بلفظها من غير ترجمة *

* شعر *

* بحد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ *
وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه * وكيف رد جوابه الحمق عليه *
ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه *
ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه * وقلنا له تخرج من قروح مسكته
مادة الفساد * ومن احمد الجلايري وقرا يوسف التركماني اللذان
اخربا البلاد واهلكا العباد * والرضا بالمعصية * معصية * والاقرار
على الكفر * كفر * والفاسق المجرم الباس * شر من الفاجر الظالم

الملابس * فصارا في الفساد وزيريه وهو الامير * وفي العناد صغيريه وهو الكبير * وعاشراه على ذلك وواليا فلبس المولى ولبس العشير فافسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكانه عنى شأنهم * من اظهر قولهم وشانهم * بقوله

* شعر *

* ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب *

ولم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لما اجار مما مجيرام عامر العرجاء * فنهيناه فما انتهى * ونبهناه فما ارعوى * واريناه العبر * في غيره فما اعتبر * وناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر * وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات ورسمنا * فتعدى طوره * وابدى جوره * وكان في بعض مراسلاته وما وضعه في مكاتباته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا واقل حشمنا * ثم انه اعني بايزيد لما طالع كتابنا * وردّ جوابنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذا لما فيه من كثرة الحماقة وقلة

الأدب * ثم ذكر انه توجه بروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدق
في هذا الكتاب * وتفيهق في هذا الخطاب * فهو احد مآثير
الكتاب * والأساطير المستعان بها في الخطاب والجواب *

ذكر ما صمم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده *
توجه لقتاله * واستعد لاستقباله * وكان على مدينة استنبول
محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب أن يفتحها وتضع الحرب عنها
أوزارها * وان جنده * كان عنده * ولكن امر بطارقة الغزاة * والشواهين
من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * واخلاط
خيل السواحل وقروم قرمان * واجناد ولايات منتشا واماورة
صاروخان * وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات
ورؤس الفيالق * ونواب جميع الثغور والامكنة * مما فوقها وتحت
تختي بروسا وادرنة * وكل من دب البحر الأخضر * من بني الاصفر *
من رايته البيضاء بالدم الأحمر * وفلق هام هامة كل عدو أزرق *
بهامة السود على جواده الأبلق * أن يعملوا مصلحتهم * ويأخذوا

بعد زمن وانطمتهم * واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج ارجي * واخيل في اماين المسلمين على قتال كل باغ وخارجي * واستدعى التتار * وهم قوم ذو يمين ويسار * ناس سوا ذج * لهم مواشي نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والبوادي بروز مهم وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما اسرج لها ظهر ولا ألجم راس * واما الغنم والبقر * فلا تحصى عددا ولا تحصر * وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الروم وقرمان التي هي مواطن شتات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد كما لهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقير وغريب وطالب علم اواديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه ويدويه الى آخر العمر * وكانوا يسمون لكثرتهم وما معهم من الاغنام * ثمانية عشر الف عالم * فلبى كل من طلب ذويلاء الجهال نداء صوته بالاجابه * وبادر الى امتثال اوامره بالاطاعة والانابه * ولما بعثها لهم التتار بقضيهم وقضيضهم بعيا

وثبت اليه امواد عساكرها وبحار جنودها كلّها * وحفّ من ملوكها بتيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حقّا *

ذكر ما فعله ذلك المخادع الماكر * ونمّقه في تخذيله من ابن عثمان جنود التتار *

وتلبّث تيمور في امره * واستورى زناد فكره * فاورى زناده ناره * أن يخذّل عن ابن عثمان تتاره * فارسل الى زعمائهم * والكبار من أمرائهم ورؤسائهم * واميرهم يدعى بالفاضل * وكان في المكرمات من الأفاضل * غير أنه ما مارس الايام * ولا اطّلع على مكائد اللئام * إنّ حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي * وأنّ بلادنا بلادكم * وأجدادنا أجدادكم * فكلنا فروع نبعة * واغصان دوحة * وانّ آباءنا من قديم العصر وغابر الدهر نشأوا في عيش متوحّد * ودّ بجوانحي وكون غير متعدد * فانتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من أغصاني * وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني * وانتم لي شعار * وباقي الناس دثار * وان كان الناس ملوكا بالاكتساب * فانتم ملوك بالانتساب * وانّ آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فالحقّ

بعضهم طائفة من عشائرهم قبيلة الى هذه الديار * فاستوطنوها وهم على
ما هم عليه من الكرامة * وشعائر السلطنة واسباب الزعامة * ولم
يزالوا على مثل النشاط والهمة * الى ان اذن الله ورجعوا الى رحمة الله تعالى
وصرتم على هذه العزة * وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم * واكثر ماله
في بلاد الروم اصغر مما لكم * وليس بحمد الله في شوكتكم قلة *
ولا في كثير تكثيرتكم قلة * كأني رضيتم لانفسكم بهذه الذلة * وان تصيروا
مستحقرين * كأنكم من المستحقرين * وبعد ان كنتم اكابر مكبرين *
كيف صرتم اصاغر مصغرين * ولستم بلا اعوان ولا متبعة * وارض
الله واسعة * ولم صرتم مرقوقين * لرجل من اولاد معتوقي
السلجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا والسبب * ومن اين مثل الاخاء
والنسب * مع عدم الاتفاق * وانتفاء الاتساق * وعلى كل حال
فانا نازل بكم * واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم * وان كان
لا بد من استيطانكم هذه التخوم * وبيع تلك البلاد الفسيحة بمضايق
ممالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها * ومالكي نواصيها
سياسيها راقين منابرها * باسطي ايديكم فيها قابضين زمامها *

ومنها انهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازلة * وقضينا الارب من هذه
المناضلة * وتمهد لنا الميدان * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي في هذه البلاد المشارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيت القوس
باريها * وانزلت الدار بانيها * ورددت المياه الى مجاريها *
وجعلتكم ملوك قراها وضياعها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخلصوا من انتهازها
حصتكم * فانكم قريبون منا صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال يحل كلامه ينزو على حجر حجرهم
ولا يخفر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
فاثر في ردهم وانكارهم ليردهم عن ان يتبع ابن عثمان ويغدر *
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خابهم بهذا المقال *
واستخفهم في معنى ما قال * واستفزهم حب الرياسة التي طالما

أستَرِقُ أخبارَ الصِّبا بيقين * واستعمل كبار الأولياء والصالحين *
وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين * فتوافقوا
على الانعزال * عند الموافقة للنزال *

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل * وتوجهه الى ملاقاة
تيمور بعسكره الثقيل *

فأمّا ابنُ عثمانَ فإنّهُ خافَ منه الهُجوم * على بلادِ الرُّوم * لأنّ
الزُّروعَ كانت قد استحصدت * وصدورَ الفواكهِ والثّمارِ قد استنهدت *
وخضراوات الأرض قد اسودّت * والرّعايا في ظلّ الأمن والرّفاهية
قد امتدّت * فخشيَ ابنُ عثمانَ أن يُصيبَ العبادَ منه ضرر * أو يتطايرَ الى
قبائلِ بلادِهِ من لهيبِ نارِهِ شرر * فبادرَ الى مُلاقاته * وساقته سوائقُ
المنونِ الى شُربِ كاسِها في مُساقاته * وأرادَ أن يكونَ مُصطدمُ النّاس *
خارجَ بلادِهِ على ضواحي سيواس * فأجرى من عساكرِهِ السّيولَ
الهامرة * وأخذ بهم على قفارٍ غامرة * خلقاً على رعاياه * من مواطئ
مطاياه * فإنّه كانَ على الضّعيفِ من رعيّتهِ شفيقا * وبالفقيرِ من جُنْدِهِ
وخدمه رفيقا * يُحكى أنّهُ كانَ في بعضِ مغازيه * فعطش بعض

حواشيه * فأتى في قرية بعض النساء * فطلب منها شربة ماء * وكانت أشأم من البسوس * يضرب بها المثل في اللؤم والبوس * فقالت ما عندي ما تشرب * فخذ طريقك ولا تتعب * وكان العطش قد غلبه * ورأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه * فقالت هذا قوت الصبيان * واشتكت عليه لابن عثمان * فطلبه واستفسره * فخاف شدة نقمته فأنكره * فقال للمرأة أنا أبعج قبقبه * وأتبين صدقه وكذبه * فإن ظهر في بطنه اللبن * أعطيتك الثمن * وإن تبينت بالصدق قوله * جعلتك مثلة مثله * فقالت والله إنه شربه * وما فهت في حقه بكذبه * ولكني فرجت كربته * وأبرأت ذمته * فقال لابد من إجراء العدل * وإنهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف ووسطه * وأجرى على بطنه ما شرطه * فانفجر بطنه وهو منعفر * وجرى اللبن وهو بدمه ممتزج * فأشهره في الوثاق * ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير استحقاق * ثم إن ابن عثمان تابع الترحال * وسلك في رمضان السفر صوم الوصال *

ذكر ما فعله ذلك الساقطه * مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه *

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخذ على الطريق الغامرة * نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامرة * فقد حل هو وعسكره في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان احواليهم الفصيح * ينشد في الآفاق ويصيح *

* شعر *

* لست أبالي بعد إدراكي العلى * أكان تراثا ما تناولت ام كسبا *

فلم يزالوا في مراح وزروع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة مصحوب * في أمن ودعه * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تابيده القضاء والقدر * لا يبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه وإحراز المغنم البارد خضرة * ولا في الجليل كواكب عساكره المنتظمة نثرة * ولا يبين اسود الجهجهة مكاسرة ولا نفرة * ولا في قرامهم الاعادي اللهذميات على موائد طعام

طغانيهم جبن ولا كسرة * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وتيمور قد دمر على بلاده * فقامت عليه القيمة * واكل يديه حسرة وندامه * وزاد زرقا * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار والهجوع * وعزم فى الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطواده وابراجه * نرجع عودة على بدئه * واغذ بوصال السير وحثه * فنهكهم السير بسرعته * والمكان بقفرته * والزمان بهجيره * والسلطان بزئيره * فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلالسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

* فصل *

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقرة * وخيله ورجله مستريحة موقرة * للقتال منتظرة * وللنزال متشمرة * بل لم يكونوا به مكترثين * ولا به مختلفين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا عساكر مسلمى بدر فى جانب الظماء * فهلكوا كربا واواما * وقضوا عطشا بلا ما * وكأنه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله انشدهم *

شعر

* يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل *

والنقرة هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي

شعر

* نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من اطواد *

* فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلي ونفاد *

*فلما تدانت الجيوش من الجيوش * وضربت الوحوش على الوحوش*

وامتلأت منهم الصحارى والقفار * وتقابلت الميسرة باليمين واليمين باليسار * انقطعت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر تيمور كما رسم اولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر ابن عثمان والاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كانوا نحوا من ثلثي جند تيمور * وكان مع ابن عثمان * من اولاده اكبرهم امير سليمان * فلما راى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فاخذ باقي العسكر * وتقهقر من ميدان المصاف وتاخر * وترك اباه في شدة

الباشا * وانخزل بمن معه الى جهة برو سا * فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن دانام * وبعض من الكماة وقليل ماهم * فثبت للسجادة بمن معه من الرفاق * وخاف ان فران يقع عليه الطلاق * وكانه في تلك المعركة والمعكرة * كان متمثلا بما قاله عنترة

* شعر *

* ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تسفك في دمي *
* فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم *

فصبر لحادث الدهر وما ازم * واراد ان يفيئ على مذهب الامام مالك بما به التزم * فاحاطت به اساورة الجنود * احاطة الاساور بالزنود * وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة * وعلمت انها تورطت في جيش العسرة * ثبت المشاة * على الكماة * واستعملت الاطمار * وكل صارم بتار * وكانوا في ذلك المصاف * نحوا من خمسة آلاف * فنفد والنبل اد مهم * وابادوا اعف ادمهم * ولكن كانوا كما في الرمال بالكربال * او كالنخل بالغربال * او معبرا وزان الجبال * بمرابط المثقال * فاستمروا قتلا . واثخنت الاضداد ومعقول ذوات تلك الاسود * من مسام القتام

صواعق الديم المدميات وامطار السهام السود * ونادى محرش القدر * وصياد القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين وقيذ وواقذ * ومضروب بحكم سهم ماضٍ في القضاء نافذ * حتى صاروا كالشياهم والقنافذ * واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر * وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر * ثم لما كلت منهم السواعد * وقل المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الاباعد والمباعد * دققوهم بالسيوف والرماح * وملأوا بدمائهم الغدران وباشلائهم البطاح * ووقع ابن عثمان في قنص * وصار مقيدا كالطير في القفص * وكانت هذه المعركة * على نحو ميل من مدينة انقره * يوم الاربعا سابع عشري من ذي الحجة * سنة اربع وثمانمائة * (وكان قتل هالب العسكر العطش والضور * لانه كان ثامن عشري تموز *)

* فصل *

ووصل امير سليمان * الى بروسا معقل ابن عثمان * فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال * واشتغل بنقل ذلك الى برا ورنه * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنه *

المنشعب من بحر مصر الاخذ بعد ما يتد زبس * الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ما وقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط *

ولما حصل لراس مملكة الروم هذه الوعكه * وانذعكت اجسام عسكرها الجسام اقوى دعكه * واخنى عليهم الجند المشوم * ونعق في صباحها غراب البين وزعق في رواحها البوم * وتلا في محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم * خضعت روسها ونواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها وقاصيها * وانبهرطائعها وعاصيها * فحاصوا حيصة الحمر * وايسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر * اذ قد ذهب منهم الراس * ولم يبق فيهم من يقيم الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضم الناس اليه نحره * وعزم على العبور الى براد رنة بقطع بحره * سالت بهم الاودية والشعاب اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه * فصالح اهل استنبول ووادهم * وعاهدهم على ان لايغدر كل منهم بالاخر ومانهم * ثم قصدهم ان يعينوه على الوصول * بقطع البحر من ثغري

كاليبولي واستنبول * إذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين *
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فإن بحرا سكندرية *
يأخذ على انطاكية * وعلاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال *
قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره يرق * وشفتا جانبيه
ترق * حتى تتراآى حافتاه * ويكاد تنطبق شفتاه * ومسيرة هذا
الانضمام * نحو من ثلاثة أيام * ثم يأخذ في المد والانبساط *
والجريان على وجه النشاط * ثم تدور ركائب أمواجه بتنكردس *
وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج حتى تصل كما ذكر إلى بلاد
الجركس * وما أمكن أحدا من سواحر الحكمة ومهندسي النوا فيه *
أن يعزز هذين المعبرين في مثل هذا الانضمام بشالب * فثغر كاليبولي
بيد ملاحي المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى أعداء الدين *
وهو أعظم الثغرين * وأجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه *
فصار غالب الناس يقصد ناحيته * فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت *
وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم وأموالهم وجالت * فإن ابن عثمان
كان بالحصار قبل أن يملكها * وأباد قراها رضوا خرجها وأهلكها * وضيق

على أهلها في مجاري أرواحهم مسلكها * فبينما هم وقد بلغ السيل الربا * وجاوز الحزام الطبا * وأنشب كل شر فيهم حده * وإذا بتيمور جاءهم بالفرج بعد الشدة * فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم بذلك الفرج والأمان * وزاد ذلك بأن احتاج المسلمون إليهم * وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد أن زالت عنهم الغصص * اغتنموا في ذلك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا يوسقون المراكب من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك إلى صوب استنبول * وإن استنبول وراء ذروة جبل * ومنحرفة خلف قلة من القلل * وهي من أكبر مدن الدنيا * حتى قيل إنها قسطنطينية الكبرى * فكانوا إذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا بالهضبة النابتة عن عين من هو في هذا الجانب * يصيرون كالأموات النازلين إلى الحفائر * الملقين في قعر اللحود والمقابر * لا يدرى إلى أين يتوجهون * وإلى أي ناد يصيرون * إلى بر السلامة والإسلام * أم إلى دار الحرب وأسر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون * فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون * فإذا جاءت المراكب

وهي فوارغ * تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجد بالغ *
ولم يدر ماذا يجري عليه * والى ماذا يصير امره اليه * واشهدوا
في ابصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة * ما لكا الحزين والسمك
المذكورين في كتاب كليله * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك
السواد الاعظم * في كل غراب آدهم * الا مثل الغراب الاعصم *
واستطالت اعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع
امير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط
مسالكه * وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا * وادر ريعا
واكثر خراجا وخرجا * واعظم حصونا وامكنه * وتحته مدينة ادرنه *
فاجتمع الناس على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم وابادهم الزمان *

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان
هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم *
وكل منهم طلب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان
منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي حرشنة الشاهقة العاصيه *

التي قال فيها ابو الطيب * شعر *

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع *

للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا *

وقلة قلعتها شاهقة * نهايتها الفلك عالقة * يعيى النازل عنها في نزوله

منها * اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد

الروم * لان قرارا رضها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين

قوقات مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون

واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * وموسى فيما بعد قتل

امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى * ونسخت الاحكام

المحمديه * شرائع الملة الموسوية والعيسويه * الى ان ما تدحتف انفه

في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة او مات بشيء دس اليه على يد

قوجقارغي الهدايا الملكية المؤيديه * وانتقل الملك من بعده الى مراد

ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به *

واما مصطفى فانه قد فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

* عودا الى ما كنا فيه * من امور تيمور ودواهيه *

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان * جرد الى بروسا طائفة من الجنود والاعوان * واضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقا رمكين وجاش مشتكين * فوصل اليها * ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبطها وحصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه * واموالہ وخزائنه وحشمه وخدمه * وخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه واضاف كل ظهر منهم الى راس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحريم * وجعل يحضر بن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويترقق اليه ويسخر منه ويضحك عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * خلدت باوصافه القبيحة على مر الزمان حكاية *

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهي والامر * ومد سماط الخمر

والزمر * وحين قص بالناس المكان * استدعى مربعا ابن عثمان *
فجاءه وفؤاده يرجف * وهو في قيوده يرسف * فسكن قلبه * وازال
رعبه * ثم احسن جلوسه * وازال بالانتعاش اليه عبوسه * ثم امر
بافلاك السرور فدارت * وبشموس الراح ان تسير من مشارق اكوابها
السقاة الى مغرب الشفاه فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة
سحاب الخدور * ودارت في سماء العشرة نجوم يحثها من مراسيه
بروز بلور * نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه * وعامتهم حرمه
وسراريه * فاسودت الدنيا في عينيه * واستحلى مرارة سكرات حينه *
وتصدع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت
زفراته * وتضاعفت حسراته * ونكي جرحه واغل قرحه * ونثر على جرح
مصابه من قصبات الاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه * في
مكاتباته بذكر النساء وحلفه * لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاي
وقبائل الترك من اكبر الجرم * واعظم من الخيانة في الحرم *
وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في ارزنجان *
ومن تمام ايهاماته لابن عثمان * احسانه لاولاد ابن قرمان * وكان

فمن ذلك ابن عثمان * قد استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس بروسا محمدا وعليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابرهما واحسن اليهما * واولاهما ما أولاهما وليس ذلك لحب علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معوية

* قلت *

* ولم يرفض معاوية محبا * عليا بل لان ربى يزيدا *

* وقيل *

* وليس لحبه تحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا *

* وقلت بديها *

* أصادق صدق اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء *

* وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما أشاء *

* وذاك لينتكي ضدي ويهنا * فتى قد سرني منه الاخاء *

والامير محمد من امرا الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن

دلغادر امير التراكمة المفسدين * وقتل ولده مصطفى في البلاد * وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا * وذلك في شهر رجب سنة احدى وعشرين وثمانمائة

ذكر ورود اسفنديار عليه * ومثوله سامعا مطيعا بين يديه *

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد * وهو احد ملوك الروم وله في السلطنة قصر مشيد * ورث الملك عن ابيه وكان مستقلا بالامرة * وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة * وتحت حكمه بعض مدن وقلاع * واودية وبقاع * منها مدينة سينوب الملقبة بجزيرة العشاق * يضرب بظرافتها المثل في الآفاق * وهي في البحر من البحر في جزيرة كبيرة * سبيل الدخول اليها عسيرة * بها جبل احسن من ارداف الحور * متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور * وهي معقل اسفنديار ومعاذه * ومحرز خزائنه وملاذه * احصن من ابليس * واوثق من كف بخيل يخاف التفليس * ومنها قسطمونية تخت ملكه * وبحر فلكه * ومنها سامسون وهي قلعة على جانب البحر للمسلمين * مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين *

بينهما دون رمية حجر * وكل منهما آخذة من الآخر الحذر *

وغير ذلك من القلاع والقرى * والقصبات في الوهد والذرى *

ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار * مع أولاد بن قرمان والتتار * ومع

قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان * والأمير يعقوب بن علي شاه

متولي كرمان * ومن توجه إليه من حكام منشا وصاروخان *

وانه لا يهيج من أطاعه * وتلبس لأوامره بالسمع والطاعه *

سارع إلى المثول بين يديه * وتهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحف

العاليه * والمنتف الغاليه * فقابله بالبشرى * وعامله باليسرى *

وأقره في مكانه نكاية لابن عثمان * ثم أمره وأولاد قرمان *

ومن اتسم له بميسم الطاعة والاذعان * من أمراء تلك الأكناف

والأكنان * أن يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان *

والأمير الكبير تيمور كوركان * فامتثلوا أوامره * وحذروا زواجره *

وأمنوا بذلك الغارة والمصادره * وتوفي اسفنديار المذكور *

في شهور سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن ومن أواخر

الملوك الذين وفدوا على تيمور * واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع

بينه وبين اخيه قاسم بك مشاجرات والتجا قاسم الى الملك مراد بن عثمان * ولله الامر من قبل ومن بعد *

* فصل *

ثم ان تيمورا اخرج مالابن عثمان وغيره من الذخائر * واستصفى لخزائنه ما كان ارثا وكسبا للملوك الاروام من النفائس والاخائر * وشتى في ولايات منشا * واتفق له ذروتها مباحث تصريفه كيف شا * وانتهى الى اقصاها * وحرر البحث في مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها * وانبثت جنوده في آفاقها * وغاصت في بحار ممالكها من اثباج اطوادها الى قرارات اعماقها * فمن فارع الى جبال جبالها وقمم صياصيها * ومن متعلق باذان مراميها ومتسلق باذيال نواصيها * ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دائس باخمص ... شعبه خد ذروتها الانف جائس بكاهل مناهلها * ومن دامغ دماغها بامل ارماحه لاجل العين * بالغ من غير حاجب له منها ماارام بالبدين والبدين * ومن حامل على نهد صدرها * تال رؤسها ووجوهها للجبين على ظهرها * ومن ماد اناملا تعديه من غير كف الى معاصيها ومرافقها *

كادوا قناديل الفساد في بطون مغاربها وافخاذ مشارقها * فجزوا الرؤوس وحزوا الرقاب وفتوا الاعضاد * وبتوا الاكتاد وحرقوا الاكباد * وشوهوا الوجوه واسالوا العيون * واشخصوا الابصار وبطوا البطون * واخرسوا الالسنة * وصكوا المسامع * وارغموا الانوف * واذلوا العرانين * وهشموا الثغور * وحطموا الصدور * وقصموا الظهور * ودقوا الفقر * وشقوا السرر * واذابوا القلوب * وفطروا المرائر * واراقوا الدماء * واستحلوا الفروج * واحروا الانفاس * وابادوا النفوس * وسبكوا الاشباح * وسلبوا الارواح * ولم يتخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع * وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما أكل السبع *

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها * ونبذة من عجيب وضعها ووصفها *

وحاصر قلعة ازمير * وهي حصن في وسط البحر ما له نظير * بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة * قلعة قل قلعت في البحار * واضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها النار * اعصى من قلاع الجبال * واقصى في المنال ان تنال بخيل

ورجال * فاهلك بها انواعا من آلات المحاصرة * واخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الآخرة * سنة خمس وثمانمائة * سادس كانون الاول من السنين الرومية * فقتل كبارها * واسر نساءها وصغارها * وبقى من ابناء القتلى جوامع وشيئا من روسها منارها * ثم سلب من القلعة غناءها وافقرها * واقوى من ذخائرها واقفرها * واخلاها وقد استصفى منها ابيضها واصفرها * وطير بهذه الامور اجنحة البشائر * واطارها على رغمه فى الآفاق باسعد فال واسرع طائر *

ذكر ما صنعه من امر مروم * وهو فى بلاد الروم * من قصده بلاد الخطا * واستخلاص ممالك الترك والجتا * وافتكاره وهو فى الغرب مشغول * فى استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول * وكيف عاندة القضاء المبرم * بمنازل الهبه فوادة واضرم * فصادمه الزمان وعكس غرضه * وهذه كالجملة المعترضة *

ثم ان تيموركان قد استخلص عن سمرقند بسبطه * محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه * كما ذكرا ولاوكان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذا * وللعلماء معاذا * مخايل السعادة فى غضون جبهته لائحة *

وبشائر النجابة من امارير طلعته واضحة *

* شعر *

* في المهد ينطق عن نجابة جده * اثر السعادة لائح البرهان *

وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور في مبداه * واس اركان دولته في منتهاه * وهما اللذان كانا بنيا اشبارة * واسسا فيها قواعد النهب والغارة * وهي في نحر بلاد المغول والجتا * واقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور ومبدا بلاد الخطا * وولّيا بها اميرا يدعى ارغون شاه * وامداه بطوائف من العساكر وفي ثغر المغول ارصداه * كل هذه الامور * بامر تيمور * ولما شرعا في ذلك * لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافعى * اذا جاورهم لا بد انه في الفساد يسعى * فلا يامنون غائلته * ولا يطيقون مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا للغوار * واخلاء الديار * فزاد الجغتاي فيهم طمعا * ومد كل من اشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاول ورجل الفساد وسعى * وشرب كاسات التجرم فاكل ما حل بيده وما تزهد في تعفيفه ورعا *

وفرح الجغتاي بذلك * ووقعت العداوة بين الجانبين فسد كل
على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويجازون
بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول ايضا يفعلون مع
الجغتاي ذلك * وتربصوا بتيمور ليغلبوه * فمنعهم ريب المنون وتشبثوا
بعقوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فسر بذلك اشد السرور *
ثم انهما حصنا ما بالأهبة الكاملة * والعدة الشاملة والرجال المقاتلة *
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من اناس
قد عمى جانبي قربان * واضافوا هؤلاء الكماة * مع تومان من يأشاق
الجغتاي الى الامير ارغون شاه * ووصلا الى خجند * وقطعا سيحون
ونزلا سمرقند * ووليا بها الامير ايدكي خواجه يوسف * فكان في قبيل
الطاعة والاخلاص يوسف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
الغشوم * ثم انهما فجعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان
في بلاد الروم * فوقع تيمور في الاحزان * على حفيده محمد سلطان *
ونكس عسكره السواد * واقاموا شرائط الحداد * ولم يكن بهم حاجة

الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه في تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجبروت * ورسم ان يلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيمون عليه شرائط العزاء * وان لا يبقى احد من العباد * الا ويلبس من فرقه التي قدمه السواد * فخرج اهل سمرقند جنودا فاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكانما اغشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بالشاية * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانماية * ولما تملك الله تعالى جده * دفنوه كما سياتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان الله داد * له انداد * واكفاء وحساد * واعداء واضداد * والحسد في عنق صاحبه غل قمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * واكلوا بلا ملح

لحمه وتنقلوا بغيبته * ووشوا به الى تيمور * وذكروا ما فعله في الشام من الامور * وانه التمس من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا ان وما اهملوا اكثر مما نالوا * فبدّدوا امره * واوغروا عليه صدره * لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويتّقيه * وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهودة * ونتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى سمرقند * اعقبه تيمور مرسوما من عنده * بان يتوجه الى اشباره * ويستعد هناك للنهب والغارة * وذلك كالنفي لالله داد * والقائه في اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد * وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة الغيار * وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعده تيمور عنها * وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها * وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد * ويخبرهم بالمكر الاباز الاجاديد * ويقتل

ويأمر * وينظر ويكسر * حتى أقوا ما بعد تيمور * وسيأتي

ذكر هذه الأمور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه

غواص فكره النشيط *

ثم لما كان تيمور المشؤم * مخيماً ببلاد الروم * أبرد الى الله داد مراسلة

فيها أمور مجملة ومفصلة * أمره بامتثالها * وارسال الجواب

بكيفية حالها * منها أن يبين له أوضاع تلك الممالك * ويوضح له

كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ومدها

وذراها * وقلاعها وصياصيها * وأدانيها وأقاصيها * ومفاوزها

وأوعارها * وصحاريها وقفارها * وأعلامها ومنارها * ومياهها

وأنهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها

ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك

طريق الاطناب الممل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصاً المخل *

ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين *

من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

الشرقي ومما يلي الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب * هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليملك في بيانه الطريق الأوضح من الدلالة * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة * الى ان يفوق في وصف الأطلال وحدود الرسوم * وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال * وهو انه استدعى ببعلة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق * وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا * مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مرداء وشجراء * غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان ورسمه * وتمييز طريقه ووسمه * بحيث انه يبين له فضله وعيبه * وابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كأنه مشاهده * ودليله ورائده *

ويأمر * ويطحن ويكسر * حتى اتوا ما بعد تيمور * وسيأتي ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيماً ببلاد الروم * ابرد الى الله داد مراسله * فيها امور مجملة ومفصلة * امره بامتثالها * وارسال الجواب بكيفية حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها وذراها * وقلاعها وصياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها واوعارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها ومنارها * ومياهها وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها ومجاملها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك طريق الاطناب الممل * ويتجنب ما خف الايجاز وخصوصاً المخل * ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين * من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

الشرقي وما يلي الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة * الى ان يغوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم * وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وانق تمثال * وهو انه استدعى ببعلة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق * وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا * مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مرداء وشجراء * غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان ورسمه * وتمييز طريقه ووسمه * بحيث انه يبين له فصله وعيبه * وابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كانه مشاهده * وذليله ورائده *

وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * في بلاد

الروم يمور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تجهيزه امراء الروم من الغدر بالتتار *

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر * وقضى الكون من

آماله العجب واهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر * وامتلأ

من المغانم وادي سيله العرم * وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ

الشتاء قد هرم * وانتقل الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد *

الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد * وكان معه مكبلا في قفص من

حديد * وانما فعل ذلك تيمور * قصاصا كما فعله قيصر مع شابور *

وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر * فتوفي معه في بلاد الروم

في آق شهر * وفي هذا المكان * توفي حفيده محمد سلطان * وعزم على

الرحيل * وحزم احمال التحميل * ثم جمع رؤس التتار * وقد اضمر لهم

الدمار والبوار * وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم * واجازيكم بما فعلتم *

ولكن قد اضجرنا المقام * ومللنا الاقامة في مضايق الآرام * فهلم نخرج

الى الفضاء الفسيح * ونشرح صدورنا من ضيقي الزمان والمكان في المهامه

البقيع * ضواحي ميواس * ومتنزه الناس ومثوى الاكياس * فهنالك
نضبط احوال هذا الاقليم الوريف * ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه
رأينا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * وامعان النظر في كيفية
تدبيره وعمله * وحصر مدنه وقلاعه * وضبط قراه وضياعه *
وحسبان توامينه واقطاعاته * والاحاطة بافراده وجماعاته *
فاذا فصل لنا ما اجمل * ووضح عندنا ما منه استشكل * فحصنا عن
رؤسكم وجماجمكم * وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم * وجمعنا
رؤساءكم * وحصرنا زعماءكم * واحصينا اعدادكم * واستقصينا
آباءكم واجدادكم * واعتبرنا اخوانكم واولادكم * ونظرنا متعلقيكم
واحفادكم * وتحققنا شعار الروم ودثارهم * واورثناكم ارضهم
وديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤس * وقسمنا نفائس هذه
الممالك على النفوس * ثم رددناكم اليها مكرمين * وكفيناكم وعيالكم
العيلة اذ كنتم علينا معولين * وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم
ما يجب فعله * ونبقي عليكم من افعالنا ما يتخلد في بطون الدفاتر
والتواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * وعول في هذه المسألة

على موافقة الرد لم يعلم ما فيها من الغول * فلما توافقوا على هذه الحركة
بنفوس ساكنة * لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم
المتماثلة مباينة * فسار بالناس * حتى بلغ سيواس *

*** فصــــل ***

ولما برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس ورعد * وحان له أن
يفي لطائفة التتار بما وعد * جلس جلسة عامة * وأقام من زبانية
الجند طائفة طامة * ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس * والظهور
والضروس * ومن تخشى مضرته * وتتقى معرته * والمردة من شياطينهم *
والعتاة من أساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * ولسان بالحلاوة ذلق *
وأجلسهم مكرمين في أماكنهم * وزاد في تمكينهم وإمكانهم * ثم قال
قد كشفت بلاد الروم ونواحيها * وتبينت جميع قراها وضواحيها *
وقد أهلك الله عدوكم فاستخلفكم فيها * وأنا أيضاً أفوض ذلك اليكم *
وأذهب عنكم واستخلف الله عليكم * ولكن أولاد أبا يزيد غير تاركيكم *
ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم * وأما صلحهم فقد سلكت
فعالكم مع أبيهم طريقه * فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقة *

ولا شك انهم يراقبون صفوفهم * ويتكلبون جمعهم * ويستوحون عليكم اهل المدر والوبر * ويلبّيهم بالاجابة كلّ من يبلغه دعوتهم لانكم في زعمهم آل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * ويصلونكم الجمر بكلّ آمر ومؤتمر * فيقرضونكم من كل جانب * ويتخطفونكم من الاطراف والجوانب * لاسيما وبيدهم غالب الحصون والثغور * وتحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر * فان كنتم كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم خوضا * فعوا واسمعوا * ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا *

* شعر *

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *

واما انا فلست منكم بدان * ولا لي في المدافعة عنكم يدان *

فلا بد لعقد امركم من نظام * ولصلوة جماعتكم من شرائط واركان يجب القيام بها اولا والسلام * واول شرائطه ذلك امام * يرجع الى الاقتداء به افعاله الخواص والعوام * ثم بعد ذلك ترتيب الجماعه وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعه * ثم وضع الاشياء في محلها *

وزمام المناصب والوظائف في يد اهلها * وايصال كل مستحق الى استحقاقه * رجع الرأي على امر واحد باتفاقه * فاذا اتفقت آراؤكم وائتلفت اهواؤكم * وعظمت ابناؤكم كبتت اعداؤكم * وكنتم يدا واحدة على من ناواكم * وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم * وكان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد * ولا ينالكم من مخالفيكم كيد ولا كد * ومهما اهتممتم بالنظر في احوالكم * والتفحص عن امر خيلكم ورجالكم * وضبط الاهبة والسلاح * فان ذلك آلة الظفر والفلاح * فليذكر كل منكم ولده واهله * وليحضر خيله ورجله * وليأت بعدده وعدده * وجنده وولده * وليعرض ضرورته ان كانت ولا يستصعبها فقدمانت * فمن كان محتاجا الى اكمال شيء اكملناه * ومن كان معتازا الى ايصال شيء اوصلناه * واضفناه الى كل ما تجب اضافته * فيحصل امنه وتذهب مخافته * فاعرضوا اول شيء علينا سلاحكم * حتى نكمله ونعمل صلاحكم * فاحضر كل منهم اهبته * وعرض عليه عدته * وطرحوه في ذلك الجمع النظيم * فتراكم فكان كالطود العظيم * كما فعل اول الزمان * باهل مدينة سجستان * فلما غلب تلك الامورد

بوائقهم وانيابهم بهذه الاساليب * وخلب أولئك الكواسر الجوامر على مناقيرهم والمخاليب * واولج صارم فكره الذكر في احشاء عقولهم وانزل * وصار سماك سماء عزمهم الرامح وقد نحره سعد الذابح اعزل * وامر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه * ففت ذلك من اعضادهم وبت من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفأ نورهم * ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالاماني الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه * وحال بهم الحال * وامر في الحال بالمسير والترحال * قيل ان السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد * اني قد وقعت في مخالبك * واعلم اني غير ناج من معاطبك * وانك غير مقيم * في هذا الاقليم * ولي اليك ثلاث نصائح * من بحير الله ارين لوائح * اولاهن لا تقتل رجال الاروام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين * لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وورثت

لبدن الكون بمنزلة الراس * فان حصل لوفق اتفاقهم من تمدي
يدك بسط وتكبير * تكن فتنة في الارض وفسا د كبير * ثانيتهن
لا تترك التتار * بهذه الديار * فانهم مواد الفسق والفسا د فلا تهمل
امرهم * ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم * ولا تذر على ارض
الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم يملأ وها من قبائهم نارا *
ويجروا من دموع رعايا ها ودماء ئهم بحارا * وهم على المسلمين
وبلادهم اضر من النصارى * وانت حين تخذتهم عني زعمت انهم
اولاد اخوتك * وبنوا عمك وذووا قرابتك * والاولى بجماعتك
ونامك ان تتبعك * وبكل من اولاد اخيك ان يقول لك عم خذني معك *
فاعمل افكارك المصيبة في اخراجهم * واذ ااد خلتهم حبسافلا تطعمهم
في افراجهم * ثالثتهن لا تمد يد التخريب الى قلاع المسلمين
وحصونهم * ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم * فانها معاقل
الدين * وملجأ الغزاة والمجاهدين * وهذه امانة حملتكها * وولاية قلدتكها
فتقبلها منه باحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم
الجهول * واستكثرماطلى عقل ابن عثمان * ورتبي بها بقدر الطاقة والامكان *

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه عن ممالك الاروام

وصار فثار غبار * أخفى عين الشمس منه الانبهار * وفاز بها ر التتار * فكأن البحر امده الله بسبعة بحار * فلم لا يدخل قرية الا افسدها * ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره * ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الا كسره * ولا يمتنع عليه شمراخ حصن شامخ الا قصره * فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى ارزنجان * وقرره في ولاياته وزاده بعض معان ومغان * ووصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ * وان يكون كل منهما للآخر قوة وطباخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء وناراً * على ممالك الكرج وبلاد النصارى

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجي * حتى ارسى على بلاد الكرج * وهم قوم يعبدون المسيح * ملكهم غير فسيح * ولكنه مصون * بواسطة قلاع وحصون * ومغائر وكهوف * وجبال وجروف * وقلال وحروف * وكل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم هيم شيم الانذال * ومن مدنهم تفليس * وكان اخذها ذلك الابليس * وطرابزون وآبخاس *

وهي التخصص بالاختصاص * فتمنعت منه الاماكن عليه * ولم تسلم قيادها اليه * فاقام يحاصرها * وتعدينا قومًا ويباقرها * فمن ذلك مغارة بابها في وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق عالية من الطوارق * وسقفها آمن من صواعق المجانيق * وذيلها ارفع من ان يتشبث به علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * وعدم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بمحاصرتها * والتزم بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لا يقر من الافكار والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين * وفكره الرصين * ان يرسل عليها عذابًا من فوقها * وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة التابابات * كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات * واوثقهن بالسلاسل المحكمه * واوسقهن بالرجال ذوي الشكيمه * وادلاهن من تلك القلال * وامواهن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية مبرم القضاء * فملأن التنائف * وارجفن من الجبال والرجال الروانف * وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل

من رآه * ألم تر إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله *
فحين وازوا باب تلك المغارة * كبتوهم بالنبال الغدارة * وكفوهم
بالمكاحل الطيارة * وهاوشوهم بأنواع الأسلحة * وناوشوهم بالأوهاق
والكلاليب المغلّطة * فلا زالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن *
ويقبلن إلى ذلك الوكر حائمات عليه ولا يعرضن * ينقرن أسرة أهله
بمناقير المناقيب * وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب * وبكرا الناشزة
تمانعهم على الولوج * وتستعين في مدافعتهم بمن فيها من العلوج *
فلم ينشب أحد من أولئك الجوارح * أن أنشب في الباب كلوبه
الجارح * ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر * واعتمد على الله
ومرد بابته إلى الوكر طفر * فاحتضنه ساعد المساعدة * واكتنفه
عضد المعاضدة * وقبض على رسغه كف السلامة * فنكصت النصارى
على عقبيهم أمامه * ولم يزل وحده عبيدهم * حتى قتل أربابهم
وصناديدهم * ثم أدخل رفقته فيها * وأخرجوا ما كان في مخابيها *
واسم هذا الرجل لهراسب ستة أحرف ليس فيها غير متحركين اللام
مضمومة * والهاء * والراء مفتوحة * والألف والسين والباء * وأجها

ثلاث سواكن في الفارسي كثير * وفي التركي ايضا موجود ولكنه عزيز غير عزيز * ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة * حروف ذاتها كحروف اسمها بمناعتها ناطقة * لا يعمل في فتحها لارتفاعها لعل وليت * لان اسمها كما زعموا كل كوركيت * اي تعال انظر ارجع * بمعنى انه لا ينال الواقف عليها * سوى النظر اليها * ثلاثة اطرافها مبنية على قلل الآكام * شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام * وطريقها من الوجه الرابع وهو دقيق في سلوكه عسر * ينتهي بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن جسر * اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل * واعاذ كل من لاذ بقلعته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن جبل * فلما اطلع على حقيقة امرها * وانكشف له مستور خبرها * ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ولم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه * ولا بد يحمل ذلك العسكر لطا غي وتحويه * بل انما كان حواليها جروف وهضاب * غضون جبينها كانها وجه شوهاء ناشز من زوج صعب عقاب في عقاب * نطمع منها في غير مطمع *

ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع * وصار من عساكره الأسود الحوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون الجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والحصار * لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا مفحص قطاة يتمكن منه النضال * فكانوا يرمونها بالنبال على بعد بسهام الأحداق * ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق * فاذا جنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم الذيل * لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر ويرومون الى حاجاتهم السبيل * فلما لاح له منها امارات الحرمان * وبان له ان اهل ظنته من فتحها قد مان *

* كما قلت *

* واعظم شئ في الوجود تمنعا * نتاج مرام من عقيم زمان *

صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار وطلب لهذه المسئلة الدليل والتعليل *

ذكر سبب اخذ لهذا الحصن المنيع * وبيان

معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع *

وكان في عسكره شابان نديدان * اسدان جديدان * يتشابهان في الخلق والخلق * لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق * يتجاريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق * فكانا ككفتي ميزان * وفي مضمارها فرسي رهان * فاتفق ان احدهما صادف شجاعا من الكرج * في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج * فنازله ثم قتله * وقطع راسه والى تيمور حمله * ففخم شانه * واعلى على الاقران مكانه * فاثر ذلك في نديده * فكانه قطع حبل وريده * ثم افتكر في شيء يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بيرمحمد ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مواثبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد على الله سبحانه وحده * واستكمل ما له من اهبة وعدة * ورصد نجمه في بعض الليالي * ولطا في مكان خالي * ولا زال يترقب النجوم * ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * ويشمر تلك الفتن بيديه ويذرع * ويمشي تارة على بطنه واخرى على اربع * الى ان طرح الضوء نقابه * وسلخ الجو اهابه * ورجع النصارى الى كسرهم * وتعاونوا على رفع جسرهم * ظفر بيرمحمد الى الجسر فقطع حباله * وتابع عليهم

من حنيته نبالة * ولم يمكنهم من دفعه * ولا غير موضوعه من وضعه *
فتراكموا عليه بالنبال والاحجار * وارسلوا عليه من ذلك السماء
المدرار * ولا يردهما هو بصدده * ولا يلتفت الي حينه * ويتلقى
ما يصدر من مراميهم نبالهم واحجارهم بالقبول على رأسه وعينه *
ولم يزل على المكافحة والمناضحه * والمكاشحة والمكالحه * حتى تعالى
النهار * وحفل الكون من فعاله انملة التعجب واخذ عين المكان
الانبهار * وكان المحاصرون لما كفوا عن القتال وتهور قد عزم
كما ذكر على الترحال * وكان سرادقه منصوباً بمكان عال * فناداه
لسان الفتح * وخاطبه منادي النجح

* شعر *

* لا تيأسن من مطلب * قطع الورى اسبابه *

* ان اغلقوا ابوابهم * فالله يفتح بابه *

فتراءى على باب القلعة من بعد كأن ناسا يتواثبون * واشباح طائفة
يتكالبون ويتضاربون * فقال لقبيله اي أولي النجدة والعون *
اني ارى ما لا ترون * فانعموا معي النظر * ثم اسرعوا نحوا المعتكر *

وأتونى بحقيقة الخبر * فانك نحو المستشرفون لذلك خبروا * ويستكشفون لسرائره ستروا * وهم مابين عاد من الشمر اعلى * وجار من الامد اجرى * وكل منهم في عدوه وعدواته تأبط شرا * ولم يزالوا يتجارون على ذلك ارسالا وتترى * كأنهم الشياطين نهاض ووثاب وعداء وهلم جرا * حتى ادركت مقدمتهم بير محمد * وهو في غمرات الموت بناره يتوقد * وقد صار لسهامهم غرضا * وكاد جوهره ان يصير عرضا * فلما رآهم من بعيد عاش * وحصل له الانتعاش * وزال عنه الارتعاش * وتلاحقت به الصناديد * فكفت عنه تلك الافسال الرعاديد * وحين عجزوا عن رفع الجسر وولوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب * فاختلط بير محمد معهم * ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم * فقدوه بالسيوف * ورضوه باحجار الحتوف * وهو يأبى الا المدافعة * ويجتهد في مراجعة الممانعة * لا يشعر بما يناله من رض الحجر وجراح الحديد * كأنه مثالة عراة الغناء في الغناء في التوحيد * الى ان غشيتهم تلك الليوث * واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم * وخلصوا بير محمد

من مخاليبهم * ثم قبضوا على التصارى * واخرجوا مالهم فيأ وحريمهم سبايا واولادهم اسارى * وحملوا الى تيمور بير محمد * واخبروه بما قصده في ذلك وتعمد * وتفقدوا ما به من جراح تدمي * فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يصمي * فشكر له فعله * ووعده مواهب جزلة * واحله المحل العزيز * وجهزه الى تبريز * وامر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء * ان يجمعوا عليه كل نطاسي من الاطباء وخريت من الاساة * بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم * ويستوعبوا في اساته كدهم * ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل * فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل * فاندملت جروحه * وبرئت احسن مما كانت قروحه * فلما نصل * والى تيمور وصل * جعله احد قواده * ورئيس طائفة من اجناده * وقتل هذا كثيرين بعد ان كان خلف * وصيره امير مائة مقدم الف

* تتمة ما جرى للكرج * مع تيمور وشيخ الكرج *

ومنه القلعة والمغارة كانتا تأتيني قلاع الكرج * ونار اعلاميهم والبوائج عرج * فحين قلعهم من وجوههم غنائمهم * تيقنوا ان قد نزل بهم غنائمهم *

واحاط بهم عزامهم * فانحلت قوامهم وانخرمت عرامهم * وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم السلامة * وتفأل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا * وقدت ثوب حيوتهم قد اوجزتهم جزا * وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح فاوسعتهم شلا وكفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم ازا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا تدبيرهم * ورقعوا خرقهم قبل الاتساع * ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * والقوا اليه ايادي تدبيرة الزمام * ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام * وجعلوه خطيب ذلك الخطب * واستحلوا ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب * وكان اذ ذاك جيوش الصيف

كجمع الكرج قد ولت * وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد أظلمت * وسلطان الاجرد * قد صقل فرند المياه وجرد * ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية * ونصب على فلك الجبال الحيوانات البلادرية * والبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداودية * فكانه ما في الكون من جوامد ونوام * من جملة عساكر تيمور حام له ومحام *

* قلت * شعر

* واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا *

* واذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا *

* فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكه ازهارا *

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * وقبل الارض بين يديه * وحياه بتحية الاكاسرة من الملوك * ووقف في مقام اصغر مملوك * ثم استأذن في الخطاب * واستلطف في رد الجواب * فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير * وحسن حنوه على المسكين والفقير * وشمول عواطفه الكريمة ورحمته المنيفة * حملت المملوك على عرض ما عن له

على الآراء الشريفة * وهو انه بحمد الله المرام حاصل * والمراد على وفق الاختيار متواصل * وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب * اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب * ثم ان العساكر المنصورة اكثر من ان تحصى * وفيهم من الاسرى والمرمتى الحال ما فات من الاحصا * خصوصا جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار * واحلوا قومهم دار البوار * قبل اضربهم البرد * وتردد نقص حظهم بين العكس والطرد * فان استمرت الامور * على هذا الدستور * رق الجليل وملك الرقيق * ودق العظيم وانطحن الدقيق * وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم * وان رؤساءها من الفجرة والفسقة * علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقة * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك * ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج الصعلوك * ومهما برزت به المراسيم المطاعه * تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعه * وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه * وان كان المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على كل حال * واني للمملوك

مالٌ الا من صدقات مولانا الامير * وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة عن الجانبين وتيسيرا لامر العسير * ورعاية لحق الجوار * عملا بقوله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار * والرأي الشريف اعلى * واحرى ان لا يخيب رجاء المملوك واولى * فاجابه الى سؤاله * وطلب منه مالا عريضا سواء كان من ماليهم او من ماله * فقال الشيخ ابراهيم * اطرقه زعيم * وابلغ ذلك الى خزانته اتم ابلاغ * ثم رحل واكمل شتويته في قراباغ *

وذلك في سنة ست وثمانمائة *

ذكرتني عنانه * الى اوطانه * وتصده بلاده * بعد استكماله فساده * ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان * واقام مزين الجمادات قوام الزمان * وتهيجت القوى النامية * وتبرجت مخدرات الذرى السامية * وشبت الجمرات * ودبت الحشرات * تحرك للرحيل ذلك الافعى * ونفث على هوام اموات الزمهرير من احياء عساكره فاذا هي حية تسعى * فدق الكوس * فجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مزايا اللبوس * فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وكوم نبوله

في التروس * فاحاط بالاطواد قوس قزح * وسير خيوله في اللبوس

فتحللت كتائب الكثبان بشفوف الورد والريحان خائلة في ذلك البز

المتنزح * وثارت الجمال * فمرت الجبال مر السحاب * وسارت الرعال

فتصعد العنان من النقع الضباب * وشرعت الذوابل * فاذا رطب

الاغصان متمائل * وهزهزت القواصل * فانساب في القصيل مرهف

الجداول * ونضنضت السنة الخناجر والنيازك فبرزت نبات

العذبات * ونشرت اعلام الكتائب فانبثت اشاهير الازاهير

على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكي ببروقه بوارقه *

وبرعوده صواعقه * وبخمائله ورواببه زرابيه ونمارقه * وبركامه قتامه *

وبشقائقه اعلامه * وباشجاره المزهرة خيامه * وباغصانه رماحه *

وبعواصف امره ونهيه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر *

وبازهاره الزرق مزارقه الزهر * وبسيوله الجحافة مسير جحافله *

وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله عند هبوب اصائله * واستمر

من ذلك الغراد والوند * قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند * فسار

السرور رئيبه * والحبور حريمه * والاشر معاقره * والنشاط مصاهره *

وبين التفريط والافراط مواردة ومصادره * حتى قطع ولايات اذربيجان * وحل ركابه بممالك خراسان * وفي خدمته ملوك الاقاليم وارباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله * ووفودها عليه مهنية له بحصول ماله *

ولما سمعت اقطار البلدان * انه قد قاصد الاوطان * اقبلت اليه الملوك من اطرافها * والمرازبة من اكنافها * وسارع الى استقباله المداره والجحاجيح * وتبادر من ماوراء النهر وغيرها السراة والمراجيح * وتطاير اليه من الاقاليم اساطينها * ومن الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطا في ثغر * ومواظبا على اكيد امر * ارسل نائبه اوقاصده * او حاجبه اورائده * يتباشرون بقدوم اقدامه * ويهنئونه بما فتح عليه من هنده وعراقه وروميه وكرجه وشامه * ويقدمون التقادم والحمولات * ويهيئون الضيافات والاقامات * ثم اردفهم السادات والعلماء والمشائخ والكبراء * ورؤساء المواكب ومواكب الرؤساء * فجعل يحمنهم لكل واحد منهم سمتا *

ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وصمتا * ويمهد له دنيا ولاة قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجا ولا امتا * ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه واجازه * ووصل الى جيحون وقد اعدت له السفن والمراكب فجازه * فخرج اهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منفرج البال ملتئم الحال * فدخل سمرقند اوائل سنة سبع وثمانمائه * ومعه من طوائف الامم الاثنان والمعون فرقة واكثرهم قد ربه ومرجمه * ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت *

ذكر توزيعه التتار ارسالا * شرقا وغربا يمينا وشمالا *

فلما استقرت به الدار * اخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي عدة وعدد * ونجدة وشدد * فجين سلبهم عدتهم * كسر شوكتهم وشدتهم * ولكن ابقى الله عدتهم * فخاف لذلك نجدتهم * فشتت جمعهم * واقوى من اجتماعهم ربعهم * فبدد رهم في فيافي وبطاح * ووزعهم في قفار وضواح * وبدد هم في اشطار مناه وبراري * وبددهم في اقطار بكاء ونواح * فشد دبروتهم افواه

الثغور * واوصد بظهورهم ابواب النحور * فجهز طائفة الى كاشغر * وهو بين ختى الخطا والهند آخذ الثغر * ووجه فرقة الى دويرة في وسط بحيرة تدعى ايسى كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول * فصادفهم بعض السعد * فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد * فانضموا منهزمين ولم يلووا * واخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ايدكو * ثم اضاف سائرهم * وقبائلهم وعشائرهم * من كل حزين اواه * الى ارغون شاه * وجهزه بعزم وحزم * الى ثغور الدشت وحدود خوارزم * وهذا كان من جبيرة وما بنى عليه امره وامورة * فانه كان من الشياطين النقالة * وفى المكر واللعب بالناس كدلة المحتاله * كلما بنى في قطر قلعة * او استولى في نحر من نحور المخالفين على بقعة * انزل بها من العساكر من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر * ونقل اليها من بها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز وما والاه * استناب فيه ولده لصلبه اميرانشاه * وامده من الجغتاى بطائفة غلاظ شداد *

منهم خليل اداخو الله داد * ونقل الى اطراف الخطا وتركستان

طوائف من عسكر العراقيين والهند وخراسان * وولى سماقة بن التكريتي

الذي اخذه من الشام * نيابة مدينة ميرام * وهي من سمرقند

الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام * وولى يلبغا المجنون نيابة

ينكى بلاس وراء ميرام بنحو اربعة ايام * وهما كورتان مختصرتان *

وراء سيحون من معاملات تركستان * وهما كانا اقل من ان يذكرا *

فضلا ان يصيرا حكاما وامرا * وانما فعل ذلك * لينتشر في اطراف الممالك *

ان عنده من رؤساء الشام * جماعة من اعيان الاعلام * وان في ممالكه

من الخدم * رؤساء الامم حكام العرب والعجم * وان ذلك الطرف

جال وسطا * وملك ما بين الشام والخطا

* فصل *

ثم اخذ يتفقد ما حدث في غيبته * من امور بلاده ورعيته * ويتفحص

عن قضايا الممالك * ويسلك لملوكها المسالك * ويدبر مصالح الاطراف

والثغور * والاكناف والبحور * ويراعي احوال الكبير والصغير *

ويتعاطى مصلحة الغني والفقير * ويضع الاشياء في محلها * ورمام

الوظائف والمناصب في يد أهلها * ويبادر بما قال الشاعر *

* لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل *

* نهاهم أن يمسوا عنك قلماً * وأن يذل بنوا الأحرار بالعمل *

واخذ يربي السادات * ويكرم الأولياء ذوي الكرامات * ويبجل العلم وأهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق * ويخنق الزاني ويصلب السارق * حتى استقامت في زعمه أمور السياسة * وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسة *

ذكر ما ابتدعه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآته * ووافى باستيفائه رائد وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيده أي ولد الولد اولوغبيك ابن شاه رخ النبيه * الذي هو في يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من قبل أبيه * فأمر أهل المدينة * أن يشرعوا في الزينة * وأن يرفع عنهم الكلف والمظالم * ويعفى عن الطروحات والمغارم * ويبسط لهم بساط الأمان * ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع منهم بالفضل والإحسان * وأن لا يشهر في ممالكه سيف * ولا يجري

فيها ظلم ولا حيف * وان تخرج ازيتهم الى مكان نحو ميل من نواحي سمرقند * يدعى كان كل مواوه اذكى من المسك وماوه احلى من القند * كانه قطعة من روض الجنان * غفل عنها خازنها رضوان *

* قلت * شعر

* رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال *
روائح هوائه الطف من نسيم السحر * وروايح مائه اعذب من ماء الحيوة صفاء ابلا كدر * وتغاريد طيورة الذ في السماع من ثناء النائي على الوتر *

* قلت *

بساط زمرذ نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص *

* وقيل * شعر

* كان مدور الازهار فيه * وورد في محاسنه تنضد *
صحاف من لجين او عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد *
فهذي حشوها مسك فتيت * وهذي ضمنها تبر مبدد *
اراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها اكفا من زبرجد *

صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاميق ازاهيره * ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من تحارير تصاويره *

* قلت *

* كأن رباه سيما وقت هبة * خضم بانواع الحلي مرصع *

افسح من امل حريص طامع * في جاه غني كريم نافع * وانزه للابصار والبصائر * من غض شباب زاه زاهر * ساعده الدهر بوجه بسيط وادع كامل وعمر طويل ومال وافر * ومواضع الاماكن المذكورة والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهورة * ومحل اهل السعد الذي ساحاته بالنعم موقرة موفورة *

* قلت *

* شقائقه خدود ناضرات * تحفت من سواد المقلتين *

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم ذيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر من اقطار التيه * ثم امر الملوك والسلاطين * وارباب التيجان من الاساطين * ان يخرجوا اليه * وينثروا عليه * ويرز لكل منهم

في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراءه وأماما * وأمر أن يظ
ما أمكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ماله من خيام وقباب متك
بأنواع النقوش والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والأعيان
ورؤساء الأمراء والأعوان * في ذلك الروض الأريض * والمرج
الطويل العريض * فأخرج كل منهم ما حواه * وكاثر نظراءه لينظروا
قد مدت يداه * وفاخر ذوي الفخار منهم وباهى * واستقصى في المباه
والمفاخرة وتناهى * فنشروا مما طوت صحائف أيامهم * على جميعهم ا
محجلات آثارهم * من طرف أطراف الأقاليم والأمصار * وتحف جوا
المعادن والبحار * ونفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس وانهبوا الأنفاس
وعرائس أخاير سقوا عليها الكؤس وخرقوا الأكياس * ما أزر
على زهر تلك الروضة الخضراء بالأنجم الزواهر * وأسرى منظره البه
مرايا المسرات إلى سر السرائر * فزاد حسن حلي يسف ذلك المكان ونم
وعلا قدره بهجة على كل أرض وسما * ثم أمر بسرادقاته فجعل
مركز تلك الدائرة * ونقطة دائرة تلك الأفلاك المدارة * وهي سور م
مضروب * على ماله من خيام وقباب منصوب * له باب واسع

يدخل فيه من دهليزها شيع * الى ما به من معان ومغان * وله قرنان
هاتفان * تنكس لهما الرؤس * وتقل عن حسن مشاهدتهما النفوس *
لاجل هذين * كان يلقب ذا القرنين * ونصبوا في داخل هذا الجناب *
عدة من الخيام والاخبية والقباب * ومن جملتها قبة اعلاها
واسفلها بالذهب مزركش * وظاهرها وباطنها بلب الريش
مريش * واخرى كلها بالحرير محبوكة * وبانواع النقوش والوان
الاصباغ مبنية مشبوكة * واخرى من فوقها الى قدميها مكللة باللآلي
الكبار * التي لا يعلم قيمتها احد الا عالم الاسرار * واخرى مرصعة
بانواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر *
وجعلوا لما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون * وبين ذلك الاروقة المنقشة * ورواقات
الاخبية المزركشة * والقماطيط والابنية المدهشة * وفيها مراوح
الخيش * الجالبات لبرد العيش * والمنافع والموافق * والمفاتح والمغالق *
والظهور والذخائر الغريبة * وارخوا على ذلك الستائر العجيبة *
ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان بايزيد *

قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجليل * منقشة بانواع النقوش * من صور النباتات والبنيان والعروش * واشكال الهوام والطيور والوحوش * واشخاص الشيوخ والشبان * والنساء والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان * والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ في احكامها واجادتها احسن بلاغ * كأن صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك * وهذه الستارة احد عجائب الدنيا * وليس المستمع كالمرائي * ونصبوا امامه سرادقاته بمقدار شوط فرش الصيوان * الذي يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان * وهو جتر عالي الذرى * شامخ في الهواء * له نحو من اربعين اسطوانه * وهوا ميل واسوا رشيد وافليها اركانه وسدد وابنيانه * يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقردة * كأنهم مسترقوا السمع من الشياطين والمردة * ويتعادون على سطحه حين يرفعونه بعد بطحه *

* فصل *

واخرج اهل المدينة * ما عبوه * من تجمل وزينة * ونصبوه * تجاه تلك

السرادقات على مد البصر * وتأنق كل واحد من اهل البلد بما وصلت
اليه القوة والقدر * واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ
كل من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى ان ناسج القصب اخرج
فارساً مكمل الاهبة * واستقصى في اكمال هيئته حتى اظافيره وحده *
واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقوسه وسيفه وسائر
الاستعدادات * كل ذلك من القصب * ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب * وصنع القطانون من القطن ميذنة رفيعة * محكمة
بديعة * ذات قد رشيق * وصنع وثيق ومنظر انيق * ببياض جسم
يسمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها فصارت
بحسنها تستوقف النظارة * وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه المارة *
حتى غدت علماً للسيارة * وعلى جوامع تلك الابنية منارة * وكذلك
اهل الحرف من الصواغين * والحدادين والخفافين والقواسين *
وسائر الطوائف * وارباب الملاعب واللطائف * ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل * ومحط رحال اهل الفضائل * فرتبت كل طائفة
مما اخرجته على حدة في مكانه * امام سرادقاته وصيوان ديوانه *

ونصبت وراء ذلك جملة الاسواق * وضربت بين الناس بوقات الابواق * وزينت الفيول وجياد الخيول بافخر لباس * واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ للناس * فسارع كل طالب الى مطلوبه * واجتمع كل محب منهم مع محبوبه * من غير ان يتعدى احد على احد * او يستطيل احد على من يكون على ادنى من يكون من الجند واهل البلد * او يجري تعدّ ما * من شريف ما على وضيع ما

* فصل *

ولما تمت الامور على مواد تحويل قرينته * واخذت الارض زخرفها وازينت من جنده واهل مدينته * توجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته * وخرج على قومه في زينته * ثم امران تجري يواقيت الصهباء على زبرجد ذلك المرج الاحوى * وسيلها لكل ناظر وعام * فسبح في تيارها كل خاص وعام * ندارت في سماء تلك الارض للسرور افلاك * وسبحت في افقها بروج اللذات من افلاك الملاحة املاك * فاصبحت تلك الاسود الخوادر * وهي ظباء جوادر * وتنزلوا من جحيم المنازلة الى نعيم المغازلة * وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة * باللطافة

والظرافه * واضحوا بعد هجرهم يتجاورون *

وبمعنى ما قلته يتحاورون *

* شعر *

* محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدي *

* سوى قلب صب صادة طرف احور * وخصر نحيل آده ردف اغيد *

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور *

ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعناق مهصور *

وصرت لا ترى الا عودا تحرك او تحرق * او قلما يروب او يروق * او شاديا

يغرد * او شاربا يعربد * او جارية تسقي * او ساقية تجري * او خد

ورد يعشق * او ورد خد ينشق * او كاس ثغر يرشف * او غصن

خصر للعناق يقصف * او فرس ميش يغتنم * او لسان

حال ينشد ويترنم

* شعر *

* في ربيع الوصل لما * ان وفى الظبي الشرود *

* ومرت بشرى الصبا * للروض تنبيه بالورود *

* خَرِت الأَنهارُ والأَغصانُ مالَت للسُّجُود *
* واجتمعنا في رياضٍ * حُسنُها يَسبِي الوُجُود *
* فالسَّحابُ الصَّبُّ فيها * بالحَشا أمسى يَجُود *
* نَثَرَ الدُّرَّ علينا * منه بلُّورُ الغَمامْ *
* فوقَ صَحنٍ سُندُسِيٍّ * فيهِ مليا قُوتِ جامْ *
* وثُغورٍ من عَقيقٍ * زانَها حُسنُ ابتِسامْ *
* وعُيونٍ من لُجَينٍ * ناظِراتٍ لا تَنامْ *
* وغُصونُ الدَّوحِ حفَّتنا بانواعِ النُّقُودْ *
* طَيرُها غَنَّى عليها * إذْ علا عُودًا وطارْ *
* وشَذا ما ضاعَ فيهِ المِسكُ لمّا منه غارْ *
* والصَّبا أمسى عليلاً * في رُباها حينَ سارْ *
* جنَّةُ الفِردَوسِ فيها * وَجهُ بَدرٍ حينَ نارْ *
* أصبحت جنّاتُ عَدنٍ * تشتَهِي فيها الخُلُود *
* يا لَها من عِشرةٍ جاءَت بانواعِ الهَنا *
* ليسَ فيها غيرُ لَثمٍ * وارتشافٍ واعتِنا *

* وكؤوس دائرات * وتهانا وغنى *

* لو رآها زاهد من * رهبها كان انثنى *

* لم يسعه عندها من * زهده الا الجحود *

* قم نديمي عاطني فا * لدهر لا يقوى الحزن *

* كاس عيش ينجلي في * مزجها صرف الزمن *

* الطلا والماء والخضرة * والوجه الحسن *

* لا تطع في ذا عذولا * انه خب كمن *

* في حشاه غليان * لا تقل خل ود ود *

فحصل الأمن والدعه * والفراغة والسعه * ورخص الاسعار * وقضاء الاوطار * واعتدال الزمان * وعدل السلطان وصحة الابدان * وصفاء الوقت * وذهاب المقت * وحصول المطلوب * ووصال المحبوب * مصراع * وعند التناهي يقصر المتطاول * واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت * والسطوة والجبروت * شيء لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين * وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصير من الذهب * ونثر على

رأسه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتفت من ورائه ولا من بين يديه * حتى قال * قاتل الله ابا نواس كأنه كان حاضرا حيث

* قال *

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب *

لكن تيمور كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * وبنوها عبيد كل منهم في مقام العبودية يقوم واقف * واجتمع هناك قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرا في والنعام * ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريد والفرنج ومن سواهم * وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم * ومن كل مخالف وموافق * ومعاد ومصادق * فاحضر الجميع حتى شاهدوا عظمته * وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته * فباشر ذلك على تلك الحال لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال *

قلت * شعر *

* * قرير العين لا يرجو الها * خلي البال لا يخشى معادا * *

يتناول المحرمات ويبيحها * ويروج عنده مستهجنها وقبيحها *

مما امر به جماعته في ذلك امتثلوه * يتمادون في كل قبيح تعاطوه *
ولا يتناهون عن منكر فعلوه *

قلت * شعر *

* تبدل من فسق وهتك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع *

وجعل ينادم الملوك والامراء * وسلاطين الآفاق والكبراء * وقواد الخواقين * وزعماء الجيوش والمقدمين * ويسقيهم الكاسات بيده * ويحل كلا منهم محل اخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه * ويجزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين * واما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع والاحتفال * واستمر في ذلك بين جنك وقانون * وعود وارغنون * وناي مرقص مطرب * وشاد معجب مغرب * وساق فاتن وزمر موات وهوى متبع * وامر مستمع * وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكاس تملأ وكيس يفرغ * وامر يمضي وامل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط والاشر * فنهض اليه من استعضده * ومد للنهوض اليه يده * فتعاضدوا

لعانقته * وتعاونوا على معاضدته * وحين استوى قابضا *
تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصا *

* قلت *

* ومن عجب الدنيا أشل مصفق * وأبكم قوال وأعرج راقص *

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء السلاطين والأمراء * الجواهر
واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى
لهو حصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك
الأمنية * وتفرقت هاتيك الجمعية *

* شعر *

* ما كان ذاك العيش إلا سكرة * لذاتها رحلت وحل خمارها *

* فصل *

ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ليله إلى الكمال والتمام * وعرج
فيما يرومه إلى ما عرج * وصعد في سلم ارتقائه إلى أعلى الدرج *
وقارب بدر عمره الأفول * وشمس حياته أن تزول * رشقه الزمان
بسهم أصاب فما أمهله ونادى بلسان فصيح * فرغ

العروض بابيت الاحماء لوضيع لكان يصبح *

قلت * شعر *

* وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه *

* وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه *

* ومن صار اعلى كان اوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه *

فافاق من سكره * وعاد الى عسكره * وارعوى وما ارعوى * وعلم انه اضل قومه وما هدى * ورأى انه قد فرط في امر الرياسة * وحط من جانب الايالة والسياسة * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير والفا * فاخذ يتدارك ما كان فرط

ويطلب التفصي مما فيه تورط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذلك العابث *

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر واسعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الا بيض بسائط فرشه * فاعجبه شكله * واراد ان يبنى له في سمرقند مثله * فعين لذلك مكانا في فرز * ورسم ان يبنى له جامع

على ذلك الطرز * وأن يقطع له أحجار من الرخام الصلد * وفوض أمره
الى رجل يقال له محمد جلد * أخذ أعوانه ومباشري ديوانه * فاجتهد
في بنيانه * وتشييد أركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تأسيسه
وتركيبه وترتيبه وتزيينه * وأعلى له أربع مآذن * {بما هو نزهة أئمة
البنائين والأستاذين * وظن ان لو كان على ذلك أعمى غيره * لما قدر ان يصنع
صنعه ويسير سيره * وأن تيمور يشكر له صنيعه * وينزله عنده في
منزلة رفيعة * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه
الى الجامع لينظر اليه * فيخبر ما وقع نظره عليه * أمر بمحمد جلد
فألقوه على وجهه وربطوا رجليه * ولازالوا يجرونه * وعلى وجهه
يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * واستولى على ماله من أهل
وولد ومال * وأسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى *
أجزاة تيمور العظمى * أمرت ببناء مدرسة * واتفق المعمارية والمهندسة
أن تكون في موضع * مقابلة لبناء هذا الجامع * تشيدوا
أركانها * وشيدوا بنيانها * وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها *
فكانت أرسخ منه تمكينا * وأشمخ منه عرنينا * وتيمور كان كبر

الطبع * أشلبى الوضع * ما تكبر عليه رأس الأتلع * ولا تجبر عليه
ظهر إلا نفحة * وكذلك كلما أهديت إليه * أو حوّل في النسبة عليه *
تلقاه رأس قامة تلك المدرعة طالت * ومن تجاهه الحجير ترفعت
واستطالت * فتحول صدره هيطا واتصل * وحصل مع هذا شرذلك ما حصل *
فلم يصادفه فيما أخطأه عقل * ومثله الحكاية متقدمة لما ذكره بعد *
* نكتة * كان هذا الجامع كما هو * أحاطت أوزار الأحجار
بجوانبه * رتبا قلت على غواربه ومناكبه * ودقت عنق طاقته من حملها
ورقت * وتدلعان سقفه إذا السماء انشقت * وما أمكن تيسور
الاشتغال بهدمه ثم إحكامه * ونقض بنائه واستيفاء إبرامه * فطوى
ثوب عمارته على غره * واستبقى خشب أخشابه على وهنه وكسره * لكن
لمرحاحته وذويه * أن يجتمعوا ويجمعوا فيه * واستمر ذلك في حبوته وبعد
وفاته * فكان إذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط
من خشية الله * وصار مثل الجبال في تلك المحلة * يتلوا وإذ نتقنا
الجبل فوقهم كأنه ظلة * ففي بعض الأحيان * وقد غص بالناس ذلك
المكان * وأخذ كل منهم حذره * سقط من حجارته من أعلاه شذرة *

فتركَ كلّ من كان جاثيا * وانفضّوا الى الابواب وتركوا الامامَ قائما *
وكان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء والانداد * فلما اطّلعوا
على حقيقة الخبر * تراجعوا وزال عنهم الغرور * فلما قضوا الفرض *
وانتشروا في الارض * قال لي الله داد * وكان من ائمة ذوي
الكياد والاذكياء النقاد * لو حولي كعبة الحجازي مائة شوط
والف طوف * ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه بصلوة الخوف * وقال لي الله داد * وقد فهم معنى هذا الانشاد *
ويتبغي ان ينشد * في شأن هذا المعبد * ويكون رقم طرازه
ونقش صدره ومجازه *

* قول الشاعر *

* سمعتك تبني مسجدا من جباية * وانت بحمد الله غير موفّقي *
* كمطعمة الايتام من كدّ فرجها * لكِ الويل لا تزني ولا تتصدّقي *

* فصل *

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان امتخلا من ممالك الشرق
في فكره يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه

أوضاع تلك البلاد * ولما انكشفت له أحوالها * وتبينت له قراها
ومضافاتها وأعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * واستقرت كيفيتها
في سرير سريرته * جهز لتلك النواحي * رؤوس ما تيك الضواحي *
ومن جملتهم بردي بيك وتنكري بيردي وسعادات * والياس خواجه ودولة
تيمور مع زيادات * واضاف اليهم طوائف من الاجناد * ورسم ان يتوجهوا
كلهم الى الله داد * وان يجهز الله داد امره * ويتوجهوا فيبنوا قلعة
تدعى باش خمرة وهي عن اشبارة نحو من عشرة ايام * وهي من متعلقات
المغل الطغام * وكانت امورها اضطربت * ولكونها متنازعة بين مملكتين
خربت * فتوجهوا الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * واشتغلوا
على غيرها دأبهم بالعمارة * وكان توجههم في الغيبة * في اواخر سنة ست
واوائل سنة سبع وثمانمائة * وقصد بذلك ان يكون لهم معقلا *
وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجأ وموئلا * فلما احكموا اساسها *
وصنعوا انواع بروجها واجناسها * ورفعوا من حجارها الخساسات
اقدامها * ورفعوا على اعلام الاسوار اعلامها * ارسل اليهم مرسوما انهم
يرجعون ادراجها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيه بالرجوع *

والاشتغال بتعليق الولاد بالزرع * بحيث ان فقهاء البلدين والبداهين من اهل القرى والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحي الانجاد والاغوار * واهل الرزداقات والاكارة * من حد وده مرتقين الي اشبارة * يتركون مسائل المعاملة والمبايعة * ويذكرون الحقوق ولا يصلون في دروس المساقاة والمزارعة * ويوذن في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع صلاحه * وان اضطروا جلهم ان يترك صلوته فالحذر ان يترك فلاحه * ودام بذلك ان يكون لهم في سفرهم متاد * ان يقص لهم في البدريب قمحهم وحصيم زادا * فيتركوا العمارة * ويقصد كل من الامراء ديارة * واشتغلوا باستخراج البقر والبذار * واجتهدوا في احيا جميع الموات كما رسم واشار * فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه * ونشر رائد الخريف على العالم اعلامه وانساطه *

ذكر وزمه كما كان على المخطا * وحجبه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا * ثم انتقاله من مقره * الي مقره *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الي الافاق * وقصد

النواحي والاطراف * واختلاس الممالك والاكناف * وصرف
عنان الذهاب * نحو الخطأ على عادته وكان ذلك عين الصواب *
فأرسل الى أمراء عساكره أن يستوفزوا * ويأخذوا اهبة اربع
سنين او اكثر ويتجهزوا * فابعث كل أمة دعوة رسولها *
وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها * وحمل كل اسد جوزاء
عتاده * وامتطى جدي بغيه * وعتد كل ثور سنبلة زاده * ودلو
سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب
الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان *
فابرد هلال القوس سهم بريده بمرسومه الى كل صاح * يخبر أن
جند الشتاء على عالم الكون والفساد اناخ * فليستعد له الكماة * وليحذره
العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكافاته فما كل كاف له كفوا *
لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وأن
قصده بقدومه تبريد الانفاس * وتقبيط الانوف والآذان واسقاط
الاكارع وقلع الراس * وأن فصل الخريف رائد جنوده * وقائد
بنوده * ونموذج طلعته * ومرآة عين غلته * وعنوان مكاتبته *

ومقدمة كتيبته * ثم زمجر بعواصف زياجه البارد * وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة والواردة * فارتعدت الفرائص من زئيره * ولاذ كل من الحشرات بقعر جحره خوفا من زمهريره * وخمدت النيران وجمدت الغدران * وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان * وخرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار * وتحبست الاسود في اخياسها * وتكنست الظباء في كناسها * وتعوذ الكون من آفته * واصفر وجه المكان من مخافته * واغبرت خدود الرياض * وذبلت قدود الغياض * وراح ما كان بها من النضرة والارتياح * واصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح * فاستهمي تيمور لفظات هذه النسمات * واستبرد نفثات هذه النفحات * وامر باعداد لبوس القباب * واستعداد بركستوانات الجباب * واتخذ لصفاح الجليد وسهام البرد * من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد * ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * واغرقها على قامة عزمه الثاقب وامد ما من كان في كفايته باتراس * ولم يلتفت الى كلام وملام * واستكفى من الشتاء ما ينبه واجده من كل كاف ولام * وقال لعسكره لا تكترثوا

رُبَّما مَرَّ الشتاءِ فانيا هو برد وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتأمت أموره وأوامره * أمر أن يصنع له خمس مائة عجلة * وتضبب بالحبال لتحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء خروجه بالدخول * وأورد بانقطاع هراية عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد أصبح البرد عجبا وأي عجب * وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمد وبني عليه رائق النسيم الصرح الممرد *

قلت قد يما * شعر *

* على البحر قد ما ينعد جسرا ممددا * بناه اله العرش صرحا ممردا *

* بكيت فخلت الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا *

فعبره ومر * ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه واصر * فلح مر الشتاء عليه بالدمار * وانحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل نكباء صرصر * وضرب اثباب عسكره بصرة طول فيها وما قصر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يعن لاسير ولا يجير ومن كبير يسابق البرد ببرده * ويجاري اجرده بجرده ومرده * فجال فيهم

الشتاء بزواجف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * وأقام عليهم

بانبعاث صنابره * وحكّم فيهم زعازع صنابره * وحلّ بناديه *

وطفق يناديه * مهلاً يا مشوم * ورويدك أيها الظلوم الغشوم *

فإلى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الأكباد بأوامك وأوارك *

فإن كنت أحد نحسي جهنم فإني أنا ثاني النحسين * ونحن نحسان

اقترنا في استيصال البلاد والعباد فانحس بقران النحسين * وإن كنت

بردت النفوس وبردت الأنفاس فنفحات زمهريري منك أبرد *

أو كان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصمام وأصمهم ففي

أيامي بعون الله ما هو أصم وأجرد * فوالله لأحابينك * فخذ ما آتيتك *

ووالله لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون * لواعج جمر مجمرة ولا وامج لهيب

في كانون * ثم كال عليه من حوامل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك

الزرد * وأنزل عليه وعلى عساكره من سماء الزمهرير من جبال

فيها من برد * وأرسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم وماقيهم *

ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم إلى تراقيهم *

وجعلت تلك الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته

كالرميم * واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنقضه * كانها برعرصات القيامة اويحتز صاخة اتقه من نفخه * فكانت اذا بزغت الصفعاء ولمع الصقيع ترا آى على عجب * سماء من فيروزج وارض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب * فاذاهبت فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذى روح * اخمدت نفسه * وجمدت ونفرسه * وبذلك الجمل والجمال * حتى اقعد على كل مرمق الحال * وانتهى الشان الى ان طابت النار زوردا * وصارت لواردها سلاما وبردا * واما الشمس فانها ارتجفت وجمدت عينها من البرد ونشفت * وصارت

كما قيل

* يوم تود الشمس من بردها * لو جرت النار الى قرصها *

وكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته * فيصير كأنه فرعون وقد رصع لحيته بحليته * وان لفظ من فيه نخامة عاقلة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة جامدة * فانكشف ستر الحيوة عنهم * وانشد لسان حال كل منهم *

* شعر *

* فيا رب ان البرد اصبح كالحيا * وانت بحالي عالم لا تعلم *

* فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم *

فهلك من عسكره الجم الغفير * واتى الشتاء على كبير منهم وصغير *

وشاط منهم انوف وآذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط *

ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم رياحا وبحارا * حتى اغرقهم فيها

وهم عاجزون حيارى * ونودي عليهم مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا

نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت

الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد * بعث منه الاكباد * وفت

القلوب والاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

وكان تيمور حين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشارة *

مزعومها اذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره *

وفهم من فحواه بالاشارة * انه طالب دماره * ومتهم اولاده ومخرب

دياره * شق عليه فيه المضايق * وسد في وجهه الطرق والطرائق *

واقترح عليه فيه بامور * يسهل عنده قطع الجبال ونقل الصخور *
ويعذب عنده ادناها شرب البحور * من اقلها ان يعين له بمفرده
اقامة ليوم قد ومدة دون غده * خصيصا يأكله ليله * وقفيزا يطعمه
خيله * ومن عرض ذلك مائة حمل جمل طحينا خاصه * وهو مخصوص
به لليلة واحدة خاصه * وانه مع عساكره الجرارة * لا يبيت سوى
ليلة واحدة باشارة * الى غير ذلك * فلما اطلع الله داود على هذا
الكتاب * وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب * علم انه قد حل به
العذاب فسلت وعيه * وبدل سعيه * واخذ في اعداد الطحين *
واجتهد في ادارة الطواحين * وكانت الطواحين ارق من حال اديب *
في هذا الزمن العجيب * ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح *
كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح * ورد ماءها لانها في مجاري
عروق الجبال ناضبة * ودموع العيون في آماق الغروب غاربة *
فبذل ما كان اعده * لكل نائبة وشده * واهان نفائس الاموال *
واستعان على اجراء الماء بالمال * واستغاث باولي النجدة من الرجال *
واستمد المدد * من كل عدد وعدد * واستنهض آراء المتفقهين من الاصحاب *

واشتد فيه بعض ما نزل به من مجلب للبلاءات ونائب * وقرع لفتح
ما ارتج عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * واجابوا اصداءه
وندّاءه * وتأزروا بالعصبة * واستطبوا المرتبة * وجمعوا من العملة والفعلة
الاسودوا الشراجين * فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يدير
الطواحين * وجعلوا يعالجون البرد * ويقطعون في طريق الماء
الجمد * فكانوا كالضارب في حديد بارد * والكابد بتزويق وعظه
تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه * ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه *
وصاروا لا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد *
الا وتهب نسمة يابسة * على تلك الوجوه العابسة * فاذا هب بارد
النسيم * قابله الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه عن نارهم * ويصرد
لبه عن اوارهم * فيجمد ما فوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك *
فيرجعون القهقرى * ويمشون كالحبالى الى ورا * والله ذا دمع
ذلك يهيل الاموال * وينادي مستغيثا بالنساء والرجال *

* قلت *

* فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالمدار *

* يوقفه الهمه لا جرائه * وكلما ازقفه البرد دار *
الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * ان هذه مسئلة تكليف مالا يطاق *
وحين تعين له امرهم * وتعين عنده عذرهم * قارنه الحظ لحالك *
وتيقن انه لا محالة هالك * وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل *
وان مخدومه ما طلب منه في ذلك الحز الضيق الا الامر الجليل * وكان
بلغه ما وشاه به اضداده * ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده *
وعلم ان خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مشيليه جاء معه قد
نقل اليه * وكيف قتله شر قتله * ونهب امواله واسر اولاده واهله *
وكان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه الشرور * لا يقر له قرار *
ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحيوة يده * وودع
حيوته واهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه
وبين تيمور نحو من عشرة ايام * وقد انقطعت الدروب * وضعف
الطالب والمطلوب **

* مفرد *

* اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه الى الفرج *

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار * وانتقاله الى دار البوار * واستقراره في الدرك الاسفل من النار *

وجعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كورة تدعى اترار * ولما كان بظاهره من البرد آمنا * اراد ان يصنع له ما يرد الأبردة عنه باطنا * فامران يستقطروا له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة * والافاويه والبهارات النافعة غير الضارة * وابى الله ان تخرج تلك الروح النجسة * الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه * فجعل يتناول من ذلك العرق * ويتفوق افاويقه من غير فرق * لا يسأل عن اخبار عسكره وانباءهم * ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم * حتى سقته يد المنية كاسه * وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم * فانه لم يزل للقضاء معاندا * وللزمان مجاهدا * ولنعم الله تعالى جاحدا * ولا شك انه جاء عنيدا وتحصل مطالبه لجاجا زائدا * فاثر ذلك العرق في امعائه وكبده * فتزلزل بنيان جسمه ودنع اركان جسده * فطلب الاطباء * وعرض عليهم ما ابتلاه * فعالجوه في ذلك البرد * بان وضعوا على بطنه وجبينه الجمد * فانقطع ثلاث ليال * وعكم احمال

الانتقال * الى دار الخزى والنكال * وتلفت كبده * ولم ينفعه ماله
وولده * وصار يتقيأ دما * ويأكل يديه حسرة وندما

* مفرد *

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع *
وجرعه ساقى المنية امر كاس * وامر جنيتك بما كان جاحده فلم
ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * ونودى
عليه اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث * اخرجى
ذميمة * ظالمة آثمة * وابشرى بحميم وغساق * ومجاورة الفساق *
فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق * ويخمد لونه ويزبد شدقاه
كالبعير المشنوق * ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم *
واخذوا على الظالمين ليضربوا ادبارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا
منارهم * ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم * ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حوله يتجرعون *
واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون
فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم احضروا من جهنم المسوح * وعلوا اسل السفود من الصوف المبلول بتلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر في اليم زجره وعذابه * وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحي انزار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قلت * شعر *

* الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور *
* بينا الفتى فوق السما * واذ به تحت الصخور *
* كم من شموس في سما * فلك العلاء لها يدور *
* لما استوت في عز ما * زالت واكسفها الفتور *
* وملوك دنيا اضرمت * من نار رعد واما البحور *
* ملكوا البلاد دورا ملها * ماضي الاوامر والامور *
* اغرا بهم الدهر الخؤن وغر بالله الغرور *

* ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور *

* فغدوا زادوا بالأذى * وغدوا أسوداً في الشرور *

* غنى لهم فتراقصوا * مثل الشخوص بلا شعور *

* وحكوا على بآبائهم * طيف الخيال إذا يدور *

* وتوهموا أن الزمان * مطاوع غير النفور *

* أو أن ما نالوه من * دنيا يفور ولا يغور *

* فتواثبوا وتصارعوا * وتكالبوا شبه النمور *

* وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور *

* وتناحزوا وتلابزوا * وتناقروا نقر النسور *

* مذ أو إن يتصالحوا * يتصالحوا ميناً وزور *

* فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور *

* بيناهم في عزهم * والله من مكر غيور *

* انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور *

* أمسوا وكل منهم * كاللحم يلقى للصقور *

* لا ملك ردّ يد الردى * عنهم ولا ملك ودور *

* كلا ولا جنش ولا * ولد ولا ملك يصور *

* ثم انقضت آنا رسمهم * حتى العشا نقش السطور *

* لم يبق منهم ... قومهم * شيئا يعوضه ذكر يدور *

* تلك صيلتهم [illegible] * كالأبحر النقضا تمور *

* الاعوج الد جال من * قتل الجماجم والظهور *

* داع البلاد ودما زما * ونوائب الدنيا تدور *

* املى له الله العليم فزاد * هذو ومن في فجور *

* وارتد مستنفرا جاء * اياه في شئ يبور *

* ليراه في امهاته * محكما يعدل لا مجور *

* فاجتاح كل الخلق من * غربه ومن عجم القطور *

* وحجا البلاد ومنعها الردى * بحسامه الباغي يمور *

* افنى الملوك وكل ذي * عرب وذي علم وقور *

* درعمى على اطرافه يقووا الله وا لبا يبى الطهور *

* غرو عجتيكوخلن ذاك الظالم النجس الكفور *

* فلما عاقبوا في البلاد * من كل ما وشغور *

وأحل حتى المحصنات المؤمنات من الخدور
ورموا في النار الصغار ثم بها خور
هدموا في هذا الى * نيل الزناة شرب الخمور
طورا يرى نكث العهود وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من * اهل الصيانة والوقور
من كل ذئب سائر * منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلوب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا وجوها طالما * تجلى بها الرؤية النور
وكووا جنوبا قلما * جافت عن المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من * ايدي البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السموم وجرعوا كاس الثبور
واستاسروا آل النبي المصطفى الطهر الطهور
وغزوهم من مشركي الاتراك في ... جور
وكذا اكف واحد منهم من كل ... وزور
وبصروا ... والمستير ... زور

* ما بين ايوان وتوران البلاد لهم قصور *

* وامتد ذاك من الخطا * اخذا الى اقصى الثغور *

* لما انتهى اسعاده * وتكاملت تلك الشرور *

* هجم القضاء لاخذه * ولكل تكميل قصور *

خطفته ايدي الموت من * تلك القصور الى القبور *

* وتبدلت منه الكرامة * بالمذلة والعثور *

* ومضى الى دار النكال * بما تحمل من وقور *

* وتفرقت تلك الجموع * وهد ما شاد الثبور *

* ابقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور *

* وتخلفت آثاره * آذى على كر الدهور *

* فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المساء وذا البكور *

* لا فرق عند الموت بين * شكور فضل او كفور *

* اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزهور *

* اهل السعادة والحجى * وذوو السيادة والوقور *

* المطفئون الى السما * والمخجلون بضي البدور *

* كانوا عظاماً في الصدو رِ وهم صدورٌ في البدور *

* طحن الردى تلك العظا م وفتّ ماتيك الصدور *

* وحدتهم ريح الفنا * سفي الرمال يد الدبور *

* اين المنون ومن غدا * للقلب افراحاً ونور *

* كانوا اذا رفع الحجاب وخرمت عنهم ستور *

* تلقى الدنا قد اشرقت * كالشمس من حجب الخدور *

* من كل ظبي احور * او ظبية تزري بحور *

* نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور *

* وفدتهم مهج الورى * من شر احداث الدهور *

* كانوا اذا سكنوا امكانا حركوه من السرور *

* كانوا على وجه الدنا * حدقاً وللاحداق نور *

* وحدائقاً لرياضها * وعلى حدائقها زهور *

* بيناهم في سكرهم * قد مازج البشر السرور *

* والعمر غضّ والزمان مسلّم لهم الامور *

* وافاهم ساقي الموت فجاءهم بكاسات الثبور *

* فسقى رياض خيوتهم * قفراً آهلا دائر الكل بور *

* تركوا فسيح قصورهم * زعماً الى ضيق القبور *

* وسقوا بكؤس فراقهم * صبراً لكل شجٍ غيور *

* من شق حزناً جيبه * ولطمن منهم دق الصدور *

* لو كان ينفعه الرشى * او كان تحجبه الستور *

* لقف أمهم ورقاهم * ورعاهم رعي الخدور *

* سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور *

* ورعاهم دود البلى * وفراهم فري الجزور *

* أمسوا رميماً في الثرى * وثووا الى يوم النشور *

* يسعى المحب مخاطباً * أجداثهم يوماً يزور *

* يبكي ويندب نائحاً * قبراً ثنا وشه الله ثور *

* ويمرغ الخدين في * ترب يراها كالذرور *

* ويلم رخيش بجيبه * الا صدى صم الصخور *

* بينا تراه زائراً * واذا به أمسى مزور *

* هذا بتقدير الاله وحكيم فعال صبور *

* دُنياك جسرٌ فاعتبرْ * واحرصْ على زادِ العبورْ *

* واطمحْ الى اللُّبِّ الهني * فجميعُ ما فيها قشورْ *

* لو لم تكُ الدُّنيا وما * فيها هَبَاءً اخيثعورْ *

* ما كان يُزوَى بِرُّها * عن كلِّ صبّارٍ شكورْ *

* كلّا ولا انقادَتْ لمن * قد صارَ مختالًا فخورْ *

* مثلُ اوغالبُ مَنْ عتا * في ارضِها عرجٌ وعورْ *

* خُلقوا لحقٍّ فانثنوا * عنهُ الى مَيْنٍ وزورْ *

* يا ربِّ ثبّتنا على * ما ترتضيهِ من امورْ *

* واغفرْ لنا ما قد علمتَ من الخطا يا ياغفورْ *

* واختمْ لنا بسعادةٍ * نُكفى بها شرَّ الغرورْ *

* وامننْ لنا بتجارةٍ * من بابِ فضلكَ لن تبورْ *

* وادِمْ سحائبَ رحمةٍ * تهمي على بدرِ البدورْ *

* خيرِ الانامِ محمدٍ * الشافعِ الزاكي الطهورْ *

* والآلِ والصحبِ الكرامِ وتابعيهم يا شكورْ *

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث وامور * وما ظهر

من سرور وشرور *

وكان لله داد احد الخلان * يدعى سعادات نائب إندكان * من ذوي النباهة والشهرة * وهو احد الامراء الذين توجهوا لعمارة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت مادة الفساد * وان تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى درك مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام المذكور * ففرج عن الله داد همه * وازاح عنه غمه * وكانه استانف له الحيوة * او رد راحلته التي عليها طعامه وشرابه بعد ان اضلها في فلاة * وسياتي حكاية الله داد وامره * وما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره *

ذكر من ساعده البخت * واستولى بعد تيمور على التخت *

[illegible] تيمور نحبه * وازال الله عن العالم كربه * لم يكن معه في اجناده * [illegible] اقاربه واولاده * سوى خليل سلطان بن اميران شاه حفيده * وسوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان في الشام عند وروده * فارادوا كتم هذه القضية * وان لا يشعر بها احد

من البرية * فشاعت وراعت * وطن رعبهم دعت * فاضطربوا
واضطرموا * واصطدموا واصطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك
وفهموا وعلموا * انه قطع دابر القوم الذين ظلموا * فجفلت العساكر
واجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند نقلوا * وساعد خليل سلطان
البخت * وخلا له الجو فاستولى على التخت * وكان ابوه اميرانشاه *
متولي ممالك اذربيجان وما والاه * وعنده ولداه عمر وابو بكر *
وبينهم وبين ما وراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة سياج
والف سكر * وكان ابو بكر هذا في الجغتاي من الفوارس * والضاربين
بالبيض الهام والقوانس * يذكر انه كان يوقف بقرة * او ينيخ بكرة *
ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين *
واميرانشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
اذربيجان * وولده عمر قتله اخوه ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو
متولي كرمان * ومصافاتهم مذكورة * ووقائعهم مشهورة *
وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان * وبير عمر كان في ولايات
فارس وتلك البلدان * وتيمور كوركان * جعل ولي عهده محمد سلطان *

وهو وإن كان من أحفاده * لكنه قدمه على أولاده * لما لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعاندته الفقهاء فيما يروم * ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * وكان له أخ يدعى بير محمد * فجعله تيمور ولي عهده من بعد * فلما هجم عليه رائد الموت * وأقاب روحه الخبيثة بأزعج صوت * كان مستغرقاً في بحار غفلته * مسترجياً إرجاء مهلته * فذ بحه اغتباطا * وسام عسكره اختباطا * وكان إذ ذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار * مستقرا لقرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار * وهم كتيمور غافلون وبير محمد في قندهار * وهي بين حدي خراسان والهند وبينه وبين ما وراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن أقرب إلى دار الملك التي أنشأه * وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن ميرانشاه * مع أن قطان الشتاء وقد أقبل * كان قد بسط على فراش الأرض لحافه * وندف عليه من قطان الثلوج ما غطى وجه العالم وأطرافه * وطم ظهره وأكنافه * فلم يقدر أحد من أولئك الحشرات أن يخرج رأسه عن اللحاف * أو يضحك ثغر زهرة أنملة في كم كميم خوفا من جاني النسيم أن يبادرها

با ختطاف الاقتطاف * فضلا ان يتخطى في فراش امية الى حركة سعفه فيه لنهيد نحو بطش او رجلة نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعذل * واستبد الملك بل العالم من جهنم الكوثر والسلسبيل * ونادى لسان السلطنة في رقعتها نعم البدايل * بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل * وتمكن من العساكر والامراء * وخلاصة الجند واساطين الزعماء * واحتوى على تلك الامم * وطوائف الرؤس من العرب والعجم * وادخل عنق الجميع في ربقة المتابعة * وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعة * ولم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول في الطاعة * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعة * فاطلق لهم البشرة * واحسن معهم العشرة * وكان يوسفي الخلق * محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمع ظروف الملاحة * وحاز صنوف الصباحة * نقش معاشقه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون * على احسن ما يكون من الحركات والسكون * فاول ما نقش على لوح الجمال الف قده القويم * فباءه له كل من فاته من لام عذاره

متقوساً في خدمته كالدال والجيم * وحسن لكل راء ما فيه من زين *
وما شين عين ثغره وميم فمه من فاه بخلف ولا مين * فاستقفى بوابله
كل قاف * واستكفى بنائله كل كاف * وامطر من غين كفه العين * فصاد
من الجفلى كل ذي لام وباء * وداأل بذلك طي كل من باء عن وعد
ورجع عن عهد ووفاء * فنفذت الواقيات مهجته * ورقت من عين
الحوادث نهجته * وعوذت منه الازداف * بالطور والاحقاف *
وحمت نون حاجبه وباءه وطرفه وطرته وردفه بحم عسق * وفتحت له
الملوك بالثناء فاها * وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقائلة

بياسين وطاها *

ذكر خلاص العساكر من الهند * وقفولهم مع عظامه الى سمرقند *

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره * جزره كالجزور فجعل نحوره
كالثور والبقرة * ثم اراد ان يصليه من نار الجحيم حفرة * فاستغاث
بخليله فاجاره واخره * وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعلياء العجلة
وصبره * وانوط راجعاً الى سمرقند * وكان قد انجلى نهر خجند *
وطالب الشتاء قد ادرك ثاره * وبرد قلبه وسكنت الحرارة *

* قلت *

* ورق للعالم بهم * واقبل الله من بوجه بهم
ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور *

ذكر ما امراء وزراء تيمور * واخفاه كل منهم فى التامور *

وكان فى افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر * وباراتهم يقتدى * وبرؤيتهم يستضا *

* قلت *

* من كل منتخب للامر منتجب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما *
قد مشت بهم الامور * وشدت بهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق *
واستوسع بهم مضايق المضايق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق *
وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب *
وكان هو البدر وهم الهاله * وهو الفاعل وهم الآله * وهو الروح
وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس
مواكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب املهم *

* قلت *

وعوض الكون الدجى بالضحى * وبدل المريخ بالمشتري *
أجال كل منهم قداح فكره * وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة أمره *
واستصغر خليل سلطان * وعلم ان موج المنازعة سيأتيه من كل مكان *
وانه لا يصفو له ورد الملك من مكدر * ولا مواه من مغير * واقل
الأشياء ان يقول له رسول اكابر اقاربه كبير كبير * فاعد لكل شدة
شدة * ولكل صدة عدة * ولكل حزة فزة * ولكل حزة حزة * ولكل بوسا
لبسا * ولكل سهم ترسا * ولكل نائبة نابا * ولكل بائقة بابا * ولكل
خطبة خطابا * ولكل خطاب جوابا * ولكل حرب حرابا * ولكل أمر
أمرا * ولكل غدر غدرا * ولكل أزمة حزمة * ولكل نصب نصبة *
ولكل كسرة جزمة * ولكن شكيمة البرد ردت جماح كل جموح *
وسفيحة الجليد قدت جناح كل سبوح * فما وسع كلا منهم إلا
الإطاعة * والانقياد لأمر خليل سلطان بالسمع والطاعة * واستمروا معه
على القفول * مضمرين لخليل ما أضمره للحبيب عبد الله بن أبي بن
سلول * وكان أحدهم يدعى برندق * فرام الى التحصن بقلعة
المخالفة التسلق * فقال لخليل سلطان إن اقتضت الآراء أن أتقدم *

وامهد لك الامور الى حين تقدم * واكون رائد دولتك * وقائد سلطنتك * فاشيد القواعد * وابشر الصادر والوارد * فيكون كل مستعد للملاقاة * ومهيأ اسباب الموافاة * فاذن له * وامامه ارسله * فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسرا بالمراكب * وهيئت اسباب عبوره لكل راجل وراكب * فعبره بزندق بجماعته * ثم امر بقطعه من ساعته * واعلن العصيان * وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان *

* نظم اتفاقي *

* فكشرت اشوارها * في وجهه انيابها *

* واسبلت عصمتها * بما بها حجابها *

* واحد لبث طي جبين منعمة نقابها *

فاستدرك فارطه * وسلك في مسئلة منطقه المغالطه * ووصل خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل * ونظامه قد اختل * فلم يكترث ببزندق وما فعل * بل عقده مرة ثانية ودخل * وولى ما وراء سيحون من البلاد * متوليها اولا وكان يدعى خداي داد * وهو اكبر امدائه * ومن رفقاء تيمور ونظرائه * ومنسوبا الى السلطان حسين *

وهو في تلك البلاد بمنزلة الرأس والعين * فلم يسع خليل سلطان الامضا لمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ امورة كانت في اوائلها * تفوض اليه امورها والقلوب في غوائلها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما ناله من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها * وخرج اليه نائبها وزعماؤها * ووفد عليه نواب البلاد * منغمسين في السواد * لابسين اثواب الحداد * وجاء الاكابر العظام * معظمين مأتيك العظام * ومهنين خليل سلطان بالسلامة * ونيل سرير الزعامة *

* قلت *

* ووجه كل بين عدا * مثل الربيع القادم *
* بعين شعب قلب بكى * وثغر ز هر باسم *

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه * والحمولات البهيه * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقابل لبرندق لا تثريب * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد له بساط المباسطة * وسلم اليه مسئلة المغالطة * وحين ثبتت اوتاد قلعته * والقاه على عقلة

في فم اسد المنية فابتلعه * ثم اشلى على ديار كلاب التهاب * وشهاب الالتهاب * فمزق اديمها * ومتك حريمها * ومحا حديثها وقديمها *

ذكر مواراة ذلك الخبيث * والقائه في قعر الجدث *

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جثته * وتنجيز امره والقائه في حفرة لحده * فوضعه في تابوت من آبنوس * وحمله الروس على الروس * ومشى في تشييع جنازته الملوك والجنود * حاسري الروس لابسي الثياب السود * ومعهم طوائف الامراء والاعيان * وانزلوه على حظيرة محمد سلطان * في مدرسة حظيرة المذكور * بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور * فكان هناك على آثاث * في سرداب معلوم غير خاف * واقام عليه شرائط العزاء * من اقراء الختمات والربعات والدعاء * وتفريق الصدقات * واطعام الاطعمة والحلاوات * وسنم قبره * ونجز امره * ونشر على قبره اقمشته * وعلق على الجدران اسلحته وامتعته * كل ذلك ما بين مكلل ومرصع * ومزركش ومصنع * ادنى شيء من ذلك بخراج اقليم * وحبة من كل من تلك الجواهر تفوت التقويم * وعلق نجوم

قناديل الذهب والفضة في سماء قوابيها * وبسط على مهادها فرش الحرير والديباج الى اطوافها وحواشيها * ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتب على حضرته القراء والخدمة وارصد على المدرسة البوابين والقومة * ورتب لهم الادرارات من المسانهات والمياومات والمشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيرا زماهر في صنعته استاذ * وقبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النذور * وتطلب عنده الحاجات * وتبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما *

* فصل في اعتدال الزمان * واخبار خليل سلطان *

ولما اخذت تيمور الصيحة بالحق فصار غثا * وقعد خليل سلطان على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا * مد الشعراء السنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنية ولتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وهني صوته زاجار * ورفع عن العالم في نصوصه الكلاكل والاعجاز * فانشم

الكون بورود الربيع * وشكر الروض للسحاب ما اسداه اليه من حسن الصنيع * ورفع على الروابي من الشقائق اعلامه * ونصب مما زهر دخيلم الصنع من ازهار الاشجار خيامه * ونور الحدق بانوار الحدائق * واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الاطيار على منابر الاغصان في جوامع الرياض ما انصتت بلغاته كل ناطق * من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق * ومعجب باسرار البلاغة فائق * فرقصت الاشجار لغناء الاطيار * وصفقت الانهار * واعتدل الليل والنهار * واكتسى البسيط الاغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الاغصان من قطني الثلوج * كل ثوب باصباغ القدرة مزهر وبكف مقص الازهار منسوج * وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغنى لكل طائر مزدوج * وبسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان *

* فصــــــل *

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تمهيد الممالك وتسليك المسالك * وعلم انه لا يتقيد به انسان * الا بقيد الاحسان * ولا تجمع له البلاد * الا بتفريق المال * فعقد القلب على تلك طلسمات النجوم وحل

الرموز * وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطاليب والكنوز * وقوم العزيمة على فتح الخبايا * وصيد عصافير القلوب ببذر حبات الهبات تحت شباك العطايا * ففرق ما كان شتت جده في جمعه شمل البرايا * وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * وأوسق أحمال الآمال * وربوع الأطماع بالأموال * وأمطر أيادي يمينه بالنوال * ففاض الخير من صوب الشمال * وملأ الأفواه والمسامع والمقل من الناس * بما أفرغ من حواصل الكنوز والصناديق على أغنام الجند والأكياس * فنثر أغصان الدوح عنه ورود الربيع أصناف أزهاره * فكأنه أنامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره * وجاد سحاب بذل دره وأمطاره * فطمى جود جوده الهامي على العالم وأقطاره * فقيد الناس كلهم بهذا القيد * ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد *

ذكر من أظهر العناد والمراء * وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء *

غير أن بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والأجناد * أعلن

مما كان اسر * ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فأزل من شهر سيف العصيان * وفوّق سهام العدوان * وشرع بمخالفة الزّديني * خدايداد الحسيني * متولي ما وراء نهر سيحان * واطراف تركستان * فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطّاعة * اماما يقتدي به في البغي ومفارقة الجماعة * لا سيما وقد كان صوّاغ الربيع قد اذاب بجمراته سبائك الجمد والثلوج * ورصّع بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنّات وارباض المروج * واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود بالحقّ فقالت ذلك يوم الخروج * فاقتفى خدايداد * في العصيان والعناد * شيخ نور الدين * وكان عند تيمور من المقدمين * وذوي الآراء والتمكين فانخزل جهارا * وسار ليلا ونهارا * فوصل الى خدايداد * وقوي منه الظهر والاعضاد * وشاركه في التمرد والفساد * ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك * واخذ في طريق المخالفة وهو منهمك * وخرج من سمرقند وهو يصرخ * وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ * وكان نظير شيخ نور الدين * وذا رأي مكين وفكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان

بالعاصي والكوم من ثم يختص * وختم بنتاج افعاليه لكل راس وما خص *

ذكر اخبار الله داد صاحب اشبارة * والخلافة ايامه وقصده دياره *

وما صنع في تدبير الملك واثاره * قولا وفعلا واشارة الى ان اده ركبه

في ذلك دماره وبواره *

ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه * وشاورهم فيما يصنع

وما ينبني اموره عليه * فاتفقت كلمتهم * واجتمعت مشورتهم *

على قصد دياره * واخلائه اشباره * فانهم كانوا في ذلك المكان *

كالفستق في شهر رمضان * والزنديق بين قراء القرآن * فلما طوى

الحيو ملاءة المسكية * ونشر على المكان مروطه الكافورية * والتقى ثعبان

الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته المضية * حضر الى خدمة

الله داد * امراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد * من الترك

والخراسانيين * والهنود والعراقيين * فاحتفى بافاضلهم * ومن اراد

مخاولهم * وشكر لهم من هذه القضية طيها * وطلب من آرائهم فيها رشدها

وغيها * واستكتمهم امرها * لئلا يستشفي المغول تغورها * واني

لعين الشمس في الفجر الاستتار * وكيف يخفى على ذي عينين

النهار * فكل منهم فوض الامر الى مرشديه وطرح قصة هذه *
القضية في جيب مكتومه * فاستدعى من اولئك الرفاق * ان يكونوا
معه فيما يرا على طبق الوفاق * فاجابوه الى سؤاله * وربطوا افعالهم
باقواله * فاكد ذلك بطلب ايمانهم * وان اسرارهم في ذلك كاعلانهم *
فشرع كل في المخالفة * لانه ليس في موافقته مخالفة * وانه مهما رآه
الله داد امتثله * وما امر به فعله * وحين أمن من مخالفتهم وعصيانهم *
وحصل له اليسار بربط اعناقهم بايمانهم * قال اي جماعة الخير *
وقيتم الضر وكفيتم الضير * ارى ان اكون في مثل هذا الامر
امامكم * فاتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم * فامهد الامور لكم *
وارسل الى بلادكم هذا بذلكم * وايم الله لا باخل بي قرار ولا
هدو * ولا اتركنكم مضغة لماضغ ثغر العدو * فان رأيتم ان تضبطوا
بحسن الاتفاق امورهم * وتحموا قرية ورد قلعتكم من صورة شارب
العدو وسورتهم * فلن امهلكم الا بقدر ما اقطع نهر خجند *
واصل الى سمرقند * فامهلوني ريثما اصل * وبخليل سلطان اتصل *
فتتبعوا مراده * وانفذوا ما اراده * وما قدروا ان لا يخلفوا من بعد *

ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده * فأمر عليهم رأس جنود العراق * وكانوا كمرا الوفاق بالاتفاق * وقرر لكل مسلحة في أسوارها من كل سالح جزءا مقسوما * وصار زعيما وتلك السالحين كالنبي في أمته مع انه كان يدعى معصوما

* فصـــــل *

ثم أمر الله داد بتنجيز الأمور * وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور * ولم يلتفت الى برد وحر * وكان قد استوطن اشبارة واستقر * ونقل اليها حريمه وأولاده * وبذلك أمر حاشيته وأجناده * فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا * ولم يدع بها ما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا * فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسومهم الارض من تلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فادركهم العيد المرموق * في مكان يدعى فولانجوق * من أبرد البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد *

قلت * شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه انفاس الهجير *

ذكر ورود مكتوب بين الى الله داد * من خليل سلطان

وخدايداد * تخالفت معانيهما * وتعارضت فحاويهما *

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده

من حادث الزمان * وانه استولى على سريره * واطاعه من الملوك

كل كبير القدر وصغيره * وان الامور بحمد الله مستقيمه * وقواعد

الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا يحدث امرا * ولا يخرج

من بحر مملكته برا * وليسدد بمكانه * وليتثبت باشبارة مع طوائف

جنده واعوانه * وليطيب خاطر الجزء والكل * فانه عقيب ذلك

يرسل اليهم بدل الكل من الكل * فتحير الله داد وتفكر *

وحاسب نفسه هل يربح في سفرة ذلك او يخسر * ففكر وقدر * فقتل

كيف قدر * فبينما هو في امره يعيد ويبدى * ويلجم في شقة افكاره

ويسدي * واذا بقاصد خدايداد ورد عليه * يستحثه على الخروج

من اشبارة والوصول سريعا اليه * فوجد خروجه من اشبارة عند خليل

سلطان منذ وحه * وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد ان مات

وعيناه مفتوحه * فطوى بساط تردده * وتوجه ببسط امله نحو مقصده *

ولكن كان بجنة وبقي الزاد بفرط القتاد * والموانع التي ذكرها صاحب
الوصول الى سعاد قمع زيادة نهر جيحون وخفايا الجهاد * تواصل النتاد ويبس
والاسآد * حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته * واستنجح
مقصوده بطلعته * ثم قطعا نهر جيحون * وقصدا ضواحي سمرقند *
ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى شيرك * وقد شمرا للعب وابن
الحسام وشرعا للفتك المتدارك * فاحتاطا على حشار تيمور فنهباه *
وتقاسماها وحملا اليه من نقد وجنس فسلباه * واكثرا هنالك شرا
وفتكا * واشبها في ذلك تبعة ومطمورا اوعادا * وكان صنيعه اول
فاقرة بدعة سقطت من سقط الزند * وبسطت يدهما بالفتن
بعد تمضي تيمور في ممالك سمرقند * لان اهلها كانوا قد امنوا الشرور *
ووقوع الفتن في حيوة تيمور * فجاء دهم اولئك المغرورون *
اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * وذلك في شوال سنة ثمان *
وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع * لما تمكن السلطان خليل * تداركه
منها الخطب الجليل *

ذكر من خلع الانقياد بالشبابرتين من الطوائف * وما وقع له منهم

من التناصر والتحالف ثم

وأما آخرون من خلفه الله ماد * في اشارة من طوائف الأجناد *

فإنهم خافوا من القول حلول حينهم * فتحزبوا واختلف الأحزاب

من بينهم * فمنهم فرقة قال قائلهم أنا على مذهبي قوي فلا أحرق

وآمين * وقد استمسكت يدي بعروة عقيق مكين * وارتبطت

بحبل حلف فلا أصير من أهل الشمال باليمين * وأدين ذلك العاق نفسه

حتى يصل من الله داع رسول أو كتاب * وننظر ما يجيئ فيه من حلوك

بينة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب * فان وافق ذلك

مرادنا امتثلنا ما يقول * واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول * أو توجهنا

في تلك الساعة * سالكين السنة مع الجماعة * وان جاء المخالف كلامه

بخطاب أجلح * عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا في مصلحة نفسه

الى القول بوجوب رعايتها الأصلح * ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك

الدائرة * والمبادرة الى الخروج عن الجزيرة * وانتقلوا من تكرار منه

المجادلة الى القتال * وقطع رأس أحد رؤس المعتزليين في ساحة

النزال * ومنهم طائفة اعتنق الكفر فلم يلحقوا الأمنية و[illegible]

ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تنعى من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثلوج * فتحملوا بقضيهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * واموال واقمشة * ونفائس مدهشة * ولم يبق فيه من تلك الامم المشحونة * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال مشحونة * وسوى امراة واحدة مجنونة * ولحقوا بالله داد وهو عند خدايداد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بان خدايداد منعه ان يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البدل * وامرهم بالاقامة معه مستوفزين * وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين

ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخلبه واحترق عقله وسلبه *

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تاكد العداوة بين خليل سلطان والله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره

فيما يصير من أمره وما يكون * وكان قد خالف ايداد * طائفة من مماليك الاجناد * تخلفوا عن العساكر في تلك البلاد * وقد ضيق عليهم المسالك * واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له اتابك بذلك * وقال ان عادة الاكياس * اجتلاب خواطر الناس * خصوصا في مبادي الامور * وحل وكايا اوائل الشرور * فلا تنفر عنك الخلق * وعاملهم اولا بالاحسان والملق * واي فائدة في قتل هؤلاء وتمزيق اديمهم * بموت نفي الصداقة وتأكيد العداوة بيننا وبين متخاذيهم * وربما يكون في خاطر احد من متخاذيهم نفرة من خليله سلطان * ويروم لذلك ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان * فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا رأى ذلك في متعلقيه انى يبقى له اليك ركون واطمئنان * واقل ما تفعل مع هؤلاء يا انسان * امساك بمعروف او تسريح باحسان * ومتخاذيهم هؤلاء لنا رفقاء * ولخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم الجميل * ملكت كل رفيق وخليل * ولقيت العداوة بين من عاداك من صديق وخليل * فلما سمع كلامه * القى اليه الوكادة من ذلك

الأمور زمامه * لناشار مليه بسراحهم * واحسان اليهم في غدوهم ورواحهم * فزاد في نجاحهم * وراش مخصوص جناحهم * وصرفهم بالعز في طريق مراحهم * فدارت بالسعد افلاكهم * واجتمعت بهم املاكهم وملاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحل امر جليل *

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد * وان يستعطف خاطره الى الرضى * ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى * ومنهما طلبه يتكفل به * ويعد قربه من افضل قربه * ويكون هو السفير بينهما * ويقرب بالصلح بينهما * فتوجه الله داد الى خدايداد وابلغه مؤدة الرساله * وبين له ما في مطاوي القول من رقيقه وجزاله * وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان وخدايداد * على ما ذكر ان خليل سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخدايداد في تلك البلاد * وكان جده جعله ناظرا عليه * وفرض امور تربيته اليه * وكان كحزا جافيا * وجلفا جاسيا * فكان يعامله باللطافه * ويقابله بالكثافة

بغلاظه * وكان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات *
م اخلاقه لا تحمل من خلايل اذ زمازعه * وبرد مزاجه اللطيف
قه حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاققة والمنازعه * فتولد من تلك
نماوة * بينهما المعاداة * وجرت بينهما الوشاة * الى ان دس له
لكا فسقاه * فكأنه احمه * فتدارك نفسه * وتعاطى علاجه *
بما يصلح مزاجه * فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهيه *
منها كانت القاضيه * وبقي فيه من ذلك اثر * واورثه العرج *

فصارت الجبارة الخاصة عامه * وغدت منه
الفعلة لهذا المعلول علة تامه *

* فصل *

ان الله داد حلف لخدايداد * الايمان الغلاظ الشداد *
كد منه الايمان * بان استصحب مصحف القرآن * واشار اليه *
ضع يده عليه * وزاد تأكيد الايمان الطلاق * وبالالتزامات
لتلو وزر العتاق * انه لا يقبل من طاعته بدا * ولا يستبدل
به ابدا * وانه ان توجه الى سمرقند بجهته في رأيه انصدع

وردّ ما انصدع ورتق ما بين الجانبين انفتق * ورقع ما في خواطرهما
من الشحناء والعداوة انخرق * وان يجهز له توماناً احد نسيبة
تيمور * وحاصل الامر انه يتكفل بحسم مواد الشرور واصلاح الامور *
وان عجز عن رفع الشنآن * ومنع وطء العدوان * فانه لا يستحيل
عن مصادقة خدايداد في السر والاعلان * وصار يتملق ويترفق *
ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتملق * ويشدّد ايمانا
ترجف القلوب وتصدع * بالله الواحد ويعني بالطلاق الثلاث من
زوجاته الاربع * وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا * وموعن شاه
رخية يحترز من بريكه بين بعدا * فعبر سهم ختله الى سويداء قلبه بمكر
ودخل * وغربله اذ طحن معه ناعما زرعه بيمينه في ساحله
ونخل * الى ان سمح باطلاقه * بعد تأكيد عهده وميثاقه * فرجع الله
داد الى وثاقه * واجتمع لها شيته ورفاقه * وكانوا في شناة رخمه *
واخبرهم بهذه القصة * وكان قد هيأ قبل ذلك امره * واخذ من
كل جهة اهبته وعدده * ثم كانه شمر الذيل * وقطع سيحون
بالمراكب تحت جنح الليل *

ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا في الاوطان *

وحين حصل من هذا الجانب * ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر ولا غائب * امر في الحال * بحكم الاحمال وعقد الاثقال * واخفى الامنيه * قبل النهبه * فافرغ عليهم سوابغ السلاح * واذن بطلوع الرحيل قبل الفلاح * وقدم صعدة اهله والاثقال امامه * ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار * وما جرى بينه وبين خداي داد وكان وصار * ويستمده باستقبال المدد * وارسال العدد * لاجتبال ان خداي داد الابله * يتفطن لغائلة هذه الفعله * فيخطر بباله ردهم * ويرسل وراءهم من يصدهم * ثم ساروا كالسهم الصائب * وطاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح * الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجازوا كل قاتم الاعماق خاوي المخترق * وقطعوا من الزوال المسير مما اهلته مطاياهم من مزعر الرياح في الوان الشفق * فوصلوا المسير مراهم * فما روا لها رمهم اجمع حتى عشيهم ما مهم * وحين اخذ منهم اللغوب * وكل الراكب

والمركوب * وحملت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم
الى بعض البطاح وحط عنه واستراح * وزعم ان توقد نار * ولا يطمع احد
في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف *
ثم التمسوا ما يمسك الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف *
واقبلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم امر فحملوا وركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خداداد بان الله داد * خلب عقله بالنكال والنكاد

ثم ان خداداد تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم ان
الله داد خلبه نهارة ذلك وسحره * وكسف شمس عقله ولعب به
في دست خلفه وقمره * فعض كما يعض الظالم على يديه * وعبى في الحال
عسكرا جرارا وانفذه اليه * فاسرعوا وراءه * والتمسوا لقاءه * فلم
يروا له عينا ولا اثرا * ولا رووا عنه من احد حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا
في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين *
ووصل الله داد الى مقصده * فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى
عليها بمفرده * اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد درج *
وغاب ملك وكل من رام العصيان بالقلد دب ودرج * فابتهج بقدومه

خليل سلطان * وتقدمه كما كان على سائر الوزراء والاركان *
فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك بحسب بيانه
إخبارا وإنشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا
وحفظ الثغور * فتراجع امر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك
بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس *
وكان هو وبرندق وارغون شاه وآخرين ممن كجول يدبرون مصالح
المملكة * ويسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * والمشار اليه المقدم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام
شؤون الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخداي داد * يغيران
على البلاد * ويزيدان في الشرور والفساد * واستوليا على اطراف
تركستان * وممالك تلك البلدان * منها صبرام وتاشكند * واندكان
وخجند * وشاهرخية وانزار وسغناق * وغير ذلك مما في تلك الاكناف
والآفاق * فكانوا يقطعون ويصلون * ويتوجهون الى ممالك ما وراء
النهر ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم
طوائف من الجند والاعوان * وعلى كل تقدير فانهما كانا

لا يغنيان ويتهزمان * وسيأتي ذكر ذلك كما كان *

* ذكر ما وقع في توران * بعد موته من حوادث الزمان *

وأما المغول * فإنه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول * وكان بلغهم انه قد صوب أحجاركيده الى معشر تلك الثغور * وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور * ولم يشكوا في ان ذلك شرك مكيدة * وأحبولة مصيدة * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار * وتشتتوا في البلاد * وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الأطواد * ولجأوا الى الحصون والجروف * وتواروا في قعر المغارات والكهوف * وكذلك كل ذي يمين من أهل الدشت والشمال * وتوزعوا في الأحقاف والرمال * وصار أهل المشرق والخطا الى حد الصين ومن في ذلك الوجه يسرحون لو يجدون ملجأ أو مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون * والحق انه كان في هيبته وعتوه قد عرج * الى ان املأ العالم شرقا وغربا بالأرج * وصار

* كما قيل *

* تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا *

* تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم استلالا *

* تكاد سوابق حملته تغني * عن الاقد ارصونا وابتذالا *

فلما ترادف هذا الخبر * وتكرر همرقند هذا السكر * واشتهرا مناداة حتى ترقي من الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر * تراجع فؤاد كل الى جوفه * وتبدل امنا من بعد خوفه * وتنادوا يا للثارات * وشرعوا في شن الغارات * وقصد كل مستحق استرجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه * فاول من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآبسي كول * وامتدوا في تلك البلاد حتى جاوزوا خدايداد * فيها دنهم وصافاهم * وشرط لهم رد ما اخذه تيمور من ماء واهم * وان يكونوا يدا واحدة على من ناواهم * واحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

* ذكر نهوض ايدكو بالتتار * وقصده ما وراء النهر وتلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بما جركا لرمال * وتوجه بعزم وجزم * الى ممالك خوارزم * وكان نائبها يدعى موسيكا فلما احس

بالتتار * وخاف على نفسه البوار * اخذ اهله ومتعلقيه وسار * وذلك بعد ان صحبت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * وعبروا جيحون وهو جمد ورجع ارغون شاه الى ماء وراه * فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها * واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ماحواليها * ثم رجع الى خوارزم وقد اذكى * في الجغتاى اللهيب انكى * وولى من جهته في خوارزم وولايتها شخصا يدعى انكا * فتمهدت ايضا تلك الاماكن * واطمأنت الظواعن والسواكن * بواسطة ان خليل سلطان قابل كل من اساء اليه بالاحسان * وصار يسترضي كل ساخط * ويستدني بمكارمه كل شاحط * ويصطاد النفوس بالنفائس * ويفترس الاسود بالفرائس * فاحبه الاجانب والاباعد * ورغب فيه كل صادر ووارد * غيران شيخ نور الدين وخداايداد * تماديا في الفساد ولجا في العناد * فخرب ما تجوذب بين الطرفين من البلاد *

* ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه * وماجرى بينه وبين خليله ووليه *

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان * وهو الذي عهد اليه تيمور كما ان بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * وقصد سمرقند

بعسكر جرار * وارسل الى خليل سلطان * وسائر الاكابر من الوزراء
والاعيان * بانه هو ولي عهده * وخليفة جده تيمور من بعده * فالسرير
حقه فاني يغصبه * والملك ملكه فكيف يسلبه * فكل منهم جاوبه * بما يليق
وخاطبه * واما خليل سلطان فتصدى للمعارضه * وقابل كل مسئلة من
الخطاب بما ينا فيها من المعاكسة والمناقضه * وقال لا تخلو مساءلتنا
يا فلان * من ان الملك في هذا الزمان * اما ان يكون بالانتساب *
او يظفر به بطريق الاكتساب * فان كانت الاولى * فثم من هو احق به
مني ومنك واولى * وذلك ابي اميرانشاه * وعمي شاه رخ اعني اخاه *
فيكون بينهما بالسوية نصفين * فما لك كلام مع وجود هذين *
وانا اولى ان اكون صاحبه * فارعى جوانبه واسلك مذاهبه *
اما بان يقطع كل منهما المشاغبه * ويترك لي ما له فيه من ولاية
المطالبه * ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه * واما بان
يجعلني خليفته في سلطانه فاصون نصيبه واكون نائبه * وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم * لان الملك كما زعموا عقيم * ومن قبلي وقبلك قيل
في الاقاويل *

* شعر *

* صونوا اجيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها ايام من غلبا *

وان زعمت ان جدك عهد اليك * او عول في وصيته لك عليك *
فهو من اين استولى الا بطريق التغلب * وانى حصل له ملك وملك
الا بالاغتصاب والتألب * وعلى تقدير التسليم * وان امر وصيته
مستقيم * فانه كان في حيوته قسم بلاده * ووزع عليها اولاده
واحفاده * فولى والدي ممالك آذربيجان * وقرر عمي في ولايات
خراسان * وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك انت
من جملة ذلك قندهار * وجعلك وصيه كما زعم واشار * وتحمل هو
المظالم وانتقل * فاين نصيبي انا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي
من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه *
ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك * او صادقاك على الوصية
وبايعاك بايعتك * وان سلكنا في ذلك طريق الحق * فالملك صيد
والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وان الله ازاح علله اذ
شبثني باسبابه * واباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو اولى به *

منذ اولیتنا من مدرسی فقه الملك تابعني * ومن له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعني * وعند عقد توليتي مرابحة * ولا وقف على سيوف التقى الى السلم وبايعني * واما الوزراء والاعيان فاجابوه بما لا طائل تحته * سوى ما تمجه اذن مستمعيه * غير ان الخواجا عبد الاول وهو صدر الصدور العلماء * والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء * المنفذ سهام احكامه في جميع الامراء والزعماء * اجاب فاجاد * واصاب وافاد * واختصر واقتصر * وقصد من بير محمد ولخليل سلطان انتصر * فقال في جوابه * مجاريا في خطابه * نعم انت ولي العهد * وخليفة الامير تيمور من بعد * ولكن ما صادف طالعك سعد * ولو ما عدك البخت * كنت قريبا من التخت * والاولى بحالك * ان تقنع بمالك ومالك * وتبقي على خيلك ورجالك * وتضبط ما في يدك من ممالك * وان ابيت الا طلب النما * ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى * وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء * فانك تقع في العناء * وتخرج ولايتك من يدك فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته *

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بتلك الأقوال * واردفها بحقائق الافعال * وامر بتجهيز جيش لجب * الى استقبال بير محمد * واضافهم الى ابن عمه والده السلطان حسين * وعين فيهم من امراء الجغتاي كل راس وعين * وضم اليهم الظهور والاعضاد * ومنهم كجول وارغون شاه والله داد * فساروا سابغي العدة * كاملي العدة * وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها وانبثوا في اقطارها ونواحيها * وبيناهم مرفهوا الحال * فارغوا البال * قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء * ليقرر معهم فيما هو بصدده الآراء * وقد كمن لهم كمينا * وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وحين ولجوا خيسه * ودخلوا كيسه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسة * واغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسة * ثم نادى من معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق *

وكان كما ذكرنا طيش وشجاعه * وتهور وزعاعه * وصولة وجوله * يسبق فعله قوله * فامر يق في تلك الساعه * دم واحد من تلك الجماعه * يدعى خواجا يوسف وكان في حيوة تيمور * نائب الغيبة بسمرقند وهو امير مشهور * ففي الحال قتل * والى الله الى الآخرة نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنة * ودعا الخلائق من ههنا ومن هنه فدهشت اولئك الرؤس * وعلموا انه قد حل بهم النعم والبوس *

ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلاعبه تلاعبه بالمكروالمين *

غير ان الله داد ثبت جاشه المزؤد * واستحضر تلك الساعة عقله المفقود * فابتدر سلطان حسين مناديا * واستشبته في امرهم مناجيا * وقال له بعبارة فصيحة ان لي اليك نصيحه * ثم استخلاه وقال * انا كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومتوصلا منك اظهار ما انت بصدده * ومن اين لخليل سلطان ان يحتوي على الملك بمفرده * غير ان هيبة مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه * ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدق قولي

هذا التعب يبعد وأنا عبدك من قديم * وسل من كان من المماليك والأجناد * الذين كانوا محصورين في أسر خدايداد * من خلصهم من حبائل أسره * وأنقذهم من صرام ضره * وأطفأ عنهم ما التهب من شوار شره * إذ لولا أنا لكان أبادهم وأيتم أولادهم * وفجع بهم طريفهم وتلادهم * فإنك إن تسلهم يخبروك * وعلى حقيقة الأمر وجلية الحال يظهروك * وربما أخبروك بذلك لما أتوك * ومع هذا استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك * ولازال يطفي بماء خزعبلاته شواظ تفرعنه وتلهبه * ويذكي في خياشيم رعونته عنبرا حتيا له متمسكا بمسكه وطيبه * ويرمي عن قوس ختله إلى سويداء اختيالاته نبال مكر انفلتت فيه نصال القضاء والقدر إلا أنها كانت مصيبة * فأشرب مكره * وتبع أمره * وجعله ظهره * واستفتح في أموره فكره * ثم إنه بعد أن امتن عليه باستبقائه * استشاره في قتل رفقائه * فقال له لا شك أن خليل سلطان * ملك الناس بالإنعام والإحسان * وهو وإن كان في الشجاعة * قاصر اليد قليل البضاعة * لكن استعبد أبطال الرجال * بحسن الخلق وبذل الأموال * غير أن المال * بمعرض الفناء والزوال

وانت بحمد الله مآثرك مشهورة * ومنازل منازلاتك الابطال معمورة *

ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة *

ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابدا منصورة *

* قلت *

* فكم لزرت شجاعا في البراز فمذ * رآى محياك ولى هاربا وجرى *

* مذ كنت راساو عينا في الحروب ارى * في راسك الفتح بل في عينك الظفرا *

وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك * ويرقص فواده لحصول

مكونه فرحا بحركتك * فانه لابد لهم من راس يسوسهم * وضابط همام

يصان بتدبيره نفائسهم ونفوسهم * وقرم كالليث الخادر * والمسيل

الهامر بل كالبحر الغامر * منصور ان دعا وان دعي فناصر *

موصوف بما قال

الشاعر *

* اضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا راي الا للشجاع المدبر *

وبما قال * شعر *

* ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها *

وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت * وما الشبكة والتنور والتعب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت * ولو حدثت شاه ملك وشيخ نور الدين * أن وراءهما منك الحصن الحصين * لا سند ا اليك رواية السند السديد * ولاذ وامن جنابك العالي الى ركن شديد * وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم * فسواء عندك ابقيت عليهم او ابدتهم * ولكن الابقاء اولى * ولا زال العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى الرأي السعيد ان نكون كلنا موثقين في الحديد * مع زيادة قيد اخيه ان اكيد * فرأيه اعلى * واتباع ما يقتضيه احرى واولى * فاتبعني رأيه * واتخذه علما لامور ورايه * فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه *

* ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق * ومشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم في قبضة سطوته اسراء * وقد نادى كل من متعلقيهم مهب ناحيه * وتوجه الى دار الخبر وبقا منه عليهم

القاطعة والناعية * واوثقهم بقيد في الحب يلدو الايمان * بان يكونوا معه في السراء والضراء على خليل سلطان * فمد كل منهم الى الغين رجله والى اليمين يده * وعاهده على ما يختار ان يقدم له نفسه واهله وماله وولده * فحين استوثق منهم * أزاح بالاماني السوء عنهم * وتركهم موثقين في البند * ونكص قاصدا سمرقند * وارسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من امره ودرج * فليستعد لما رزته فيها موقد عبر جحون وخرج * وانه هو ايضا طالب من ملك خاله حصته * ومنازع خليل سلطان في السرير منصته *

* ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين * بطوائف جنده * ورجوع سلطان حسين مما يرومه بخفي حنين *

فاستعد له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع زمان * ثم ان السلطان حسين احضر الله داد * ومن معه من الشياطين المقرنين في الاصفاد * واستانف عليهم العهود * واكد عليهم قيود العقود * واحل كلا منهم محله * واجاز عقده وحله * وخلع عليه واجازه * واحترم حرم حقيقته ومجازه * وبش بانعامه الى متعلقيهم ومتش *

وما بينهم حتى وصل الى مدينة الكش * وانه داد كان قبل ذلك بزمان قد

أرسل الى خليل سلطان * يخبره بوقوع هذا الهم * وما جرى عليهم

من شرور وماتم * ثم قال له ان فالك سعيد * وامرك حميد * فانهض

برأي رشيد * وعزم سديد * وجناحي حديد * فان صيدك مصيد والله تعالى

ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيد مكيد وان كنت طفلا فانك فتى شبت

أهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام ملك مريد *

فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه *

واستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنة * ورفيقيه

على الميسرة * ولما تراءى الجمعان * وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق *

وسدت المضائق * وتعادت الاسود والغرانق * وبادر كل منهم

من مكانه * وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه *

فتخبط عساكر السلطان حسين * وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا

من ظنونه ثوبي خيبة وحين * ودهمه من البلاء ما أنساه سلبه فرجع

بخفي حنين * ومرطى وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ

صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدة * فما بلغه مهلكا وانما مات

حتف انفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين *

ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد مما قصده من فرح وهم * وكيف

آل ذلك الى وبال وحزن فتقض ما تم *

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه * واستمر يرتع في روض الطلب ومروجه * وتكررت بينهما دروس المراسلة * وتحررت مسائل ما يعني مطاولة المقاولة * ان ينزلوا منازل المنازلة * ويحلوا بروج المقابلة والمقاتلة * وكان متولي امور ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه * شخصا يدعى بير علي تاز * حامي حقيقة باب الملك وحارس الحجاز * سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدرة علماء غوائله * وقوة خوافي عسكره وقوادمه * فجرد من عساكر قندهار * كل طود لو مال على قندهار لهار * وتوجه بعزم امضى من البتار * وحزم انفذ من الخطار * قائدا ذلك الخضم الهدار * والسيل الثرثار * والغمام المدرار * حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار * ثم امر ذلك البحر العجاج * ان يركب من جيحون الامواج * ويصادم منه تلاطم

الامواج * ثم مرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج * فعبروا منه بسفنهم النهر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * وسار بذلك لا يخشى * حتى ارسى على ضواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود تنك ما ربصد في نيه * والقائهم بهزيمتهم اياهم في اقرب بليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد انجز امره كما كان * ونفث اعطاف منّه الى الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار * ليجنوا من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين رؤس الجغتاي والجتا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار * ومن كان تيمور * اتمه يلصاقي الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وأرصدة لكل نائبة من خيره

* شعر *

فوارس لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * واستنجب منهم لما دونما كل صديق نصوح * واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على قامة آمالهم من خلع انعامه المضاعفات * فنثرت عليهم الارض خزائنها * وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس * يزري بحسن هيبته على مخدرات العرائس * فساروا ونسمات النصر من انفسهم فائحه * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحه * والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه * ولا زال ذلك الرأس يرسي ويمشي * حتى حط على ضواحي قرشي * وهي المدينة الملك كورة * فاستقرت تلك العساكر المنصوره * وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله * وكف من التبذر والتبدد سيله * وحفظ

الامواج * فمن لج لجة التغرق منه اعذب بحر احسانه فراته ومنها

ملح اجاج * فتحرروا منه بسفينهم النحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل

البحر * وسار بذلك لا خشب * حتى ارسى على شواطي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود تيمور ما بعد في نيه * والقائهم

بهزيمتهم اياهم في اشر بليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفذ اخطار

منه الى الايثار * وتوالت العزائم على الملوك بالاستحضار * ليجنوا

من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين

قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود

وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف

ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر

افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين رؤس الجغتاي

والجتا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس

فارس والعراق ورستمدار * وحبان قربانية خراسان والهنود والتتار *

ومن كان تيمور اعده لملمات الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وآزرته بكل نابتة من عشيره وقوا

* شعر *

فوارس لا يملّون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * واستنجب منهم لمداومة كل مدينة
نصوح * واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على
قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها *
وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار
كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس *
يزري بحسن هيبته على مخدرات العرائس * فساروا ونسمات النصر
من انفسهم فائحه * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحه *
والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه * ولا زال
ذلك الراس يرسي ويمشي * حتى حط على ضواحي قرشي * وهي مدينة
الملك كوره * فاستقرت تلك العساكر المنصوره * وذلك يوم الاحد
مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك
البحرين وقد ضم ذيله * وكف من التبذر والتبدد ميله * وحفظ

من الاخيار رجلاً وخيله * واحيي في معتكف المراقبة الى الصباح ليله *

* قلت *

الى ان بل الغم الضيا في ظلامه * يلوح كموج الماء من سيف طالبيه *
وقابل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز ترسه * ومسح على لوح الجو
ما طرسه مسود الليل من دخان نفسه * تهيأ كل من اولئك الاطواد
للاصطدام * واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء
والاصطلام * فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسرة * ومقدمة ومؤخرة *
ثم تدانوا وتكانوا * وتعاونوا وتعانوا * وتواجزوا وتغانوا * وتعانقوا
وتهانوا * وتناجزوا وتغابنوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل *
وارتفع ظلام القتام الى روس من الاسنة نفرا وافى صلوة الظهر نجوم
الليل * وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند
منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طود قتل ما ر صار * وسعد اولئك
الاكبار بار * وعليهم غبار العثار ثار * وخبرهم بالا تكسار سار *
وصيت خليل سلطان الى الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار صار *
تولى بيرمحمد وعلى رأسه بحر الدم مار * وفي قلبه زناد البوار وار * حتى

كأن في قلبه جمر الغضا والنار غار * أو في كبده نار لهب المرخ والعفار *
وجندلت رجاله * وأبطلت أبطاله * ونهبت أثقاله * وتحولت
أحواله * وثنيت جريمته وجنيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث
هو بأذيال الهزيمة * وعلم أن إيابه سالما نصف الغنيمة *

* كما قيل *

* إيابك سالما نصف الغنيمة * وكل الغنم في النفس السليمة *

ورجع خليل سلطان * وقد استنار به الكون والمكان * وأسفرت
دولته * واستطارت صولته * وشكر الله المليك * وأتم صيام رمضان
في مكان يسمى جكل ليك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومجاهدتهم بالخروج وقصدهم الأوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقيين الرؤس والأبطال *
ومعهم حريمهم وأتباعهم * وأولادهم وأشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى
لا جيها شاه * وهم حاررون تحت أمرة كهفها * وكانوا ذوي صولة
وجولة * وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان أحمد البغدادي

لصلبه * وكان قد وقع في اسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه *
فافرج عنه خليل سلطان * وجعله عنده ذا امكانة ومكان * فبينا
الناس مشغولون بامور العيد * رفع ايديهم اولئك الصناديد *
وكأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل *
وشمروا نحو عرائس العراق الذيل * وطلقوا مخدرات ما وراء النهر
ومالوا عنها كل الميل * لأنهم كانوا اعتقدوا ان دار العراق انزلت بانيها
ومياه انهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف احد امامهم
ولا مشى خلفهم * ولا قدر على ان يربط عن السير رجلهم وكفهم *
فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم
من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل
وصولهم الى عراقهم * واين ايران من توران * ودجلة من جيحان *
فعول خليل سلطان في ذلك المكان * ثم الوى راجعا الى الاوطان *

ذكر ما فعله بير محمد بعد الكسارة * وما صنعه بعد وصوله الى قندهار *

ولما وصل بير محمد الى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت امور
وحاشية حول قصوره مقصورة * ودارت من ستارات عسكره مدورة

بلّورةٍ * وتسعّرت سمومه وحروره * وتطاير شراره وشروره * فتأرّق وتمرّق * وتحرّق أسفاً قلبه وتخرّق * وتمزّق غيظاً أديمه وتفرّق * وكان ذا حماقة * وقلّة لباقة * فطيّر أجنحة مراسيمه * إلى سكّان أقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كلّ حبيبٍ صحيح الودّ وكليمه * واستطبّ لجريح قلبه كلّ قريح الطعن والضرب وكلّ لديغ القلب وسليمه * فلبّوا دعوته بالإطاعة * وأجابوا نداءه بالسمع والطاعة * ثمّ سالت الأودية والجبال * بالخيل والرجال * وأرسل إلى خليلٍ يقول * ضمن كتابٍ مع رسول * إنّ أوّل مصافّنا كان فلتةً فتمّت * وشرارةً تساهلت في إطفائها فالتهبت وطمّت * ولو أنّي استقبلت من أمري ما استدبرت * وتحذّرت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت * لانتصرت وما انكسرت * ولعثرت على مرادي وما عثرت * ولكن أضعت الحزامة * فحرمت السلامة * وتناولت أمرك برؤوس الأنامل فأكلت يد ندامة * مع أنّ صلابة جندلك * وقوّة ظهرك وعضدك * ونبال قبالتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك * وحدّ صارمك وصرامة حدّك * إنّما كان رؤس العراق * وما حصل

بك منهم من الاتفاق * واما الآن فقد وقع منهم نفاق * واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباغض وشقاق * فنفت لك لك ككك * واختل فكرك وجندك * وما اتاك جيشك بجحافل * وبالحيل والحبل * فاستعد للقاء * وتيقن عدم البقاء * فان الحرب كما علمت سجال * وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال *

ذكر توجه بير محمد الثانية لخليل سلطان ثاني كرة * وما حصل عليه في ذلك من كرة وفرة * وتوليته الادبر كما في اول مرة *

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان * وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * ومعه من عساكر الرجال والفرسان * وجرادا لجيش وقيله وصفادعه ما يجري من الدم الطوفان * فعبر بتلك الاطواد البحار * وعبر وصوما بين راجل وسار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح في حراق احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل * فقبل ان ينزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفه * وتنادوا

أُرْتِجَتِ الأَزِمَّة * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَة * فَالْتَبَسَ بِيرُ مُحَمَّد خِلْعَةَ الخَلْع * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا طَوْق فَأَقْلَعَ إِلَى القَلْعَةِ القَلْع * وَأَوْصَدَ الأَبْوَابَ وَأَحْكَمَ الأَسْوَار * وَاسْتَعَدَّ فِي حِصْنِهَا وَشَادِمَانَ لِلْحِصَار * فَأَحَاطَ بِهِ مِنَ العَسَاكِر * كُلُّ جَارِحٍ وَكَاسِر * وَدَارَ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي يَافِث كُلُّ سَامٍ وَحَام * وَجَدَّ فِي المُحَاصَرَةِ مِنْهُمْ كُلُّ طَاعِنٍ وَضَارِبٍ وَرَام * فَتَنَدَّمَ بِيرُ مُحَمَّد * عَلَى مَا قَصَدَ فِي ذَلِكَ وَتَعَمَّد * وَتَذَكَّرَ مَا قَالَ لَهُ أَوَّل * الخَوَاجَا عَبْدُ الأَوَّل * لَكِنَّهُ اعْتَذَر * بِالقَضَاءِ وَالقَدَر * فَرَمَاهُ القَضَاءُ بِسَهْمٍ جَوَاب * أَجَادَ فِيهِ وَأَصَاب

وَقَال

* وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ * حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا *

فَانْعَكَسَ مِنْهُ كُلُّ رَأْيٍ وَفَال * وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ وَحَال * وَذَهَبَ عَنْهُ مُنْعَطِفًا مَا بِيَدِهِ مِنْ مُلْكٍ وَمَال * وَنَفَرَ عَنْهُ كُلُّ أَحَدٍ أَصْلَى لِلْحَرْبِ نَارًا حَامِيَةً لَمَّا سَطَا عَلَى حَامٍ وَصَال * وَرَجَعَ عَنْهُ لِسُوءِ تَدْبِيرِهِ كُلُّ ذِي قَرَابَةٍ حَمِيمٍ لَمَّا لَهُ بِالأَمَانِيِّ الكَاذِبَةِ كُلُّ سَرَابٍ وَآل * وَتَمَزَّقَتْ شُقَقُ تَدْبِيرِهِ * عَلَى مِنْوَالِ تَفْكِيرِهِ * سُدًى وَلُحْمَةً فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَال *

* ذكر ما استعرض من حيلة * عادت عليه بانكاده الوبيله * لان جله واما كاشف قليله *

ولما تم حوله * اخذ في اعمال الحيله * فاستحضر عدة مضبوطه * من الجلود المخطوطه * الجيدة الدباغ * المصبوغة بالوان الاصباغ * ثم فصلها ملبوسا * لكل يوما * ورسم عليها الصور المعقوله * وبعض صفائح مصقوله * وموهها واحكمها بالمسامير * واحضر من سوقة بلده رؤس الجماهير * واستكثر من الرعاع والهمج المجموع * ثم احضر تلك الدلاص والدروع * ووزع على تلك الرؤس والظهور ما تيك الدروع * فصار كلما صارت الشمس بازغه * اصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد * حسبهم رجالا ولم يعلم انهم ينق البعيد * واذا اتوا اي ذلك الهباء * والخيتعور الذي يملأ الفضاء * كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * واستمر على ذلك مده * يقاسي معاناة ويعاني شده * وكان الذي تعاطى هذه المكر والحيله * دستور مملكته اعني بيرعلي * ومع ذلك كله لم تنفعه منه الحيله * وعادت عليه انكاره الوخيمة ووساوسه الوبيله * وانكشف

عمره * وانهتكت عثرته * فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال * ومن ينقص عدده وعديده وزاده الله من النكال *

* ذكر اعتراف بيرمحمد انه ظلم * وطلبه العلم والمقاتله المسلم *

فبسط بساط التضرع * وطلب وسائط التشفع * وعلم انه لا عاصم من امر الله الا من رحم * فناشد خليل سلطان الله والرحم * وقال معنى ما قلت *

* يعطي الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا *

فاجاب خليل سلطان مقاصده * وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهدة * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبيه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود المصادقة في يومه وغده * ثم تحالفا * ان لا يتخالفا * وتواثقا ان يتوافقا * وتصادقا ان يتصادقا * وتعاقدا على ان يترافقا * وتوافقا ان لا يتنافقا * وراقبا الال والذمه * وراعيا القرابة والحرمه * وانشمر كل عن صاحبه بما معه من فئة * وذلك في سنة

تسع وثمانمائة *

* ذكر مخالفة ونكبة * وقعت بين بير علي وبير محمد * ازاحت ثوب الحيوة منهما * واراحت مخالفيهما منهما *

ولما وصل بير محمد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه بير علي تاز * واستقل بموجب الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله * ثم انه خلا له وجده * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * امور الدنيا اضطربت * واشراط الساعة اقتربت * ومدة دولة الدجالين * قد وآن تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج * ومن ازمان الدجال الاقرع * وسيأتي بعد هذا الدجال الاعور * وان كان احد يجزع من قرع باب السلطنة فانا اقرع * فلم يجب احد من الروع * ولا اذن لعبث مقاله * ولا انغم بها اقر عينه وانعم باله * اذ لم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من يمنع * ولم يكن لذلك الوعيد في مقام الملك غير المنيع والسميع * فلما ازداد بمالكها تضرعا وخيفة * فكشر كل في وجهه انيابه وجاذبه ثنية الجيفة * فلم يبق له قرار ولا ثبات به * فشل يده ومد رجله صوب صاحب مراة * فتحير وقوعه عنده في شرك

الاقتناص * قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص * وصفت له
الممالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل
سلطان ايضا من الانكاد والمضار *

* ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة
خليل سلطان *

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا
جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى
لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق *
ما حصل لعساكر العراق * وايضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله
بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين فتوجهوا
الى سمرقند مطمئنين * واخنوا عليها * ونهبوا ما حواليها *
فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا *
ونحو بلادهم انقلعوا *

* ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجهه الى شيخ
نور الدين وخدايداد *

ولما رجع خليل الى سمرقند * اراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا اصحابه * ووجه نحو ما وراءه * وميا انصاره واطلابه * وما ربتلك القبائل المضطرمة * والاسود الخوادر والفحول المغتلمة * واستمر ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى سيحون * وحين شرع ذلك الطور * والنار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المسجور * فاذعن له شاه رخية وخجند * وتحصنت منه تاشكند * فتوجه لحصارها * وعزم على هدم احجارها * فبعد ان حاصرها مدة * واذاقها لباس الجوع والشدة * لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فاجاب سؤالها * ورفع بالصلح حالها * ثم قفا آثارها

طالبا دمارها *

* ذكر انقياد * شيخ نور الدين وخداى داد * نار الخليل ليحرقاه *

فاطفاها الله تعالى ووقاه *

وكان خداى داد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى * ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني فحمى ولعلما * فتوجه وراءهما * ودام

لِقاءَ هِمَا * فَجعَلا يَرحلانِ بِمرأًى منه ومَسمَع * وينزلانِ بِمأملٍ فيه ومطمَع * وجعل يقتفيهما في كلِّ منزل * فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل * وكان خلبك سلطان معتمدًا على عسكره * مستيقنا بحلول نصره وظفره * فكأنه في بعض الليالي غفل عن التحرّس * وكان لهما في جيشه من دأبه التجسّس والتحسّس * فخيّبه الظنّ وخانه * وحطّ على مكانٍ يسمّى شرابخانه * وكان قد تقدّم على الثقل * فطار بجاسوسهما اليهما بما فعل * فاقبلا كالسيل * وبيّتاه بالليل * فخرج من عسكره جماعة * وكأنما قامت القيامة في تلك الساعة * ثم تركاه وردا * وفرّا عنه وندّا * وتشتّتا في المهامه والموامي * ومن أين للسلطان اقتناص الحرامي * فكفّ عنهما عنان الطلب * وقصد بالسلامة دياره وانقلب *

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد * وتقاسمهما تلك البلاد

ولمّا كانت مودّة خدايداد وشيخ نور الدين كالقتار * وأيام ما بينهما من الصداقة كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار * اختلفا وما ائتلفا * وتحاذبا شقّة الشقاق * ونفث في تباعدهما نفاثة النفاق *

ولم يعلم احد من راق * وظن انه الفراق * فقهقر شيخ نور الدين نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار * والتنصل عند خليله مما كان منه وصار *

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه من العصيان * وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان * فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جرمه ذيل النسيان * وارسل اليه امرأة جليلة تومان *

* فصــــل *

ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ربقة الرفاق * حتى وقع خليل سلطان فى الرباق * وصفا لشاه رخ سمرقند وراق * وتوجه اليه شاه ملك مظهرا لصلح ومضمرا النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة سغناق * بعد ان احكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق * وان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام والعناق * وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل

شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك
وحده * من غير عدة وعدد * وتعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه
في غيبته من أمور وسرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد *
ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف *
واتصل بجماعته وقف * وسارع كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة
شيخ نور الدين وتقبيل يده * حتى اقتضت النوبة الى ارغوداق *
فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق * وكان في الشجاعة أسدا *
وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه
عناقا * واحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * واهبطه من برجه
وقطع رأسه * وفجع به ناسه * ولما سمع بذلك شاه رخ * طفق يندب
ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب ارغوداق وشهره * لكن
ما أمكنه وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل ع * وليس لما تطوي
المنية ناشر * واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما *
واستمر خليل الدنيا * متشبثا بأذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد *
غير مسلم الى الصلح القياد * الى أن أباره الله فيروز اباد *

وسنذكر كيف جاد بها عند ابدائه وأجاد *

ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها جنكيزخان * وتجهيزه العساكر لهذا الشان *

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة * أرسل خليل سلطان من الجنود فئة *
وأضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤوس الأجناد * الياس
خواجا وابن قماري منصور * وقوتلق قرقرا ودولة تيمور * الى
ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى
ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الأحجار والأخشاب والقرمد *
ثم تقاسمت تلك الرؤوس أبدانها * وعملوا من أن يتسوروا قلعة أسوارها
وحيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ريع منها آية
يعبثون * وتركوا بالنهار الكلا وبالليل نوما * فأتموا بنيانها في نحو
من خمسة عشر يوما * وحين ميزوا محلاتها * وفرزوا دروبها وطرقاتها *
ورفعوا أعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع أسواقها وأبياتها *
أمروا الباقين * من ذرية النازحين عنها من أهلها * وكل من رحل
من خرابها وغيرها الى عمران سهلها * أن يرجعوا اليها * ويجتمعوا عليها *

وكان أولئك المساكين * قد استوطنوا منها المساكن * وبنوا
فيها أسواقهم وبيوتهم * وجمعوا فيها أسباب معايشهم وقوتهم واستمر
ذلك من وقت جنكيزخان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم
آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات
تيمور * وحدث شرور وأمور * أراد خليل سلطان أن يحصنهم *
فأرسل من شيد حصونهم * وكانت الجديدة من العتيقة نحوا من فرسخ *
فصارت العتيقة أحصن من الجديدة وأرسخ * لاسيما وقد طمى البانون
منارها * ونهر جيحون يصافح أقدام طود حمل أسوارها * بخلاف
الجديدة * فإن قصور مساكنها غير مشيدة * وهي عن النهر بعيدة *
فلما نادوا الناس أن ادخلوا الى دار قراركم * فكأنهم كتبوا عليهم
أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم * فلم يثقل الله داد عليهم *
ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه
حشر فنادى * إن كل من سبقت يده من أهل البلد * الى شيء من هذه
الأماكن والعمائر الجدد * فهو له من غير منازع * ولا ممانع
ولا مدافع * ثم أمر بانتقال الخبازين * والقصابين والطباخين

والسائبين * وميزلهم منزلهم وما وامهم * ولم يتعرض لمن يراممهم * فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون في ذلك ولا يخسرون * فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدني بالطبع * فالجأهم الاضطرار * ان يتبعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به احوال كل من كبيرهم وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته اوامره قوا عد امورهم * ثم جمع رؤس جنده * وقفل الى سمرقند *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * في مقابلة ما فعله خليل سلطان *

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكر خراسان * وجعل يمد ذلك السحاب المنجاب * من بحر امراء ميريك شيخ ومرزاب * وهو اخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه * وامر رؤس تلك الجنود * ان يبنوا قلعة تسمى بحصن الهنود * وهي من اقصى بلاد خراسان * يفصل بينهما وبين ترمذ نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانيه * نحو ما اخربته العساكر الخليلية السلطانيه * وفي اثناء مدة البناء تراسل الله داد ومرزاب وتصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران * وماجرى من سيول الدماء

عند تصوب ذلك الطوفان *

ن السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما

سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان احمد في بغداد * ووثب

وسف على الجغتاي بالعباد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد *

ب الفتح على زيادة آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان

ان اباذطوا بغضهم وقتل اميرانشاه * ومد عنان الكلام * في استيفاء

المقام * يخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما

اق * وتخبطت اذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان

د باشارة بسطام * وذلك في شهور سنة ثلثة عشر وثمانمائة

جرة النبي عليه السلام * واما عراق العجم * فانها كانت اخص

* فاستقل بها عوض الملك متوليها بير عمر * فنهض عليه ذو قرابته

عي اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وعصره *

تقل بن عمر * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة * فقبض عليه

ده * وقبح به اهله واولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزانته من اموالها وابلها وطلها *
من غير ان يعاني في ذلك نصبا * ويقاسي في تحصيله تعبا ووصبا *
مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء
لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وابوه قد حسم عنه
بقتاله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين اسود شمخت
ونبت * وكبت ماله من الاعداء بماله من اصدقاء وشيع * فاهتزت
اراضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت تراقبه *
وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك عن هوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *
* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم
من ما وراء النهر *

وفي اثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات *
وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما باجازة

واحتيا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام ورام المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت الطوائف عجماً وعرباً وتبددوا في الآفاق شرقاً وغرباً * ووقع في سمرقند القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار * ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنيه * وطاب الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل في النار *

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير * وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها * بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر *

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى *

* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزائنه من اموالها وابلها وطلها *
من غير ان يعاني في ذلك نصبا * او يقاسي في تحصيله تعبا ووصبا *
مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء
لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وابوه قد حسم عنه
بقتاله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين اسود شمخت
ونبت * وكبت ما له من الاعدا بما له من اصدقاه وتبع * فاهتزت
اراضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت تراقبه *
وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك من نوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *
* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم
من ما وراء النهر *

وفي اثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات *
وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما باجازة

واحتيا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام

وراء المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت

الطوائف عجما وعربا * وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند

القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار *

ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنيه * وطاب

الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل فى النار *

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير *

وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها *

بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته

قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر *

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى *

* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

* كان فؤادي ليس يهتدي الذي بهِ * الى ان يرى الروحين تجتمعانِ *

واستمر ذلك الى ان زال هواها من قلبه * واخذ بحجابها معاتبة * وربط جوارحه * وحل جوانحه * وفصل قميصاً واسعاً فكانا يلبسانه * واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه * وصار ينشد ان *

والى حالهما يرشد ان *

* انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا *

بل كانت القضية بالعكس

* ولنا *

* انما كانا بروح نفخت * منذ براها ربها في بدنين *

وكان لا يصدر امراً الا عن رايها * ولا يستضيء في سياسة الملك الا بآرائها * فسلمها قيادة * واتبع مرادها مراده * وهذا من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملك قيادة امرأته *

وكان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار ولا بكريم * بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره البز والكرباس * يدعى بابا ترمش * بطرف معمش * ووجه منمش * وصورة قبيحة *

وصيرة غير مليحة * وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها * قبل وصول
جلبل سلطان اليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت
لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت
حشمة حشمها * واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم *
وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها
ويسوسهم * وصار لسنها تحلى بالخلعة * ع * هم القوم لا يشقى جليسهم *
ثم ترقى حتى صار عليه مدار امورها * ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب
الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانية * واجراء
القضايا السلطانية * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على
سبيل الجد والهزل * وانتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر
احد على رد كلمته * لجدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده
ولسانه كما اختار * وامتثل كل احد ما امر به واشار * واستطال على الله داد
وارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه * وبلغ في قلة
الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما * ولا يقوم بادرة من واجب
حرمتهما * ثم حجر ان لا تفصل قضية * الا بمشورته * وان كان غائبا

فينتظر حضوره او يتوجه الى حضرته * ومن حين تبع الى ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين * وعفاريت الجنتان وجنهم لا يثنين عنه العذاب المهين * فحصل لالله داد وارغون شاه من هذا التدرج * غاية الضرر ونهاية التحرج * وبلغا الغاية * في الاهانة والنكاية * واعضل داؤهما * واعجزدواؤهما * واستلذا ذهاب العيش وزواله * على البقاء في هذه الحالة *

ذكر ما افتكره الله داد * ودبره في مراسلة خدايداد *

ثم ان الله داد استعمل فكره * لكن اخطأت اسنه الحفرة * فطبخ قدرا فانقلبت عليه * ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه *

قلت

* اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا *
* يعانى كل امر ليس يعني * ويفسد ما رآه الناس صلحا *

فلم يجد التبريد الاكباد * الا مراسلة خدايداد * فجليا عليه صورة هذه القضيه * واخبراه بها عن وضوح وجليه * واشارا عليه ان يتوجه بامل فسيح * ويقصد

بعساكر سمرقند وخاطره مهتم به * فنهض من ساعته * وتوجه بجيشه وجماعته * ودب دبيب الدبا * فوصل الى مكان يدعى اوراتبا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من كلاحته * وجهز الله داد وارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاه * فسارا حتى داناه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستنديانه المدد ويقولان * ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته * وشدة دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح هيبتنا في صماخه * فامدهما بباقي العسكر * وجعل يتشوف لما يكون من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا اقل آذى وزاد فسادا * وجاوز في عداوته ثمودا وعادا * فامدنا بنفسك * وادركنا بحدسك وحسك * فان هيبتك اقوى * وطلعتك اضوى * وما ارتكب هذه الجراءة * ولا اقدم على هذه الجيئة * الا وقد اضمر شرا كبيرا * ينطوي في باطنه قارا وقيرا * فادركنا بباقي المقاتلة * فان هذه المرة تكون الفاصلة * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * وخاطر من حلول

الحوادث منتكس * وأمل نفيس * وصدر منشرح * معجباً بشبابه *
مغرماً بأصحابه * متمايلاً بين أحبابه * متهادياً بين أترابه *
في شرذمة قليلة * وطائفة نبيلة * أبعد ما عنده نزول هم * وأشرد
ما لديه حلول نكد وغم * يغبطه الكمال *
ويناديه لسان الجمال *

بقوله

* تدلل لا فأنت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد أعطاكا *

فوصل بتلك العصابة السلطانية * إلى قصبة تسمى سلطانية * فأرسل الله
داداً إلى خدايداد أن الركاب السلطاني * خرج من سمرقند
في اليوم الفلاني * وفي الساعة الفلانية *
يحل كورة سلطانية *

ذكر ما قصده خدايداد من الكيد * ووقوع خليل سلطان في قنص الصيد *

فقصد خدايداد المخاتلة * وترك ثقله مقابل المقاتلة * ونبذ العساكر
وراء ظهره * وتأبط شر شرارة وعرارة مكره * واستصحب من أبطال القتال

ورجال النصال والنزال * طائفه * جاسرة غير خائفه *

* شعر *

لمزان اذا لا قوا خفاف اذا دعوا * كثيرا اذا شدوا قليل اذا عدوا *

والتحف ذيل الليل * ولطا بظهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه

طريقا عوجا * واستعدوا الى مقصوده قوادا للدجى *

كما قيل * شعر *

* لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد *

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة انشاها تيمور * ولم يكن لاحد

به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل

مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * واخذوا في الحرب والطعن

والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وايقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم

الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل

جماهيرهم وجليلهم * ووقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع

خداي داد الى معسكره * فانزا نتجعه مستبشرا بظفره *

* فصل *

ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ من انواع الايمان * انه لا يقصده بأذى * ولا يرمي في عين معيشته بخيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا لخدايداد * وارسل خدايداد ايضا الى الناس * باني قد استوليت منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * وان لم تصلوني قطعته * ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصوروا ان هذا السهم غرب * ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اوتي المؤمن * وعلم من اين صب ذلك البلاء عليه * واني اخذ من ذلك الجانب الذي يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخلف ايلداد ولا ينازعوه * ولا ينافسوه فيما يريد ولا يمانعوه *
فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراه وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود
الاجنبية * وتحصن من غوائل المخاتل بالرماح المسددة * والسيوف
المهندة * وتقدم جنود جند وخجندة * واغتنام تركستان وطغام
اوزجند * واخر من عوص اولئك وتقدمهم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونه *
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * وفر من بين يديه
ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الحضر *
في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خدايداد *

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول *
وكانه ظهر اختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقب في اطوادها عن الفلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات القفار
وكوامن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * ونهب لف

ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ من انواع الايمان * انه لا يقصده بأذى * ولا يرمي في عين معيشته بحيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا لخدايداد * وارسل خدايداد ايضا الى الناس * بانني قد استوليت منكم على الراس * فان اطعتموني اطعمته * وان لم تصلوني قطعته * ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا السهم غرب * ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اوتي من المأمن * وعلم من اين صب ذلك البلاء عليه * واني اخذ من ذلك الجانب الذي يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخلف ايلك اد ولا ينازعوه * ولا يلفوا فعوه فيما يريد ولا يمانعوه *
فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراتلو وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود
الاجند * وتحصن من غوائل المخاتل بالرماح المسددة * والسيوف
المهندة * وقلم جنود جند وخجندهم * واغتام تركستان وطغام
ارزجند * وآخرمن ميوع اولئك وتقيئهم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله دادفمن دونه * وتحقق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونه *
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * وفر من بين يديه
ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الحفر *
في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خدايداد *

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول *
وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقبه في اطوادها عن الفلزات والمعادن * ونقرعن مضمرات التمار
وتحكم في الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * ...

بالفظاظة رقاق الطباع * وصار زوايه *

كما قيل * شعر *

* اما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها *

وتنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * او بدلت الارض غير

الارض والسموات *

* شعر *

* وتنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا *

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * وتلا فيه تلك الحوادث

وحسمه مادة هذه العوائف *

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر *

وازور وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمعر * واستغاث

وتقلق * وولول واسترجع وحولق * وتحرق وتنكد * وتأوه وانشد *

* شعر *

* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس *

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *

وامر شاه ملك * أن يسير غير مرتبك * ويستلب بهم السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انكرط من النظام * ويطارده عن ورده المملكة الاغتنام الطغام * فلا يدع رائدهم أن يحل * ويعاجل مستعجل قد رمهم ان يمل * فسار شاه ملك في الحال * بعساكر في المدد كالجبال * وفي العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بسائر الاساورة * وكواسر الاكاسرة * وسار ولا يلوي على أحد * ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد * فحين وصلوا جيحون وعبروه * غطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك الذيل على وجه الماء * فكأن البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء *

* فصـــــــل *

ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر بخدايداد * تيقن انه لا طاقة له بأبيه وقرزوده * بل بنائب جنود شاه رخ واسوده * وان جل عساكره يفر عنه ويسلمه * ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فاسرع في تنجيز مآربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * واخذ ما وصلت يده اليه من اموال * واوسق ما بلغت طاقته من نفائس واحمال * وا متصحب

سنقل سلطان * وتوجه الى ايلكخان * واودع ابنه دادوارغون شاه
وبايقرمش في القلعة * وانف ان تصحب احدا منهم معه * وترك
شادملك ايضا في ايد يه * بعواقي خليلها رميته * وسلب ما كانت فيه
من العز مهينه *

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجغتائيه * وقبل وصول
العساكر الخراسانية *

ثم لما رحل خدايداد انفصل * ولم يكن احد من جهة شاه رخ وصل *
وشاع ان الناس * ظهور ولا راس * اراد الله داد وارغون شاه *
ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه * فرفع خواجا عبد الاول عليهما
يده * واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده * واستعان بشطار
المدينة * وكان الله داد قبل ذلك اتكا اتكالية اورثته ضغينة * كما قيل ع
من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا * فلم يختلف في رياسته اثنان *
ولا انتطح فيما يامرهم به عنزان * وصارت اشارته الامرة النافذة *
وجعل اول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * وامره المطاعة في تلك
الايام الخالية * ع والظهر فيه ما لا ضياء له * ولم يزل خواجا عبد

الأول يسوس الرعية * ويوصي على الله داد ورفيقيه ومن معهم

ويشدد مضائق القضية * إلى أن طلعت طلائع شاه

ملك وأعقبتها العساكر القاهرية *

ذكر ورود ورود الدولة الشاهرخية * فيها مسافة ممالك ما وراء النهر

بعلم ورب شمس النوبة الخليلية *

فخرج أهل المدينة لاستقباله * مستبشرين برؤية جبين هلاله *

فنزل كل أحد في منزلته * ووضع كلا من الناس في مرتبته * ثم قبض

على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بأنواع العقاب * وصنف في تعذيبهم

واستخلاص الأموال منهم أنواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * ونقلهم

من الدنيا إلى الأخرى * إلا بابا ترمش فإنهم ما قبروه * وبأنواع

العذاب الهموه * ففي بعض الأيام * وقد أنكت فيه من العذاب الآلام *

أخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضيه * او يذهب بهم إلى خبيه *

فمروا به وهو في قيد وثيق * على حوض ماء عريض عميق * فاستل

من قراب أيديهم عضب يده الذليق * ورمى بنفسه وزخ

ذلك الماء على غفلة فغرق *

* فصل *

ثم ان شاه رخ زار آباءه * واقام شرائط عزاه * وجدد ترتيب القراء
على تربته والقومة * واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمة *
ونقل الى خزائنه جل ما كان على حفرته * من اقمشته وامتعته
واسلحته * وعفر بيادر الخزائن * وحفر تخوم تلك الكمائن *
في تمهيد القواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

* فصل *

وقبضوا على شاد ملك وامانوها * وشانوها ابتذالا وصانوها * وعصبوها
بالعذاب عصب السلمة * وعزروها لاستخراج الاموال منها عزرات
اعوان الظلمة * ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها انواع
الاموال * حزموها وشدوا منها الوثاق * وشهروها منادين عليها
في الاسواق * واستقرت على شاه رخ الامور * وارتفعت صدور
وانقصمت ظهور * وعلا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو
كل يوم في شان * عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب
الاحوال * ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال *

ذكر ما قصد خدايداد * من اتمام النكل والفساد * وكيف آل ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال *

واما خدايداد فحين حل في مكانه * وخلا بتخليل سلطانه في الدكانه * جدد معه عهوده ومواثقه * انه امنه مكره وبوائقه * وذكر ان ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه ارغون شاه والله داد * مع احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وانهم كافوه مكافاة التمساح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك معي اولا وظاهرا * وانظر ما افعله معك باطنا واخرا * وما نفعل معك ما يتحقق به خلوص الطوية * وصدق النية * بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافيين * وفي رياض الهنا متوافيين متكافيين * فنمحو بما نكتب في الواح صدورنا من المحبة والشفقة * مساطير الاساطير المكتتبة في باب الحمامة المطوقة * وسأردك ان شاء الله تعالى الى ذار عزتك * واجتهد في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وهزتك * ثم خطب باسمه في اندكان * وبلغه في لك في اطراف تركستان *

تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات * وتأكيد العهود والمودات * الى ان ادركهما هادم اللذات *

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان * وترك خليل سلطان باندكان * وكان المغول لما بلغهم موت تيمور المخذول * سلبوا قرارهم * واخلوا ديارهم * ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا باذيال كل كهف مصون * كما ذكر اولا فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالامن والامان * وجاوروا خدايداد في ذلك المكان * وارسلوا يهنئون خليل سلطان * وبعثوا اليه هدايا سنيه * وتحفا فاخرة ملوكيه * من جملتها كرسي من ذهب * افرغه صائغه في قالب العجب * فاكرم خليل سلطان رسلهم * واعظم نزلهم * واجمل معهم جوارا واجرا * وجازاهم بكل حسنة عشرا * قلت *

* الخير ابقي وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد *

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما تبتهج * حتى عرى له ما عرى * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر

ما جرى * فساعة وصول خداياداد اليهم قبضوا عليه * وارسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا انت تعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد * وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد * وانه كان السبب في تبدد ذلك * وخروج ملكك من يدك * وقد جاء مستمدا نائلك * فارسم لنا ما بدالك * فان رسمت قتلناه * وان اشرت امددناه * وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم كيف آذاني * ومزق عرضي واخزاني * واخرجني من ملكي وسلطاني * وغربني عن اهلي واخواني * واذلني اذ راسني بمفارقة حبي واوطاني * والآن فقد جعلني ترسا * يتقي بي الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد ان يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعرف * ومع هذا امهما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا راسه واليه ارسلوه *

* ذكر عود خليل سلطان * من ممالك اندكان *

وقصده عمه شاه رخ * ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ *

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان واطراف تركستان * يرسل بالغارسية لا شعار العراقية * وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد

الزيدونية * ويذكر ما فيه من الغربة * وما جرى عليه من الفراق والكربة * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى ان مل المقام في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه * وركب الطريق وامه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له اخبار ما انشاه * وضم اليه حبيبته * ولم الى خليل خليلته * وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده * وولى فيه اولوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه ممالك الري * فلم يقم بها الا ادنى شي * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * وطوي نشر ذلك الحاتم اي طي * وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل * واشتعلت احشاؤها بنار الخليل * قالت لا ذقت فقدك * ولا عشت بعدك * وانمت ورنت * وانشدت وغنت *

* شعر *

* كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر *

* من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبّتها * واتكأت عليه بقوّتها * فنفذ من قفاها * واحرقت بنارها كل من رآها * فدفنا في قبر واحد * وامسى لسان حالهما ينشد *

* شعر *

* أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب *

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان * وخوارزم وجرجان * وعراق العجم ومازندران * وقندهار والهند وكرمان * وجميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان الى يومنا هذا اعني سنة ثمانمائة واربعين * ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنّه ولطفه والحمد لله رب العالمين *

* فصـــــل *

* في صفات تيمور البديعة * وما جبل عليه من سجية وطبيعة *

وكان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شاهقة * كأنه من بقايا العمالقة * عظيم الجبهة والراس شديد القوة والباس * عجيب الكون * ابيض اللون * مشربا بحمرة * غير مشوب بسمرة * فخيم الاطراف * عريض الاكتاف * غليظ الاصابع * سميك

الاكارع * مستكمل البنية * مسترسل اللحية * اقل آهرج اليمناوين * عيناه كشمعتين غير زهرا وين * جهيرا لصوت * لا يهاب الموت * ممن ناهز الثمانين * وهو مع ذلك بجاش مكين * وبدن مستمسك متين * صلبا شهما * كانه صخرة صما * لا يحب المزاح والكذب * ولا يستميله اللهو واللعب * يعجبه الصدق ولوكان فيه ما يسوءه * لا ياسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه * وكان نقش خاتمه راحتي وهتي * يعني صدقت نجوت * وميسم دوابه وسوة سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق مكتوب لا تجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم * ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم * مقداما شجاعا * مهابا مطاعا * يحب الشجعان والابطال * ويستفتح بهم اقفال الاهوال * ويفترس بهم اسود الرجال * ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال * ذا افكار مصيبة * وفراسات عجيبة * وسعد فائق * وجد موافق * وعزم بالثبات ناطق * ولدى الخطوب صادق *

* قلت *

* فكم قد حمت آراؤه ثم نقلته * حمته لدى البأسا واردت قبائلا *

منحجا جادراكا للمحة وللمزة * مرتاضا مستيقظا لرمزة * لا تخفى عليه تلبيس ملبس * ولا يتمشى عليه تدليس مدلس * يفرق بين الحق والمبطل بفراسته * ويدرك الناصح والغاش بدربة درايته * يكاد يهتدي بأفكاره النجم الثاقب * ويتتبع بآراء فراسته كل كوكب صائب *

* قلت *

* يشاهد أعقاب الأمور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر *

اذا امر بأمر او أشار بشئ لا يرد منه * ولا يثني عنان عزيمته عن شئ منه * لئلا ينسب الى قلة الثبات * وركاكة الرأي والحركات *

* قلت *

* اذا قال قولا او أشار اشارة * ترى أمره في ذاك كالنص قاطعا *

وكان يقال له في ألقابه صاحب قران الأقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين * وقاهر الملوك والسلاطين * يحكى ان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب * والتمالك فيه الأسلوب الغريب * طالما ذكر لي

مَنْ رآه * واطلع على لفظه ومعناه * من الأذكياء المهرة * والأدباء البررة * مع أني لم أره * وكان قد قدم الشام * مع عساكر الإسلام * وحين ولت العساكر الأدبار * أنشبته في مخاليب تيمور الأقدار * قال له في بعض مجالسه * وقد أنس بتوانسه * بالله يا مولانا الأمير ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى أتشرف بتقبيلها * وقال له أيضا لما أراد أن يستصحبه معه وقد سرد عليه شيئاً من تواريخ ملوك الغرب وكان تيمور مغرماً بإقراء التواريخ واستماعها فأعجبه ذلك غاية الإعجاب * ورغب منه في الاستصحاب * يا مولانا الأمير مصر خرجت عن أن يتولى فيها نائب غيرك * وأن يجري فيها غير أمرك * ولي فيك عوض عن طريفي وتلادي * وأهلي وأولادي * ووطني وبلادي * وأصحابي وأخداني * وأقاربي وخلاني * وملوك الناس * وعن كل ظهر وراس * بل وعن كل الورى * إذ كل الصيد في جوف الفرا * وما أتأسف * ولا أتلهف * إلا على ما مضى من عمري * وانقضى من عصري * كيف تقضى ذلك في غير خدمتك * ولم تكتحل عيني بنور طلعتك * ولكن القضاء جار * وسأستبين الحقيقة

بالمجاز * وما أولاني * أن أكرم لساني *

* قوله *

* جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير * فلا ستأنفن في ذراك عمرا ثانيا * ولاعدن الزمان بابعادي عن عقوتك عاديا * ولا تداركن ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك والتشبث بغرزك * ولا حسبن ذلك أعز أوقاتي * واعلى مقاماتي * واشرف حالاتي * ولكن ما يقصم الظهر * الا كتبي التي افنيت فيها عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسير ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم * وخلاصة نقدهم * ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم * إذ انت ابو المقاحم * والبازغ بك بنصره في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي * والمشار اليه في الزوايح والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي * وصاحب القيران * المنتظر في آخر الزمان * ومن في القاهرة فلو حصلت عليها

ما فارقت ركابك * ولا هجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني من يعرف قيمتي * ويحترز خدمتي ولا يضيع حرمتي مع كلام نصيح صادع بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا اعطافه * وتراقصت مرحا اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير * واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شده عما خلبه بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها وشعوبها * كما هو دأبه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لانه لم يكن محتاجا ذلك * اذ في خزائن تصوريه صور جميع الممالك * وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه * وكيفية ابداء نصحه له وكتمه * فاملى كل ذلك من طرف لسانه * كانه يشاهده وهو جالس في مكانه * وشرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبخته نصر مع الملوك الاكابر * ولم ننل في النسب تلك المفاخر * وما نحن من يعاسيب النحل * فاني تعبينا مع الفحل * فقال افعالكما البديعه * اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة * فاعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته

اقتل رابه فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده * وما جرى بين ملوك الغرب واجناده * ولا زال يذكر له اخبار الناس حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده * فتحير القاضي من املائه * وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور رسم للقاضي ان يتوجه الى القاهرة * ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة * ولا يأبث اكثر من مسافة الطريق * ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيل الاماني وثيق * فتجهز الى مصر * واستراح من ذلك النكد *

* فصل *

وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل احد تقديما عاما * وينزل كلا منهم منزلته * ويعرف له اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساطا ممزوجا بهيبة * ويبحث معهم بحثا منك رجا فيه الانصاف والحشمة لطفه منك رج في قهره * وعنفه منك مج في بره *

* شعر *

* الطيبين مجتمع الضد * فكانه السراء والضراء *

* وقيل *

* مرّ المذاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للأصحاب كالعسل *

وكان مغرماً بأرباب الصنائع والحرف * أي صناعة كانت اذا كان لها خطر وشرف * يبغض بطبعه المضحكين والشعراء * ويقرب المنجمين والاطباء * ويأخذ بقولهم * ويصغى الى كلامهم * ملازماً للعب بالشطرنج لكونه منقحاً للفكر * وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير * فكان يلاعب بالشطرنج الكبير * ورقعته عشرة في احدى عشر * وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير * واشياء غيره وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء * مواظباً لاقراء التواريخ وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام * وسير الملوك واخبار من مضى من الانام * سفراً وحضراً كل ذلك بالفارسي * ومما تكررت قراءتها عليه * وطنت نغماتها على اذنيه * قبض زمام ذلك وملكه * حتى صارت له ملكه * بحيث إن قارئ ذلك اذا خبط * رده الى الصواب من الغلط * وذلك لان التكرار * يفقه الحمار * وكان امياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتبه

ولا يعرف شيئاً من العربية * ويعرف من اللغات الفارسية والتركية
والمغولية * حسب لا غير * وكان معتقداً للقواعد الجنكيزخانية *
وهي كفروع الفقه من الملة الاسلامية * ومشيا لها على الطريقة
المحمدية * وكذلك كل الجغتاي واهل الدشت والخطا وتركستان
بل واولئك الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد
الاسلام * ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد
البزازي رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد
البخاري ابقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وائمة الاسلام *
بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية * على الشريعة
الاسلامية * ومن جهات اخر ايضا * وقيل ان شاه رخ ابطل
التورة والقواعد الجنكيزخانية * وامر ان تجري ميا ستهم على جداول
الشريعة الاسلامية * وما اظن لذلك صحة بان ذلك عندهم قد صار
كالملة الصريحة * والاعتقادات الصحيحة * ولو اتفق انه يجمع
مرازبه ومواينه في دسكرة * ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظرة *
ويفتح عليهم شيئاً من هذا الباب * لصاحوا صيحة الحمر الى الابواب *

* فصـــل *

وكان فريد الطور بعيد الغور * لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك في طور تدبيره سهل ولا وعر * قد اقعد في ممالكه نواميسه * واقام في سائر الممالك جواسيسه * وهم ما بين امبراطور كاطلاميش احل اعوانه * وفقيه بقير كمسعود الكحجاني عين اصحاب ديوانه * وكان ذلك في القاهرة المعزية * ومن ابلي مشق اجل الصوفية بالشميصاتيه * وما بين متسبب وتاجر * ومصارع شرير وبهلوان فاجر * ومكدي وصبائعي * ومنجم وطبائعي * وقلندري قوال * وحيدري جوال * وبحري سباح * وبري سياح * وسقاء ظريف * وحذاء لطيف * وسعلاة دلاله * وشيخة محتالة كدلة المحتاله * وممن مرت به التجارب * وضرب باكباد الابل مشارق ومغارب * وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * والف بلطيف ختله وذماه بين الماء والنار والهدى والضلال * وجاوز في الحيل والكيد ساسان وابا زيد * والزم في حكمته وجدل له ابن سينا * واحكمت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * والف بين المتباينين

* قلت *

* فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *
* مزج النقل فى القياد بعقل * فهدى ماشقا واهدى حبيبا *

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف واخبارهم * ويكتبون اليه ماقدموا وآثارهم * ويذكرون لديه اوزانهم واسعارهم * ويصفون منازلهم وامصارهم * ويصورون سهولهم واوعارهم * ويخطون بيوتهم وديارهم * ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا * ومافي ذلك ضيقا ورحبا * وجهات واقطارا شرقا وغربا * واسامي الامصار والقرى * والقاب المنازل والذرى * واهل كل مكان ورؤساءه * وامراءه وكبراءه * وفضلاءه وشرفاءه * واغنياءه وفقراءه * واسم كل ولقبه * وشهرته ونسبه * وحرفته وسببه * فكان يطالع بفكرة ذلك * ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك * وكان اذا حل ببلد * واجتمع به من اعيانها احد * شرع يسأله عن فلان وفلان * وماجرى لفلان فى الوقت الفلاني مما زانه من امر وشان والى ما آلت تلك الواقعه * وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه * فيبهت ذلك الرجل ناظرا * ويظن ان تيمور كان في تلك

الغائلة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل * ويحكى صورة مباحثات جرت لهم ورسائل * فيتصورون ان له في ذلك العلم قدمة * او كان منه للعلماء خدمة * ولذلك تصور بعض الناس ان ذلك الوسواس الخناس * وكان مقيما بالسلارية * وبعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشميصانية

* فصل *

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن ميواس * وقد حصنها منه اولو النجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيلة * انا فاتحوا ملة في ثماني عشرة ليلة * فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج * كان ملهما او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه * وقد مر نظائر هذ الكلمة * فمن مغالطاته انه اذا كان له في مكان روم * او اراد ان ينزل بساحة قوم * قصد الاخفاء والتعمية * وطلب الايهام والتورية * وبحر عسكره لا يخلو من تمساح متجسس * او سرطان متحسس * ولو لم يكن

لاحد في عسكره عين * فان نزوع العين لا تخفى على احد من *

فانه يجمع اركان دولته * واعيان مملكته * وذوي آرائه ومشورته *

بحيث انه لا يتخلف منهم احد * ولا يحرز مولود من والد ولا والد

من ولد * ثم يظهر لهم خفية اموره * ويطلب منهم المشورة في جهة

مسيرة * ويطلق لهم عنان الكلام * ويقول لا تثريب على من خاض

في ذلك من خاص الانام * ناظرين في اعقاب الامور ما بين يوم وعام *

فليتكلم كل ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطا او الى اوج الصواب

عرج * فان اخطأ فلا نقصان * وان اصاب فله اجران * فيبذل

كل جهده * ويعاني في ذلك وكده وكده * ويبدي في ذلك ما ادى

اليه اجتهاده * ويتصور ان ذلك يوافقه مراده * فتتفق الآراء *

على ناحية من الانحاء * ثم ينفض ذلك المجلس * ويجتمع باخصائه

ويجلس * كسليمان شاه وقماري وسيف الدين * والله داد وشاه

ملك وشيخ نور الدين * ويمحضون القضية محضا غير ذلك * ويمعنون

فيها بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الامر الاتفاق * على التوجه

الى بعض الآفاق * ثم يبث مشوراتهم * وما يقتضيه ذلك وقائدهم

وياْمرهم بالتوجه اليه * فيتصعون على ما عول في ذلك عليه
وحين يقوض الظلام خيامه * وينشر رائد الصبح اعلامه * ويضرب
الكوس للترحيل * وياْخذ الناس في التحميل * ويتوجه الناس الى الجهة
التي امرهم بالمسير اليها * ووقع الاتفاق عليها * دعاها شيئه بعد
ما حملوا واخذوا في المسرى * وامرهم ان يتجاوزوا ويرحلوا الى جهة
اخرى * لم يكن ابدا ما لاحد من الجماعه * الا في تلك الساعه *
ولولا الضروره لما افشاها * ولا اعاد سريرتها لاحد ولا ابداها *
فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا * وياْخذ العساكر شرقا وياْخذ غربا *
فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط *
وتنحل قوائم مواشيها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس في بعض *
وينعكسون سماء في ارض وطولا في عرض * ويتوله كل احد ويتدله *
ولا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره بينه * او من يراقب
ذهابه ومجيئه * فبمجرد ما راى تحميلهم * وشاهد تحويلهم وترحيلهم *
طار الى مخدومه * واظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر
الى الجهة التي اتفقوا عليها * وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها *

فيأخذ حذره أمل ذلك الجانب * وتطمئن سائر الجوانب من النوائب * فلم يشعروا الا وقد دمّر على الجانب الذي قصده وحطمه * ونبذه من نار العذاب الموقدة في السعير والحطمة * وكم كان له من دهاء * ومكر خفي وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام * وقد قابلته عساكر الاسلام * اشاع ان سوارا سار ورته تخلخل * وتأخر قليلا الى وراء وتخلخل * واذاع انه اعوز خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب بغداد * ثم اسفرت القضيه * عن ان انهزمت العساكر المصريه * وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم * واستقرار رؤسائهم واوباشهم * وان يكن كل منهم على مازم * فيربض في مكانه ولا ينهزم * فيحيط بالكل كيده * ويصيرا لجوع صيده * ومما يحكى من شدة عزمه وثباته على ما يقصده وحزمه * وحلول نقمته بمن يعارضه * ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة شاهقة * اقرا طالد را رنب بآذان مراميها بالغة * ورجوم النجوم الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقة * كأن بهرام في مهواه أحد سواطيرها * وكيوان في مسراه خادم نواطيرها *

والشمس في استوائها غرة جبينها * وقطرات السحاب في الانسكاب
تترشح من فتور معينها * وشفة الشفق الحمراء على آذان مرابيها
وانوف ابدانها مرادق * وكركبات نجوم القبة الخضراء لعيون
مكاحلها وافواه مدافعها طابات وبنادق * فيها من الهنود طائفة
ثابتة الجنان غير خائفة * جهزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن
المعجزة * وتثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزة * مع انها شرذمة
قليلة * وطائفة ذليلة * لا خير عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى
الضرر والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حواليها لاحد مبيت
ولا مقيل * بل هي مطلة على المقاتلة * مستمسكة من المقاتلة * فابى ان
نجاوزها * دون ان نناجزها بالعصا ورويناجزها * واللبيب العاقل
ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد * ونصب
كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا *
وقويا بي الرحيل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ففي بعض ايام
المحاصرة مطروا * وبواسطة المطر انحصروا * وصار رعبهم على القتال *

وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك المشاق * فلم يرتض افعالهم * لما تحكمت لرجالهم اهوالهم * فلما علمنهم رؤس الامراء * وزعماء العسكر والكبراء * واخذ يمزق ادبم عصمتهم بشفا رشفته * ويشقق ستور حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه * ونفخ الشيطان في خيشومه * فالهب فيهم نيران غضبه وشومه * وقال يا لئام * واكلة الحرام * تتقلبون في نعماي * وتتوانون عن امداي * جعل الله نعمتي عليكم وبالا * والمسكم بكفرانها خيبة ونكالا * يا فاجري الذمم * وكافري النعم * وساقطي الهمم * ومستوجبي النقم * الم تطؤا اعناق الملوك باقدام اقدامي * وتطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة احساني واكرامي * وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي * وتسرحوا في متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتي * بي ملكتم مشارق الارض ومغاربها * واذبتم جامدها واجمدتم ذائبها *

* شعر *

* الم اك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما الجاتم من روائيا *
* وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا *

فلا زال يصميهم ويضغمهم * ويفذرهم ويبذرهم * وهم مطرقون لايحيرون
جوابا * ولا يملكون منه خطابا * ثم ازداد حنقا * وكاد أن يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * وهم به على قيم اولئك الاسرى *
وهم أن يجعل رقابهم قرابه * ويسقي من دمائهم فرنده وذبابه * وهم
على تلك الحال * في الخزي والاذلال * باذلوا نفوسهم * ناكسو
رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فاغمد عن
تشريقهم حسامه * ولم يلق لامره قبله ولا دبره فغلف غربه وشامه *
ثم نزل عن مركبه * واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده
شخص يدعى بحمقاوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام أمين *
مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الامراء * مسموع القول
مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكيمة * فتشفعوا اليه
وعولوا في حل هذا الاشكال عليه * وقالوا ما عندنا ولو بلفظه
وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا * بهذا المعنى *

* شعر *

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

* وبما قيل *

وأهون ما يعطي الصديق صديقه * من الهين الميسور أن يتكلما *

وبما قيل

* وإن امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين *

فأجابهم والتزم * أن يرده ما تأزم به وازم * وراقب محال المقال * وراعى فرص المجال * واخذ بعد أفكار تيمور * تغور في أمور القلعة وتغور * وجعل يستضوي أضواءهم * ويستوري آراءهم * ولا يسمع كلا منهم إلا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقول * بغي بعض الأحابين اتفق أن قال عنقا وجين * وقد نزل به القضاء * وأحاطت به نوازل البلاء * أطال الله بقاء مولانا الأمير * وفتح بمفاتيح آرائه ورايات حصن كل أمر عسير * متى إنا فتحنا هذه القلعة * بعد أن أصيب مناجاتيب من أهل النجدة والمنعة * هل يفي هذا بذا * وهوان هذا النفع بهذا الأذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى شخصا من المرتقه إليه * فقابله المنظور إحالة زريه * بلد عن ترامله * دامرق مهلته * ورحبه بالسواد مثبك * أرسع من المطبخ *

وامتنع من في المسلخ * لعاب الكلب طهور وعند مرقه * ومصارة القير
عليه بالنسبة الى مرقه * فحين ما حضر لك به * ووقع نظره عليه *
أمر بشيلرك صدقاوجين فنزعت * وبخلقان مراملك فخلعت * ثم
ألبس كلا ثياب صاحبه * وشك لسطه بحياصته * ورد عادوا وين صدقا
ومباشريه * وما يطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق
وصامت * وذا ثنيه وجامه * وملك وعقار * وأهل وديار *
وحشم وخدم * من عرب وعجم * واوقاف واقطاع * وبساتين
وضياع * ومماليك واتباع * وخيل وجمال * واحمال واثقال *
حتى زوجاته وسراريه * وعبيده وجواريه * فانعم بذلك على الوضيع *
وامسى نهار وجود صدقاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال
تيمور اقسم باشه وآبائه * وكلماته وصفاته * وارضه وسمواته *
وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبراس نفسه وذاته * لئن
آكل صدقاوجين احد او شاربه او ماشاه * او صادقه او صافاه *
او اوى اليه او آواه * او راجعني في امره * او شفع عندي فيه او اشتغل
بعذره * لا جعلنه مثله * ولا صيرنه مثله * ثم طرده واخرجه *

وكان سلبه نعمته واخرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النقم * وسحبوه بالخلق * ورأى نعمته على اقل الخلق * واتصل غيره بالخلق وقطع منه الخلق * فتعلقت حبة قلبه أي تلق * واستمر على ذلك في عيش مر وعمر حالك * وحاشا أن تشبه قصته قضية كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطي اشارة الفوت * وكل لحظة من هذا التحيف * اشد عليه من الف ضربة بالسيف *

فلما مات تيمور اخياه * ورد عليه خليل سلطان

ما سلبه جده اياه *

* فصل *

وكان من ابهته وعظمته * وشدة شكيمته وعتوه وحرمته * ان ملوك الاطراف * وسلاطين الاكناف * مع استقلالهم بالخطبة * واستبدادهم بالسكة * وانفرادهم بالزعامة والرياسه * وقيامهم بامور الايالة والسياسه * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي ابن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب بن عليشاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن امير ارزنجان *

وسلاطين فارس وأذربيجان * وملوك الدشت والخطا
وتركستان * ومرازبة بلخشان * ومراجيح مازندران * وفي الجملة
فالمطيعون من ملوك إيران وتوران * كانوا اذا قدموا عليه * وتقدموا
بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة *
نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الأدب والحرمة *
فاذا أراد منهم واحدا * لأرسل اليه من الفراشين اونحوهم قاصدا *
فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد * وينادي ذلك الواحد
باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض في الحال من مجثاه * مجيبا
بلبيك لبيك دعواه * ويعدو نحوه متعثرا في أذياله * متلقيا ما برزت
به مراسيمه بقبوله واقباله * مطرقا راس التذلل والخضوع * مصغيا
بآذان الخنوع والخشوع * مفتخرا على أضرابه * لكونه أمله
ودعاه واعتنى به * وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد
فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين * فقال أحد اللاعبين ورأس
الأمير تيمور كذا وكذا نقش الكعبتين * فرفع يده خصمه ولطمه *
وسبه ولعنه وشتمه * كأنه ذبح يحيى او زكريا نشر * او كفر بمحمد

اوقلتم موسى على ابى البشر * وقال يا ابن الفاعله * والفاعل ابن الفاعله *
بلغ من انتهاكك الحرم * ان تذكر الامير تيمور بقم * وانى لك
ان تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا ان تحلف براسه * انه لاجل
ان يتفوه مثلي ومثلك باسمه * او يتلفظ بشيء من حدوده ورسمه *
وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق
والمغارب وافخم من بخت نصر وشداد * وقيل انه قصد في بعض
الاوقات الاصطياد * وارسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش
والاجناد * ورسم ان يخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة ما تيك القرى
والبقاع * فيمتدوا في الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة
الكيد * ويصح ان يتنازع فعلا رمى واصمى كلا من عمرو وزيد *
لا يشيرا حد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد * بيد انهم يردون
اوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به امر *
وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الاحزاب والزمر * واحاطت
صافات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار
الوحوش في ذلك البر * ولم تجد لها من دردور تلك السيول الهامرة

من مَخرج ولا معبر * فلا زت وما رت * وخارت وجارت * وثارت
ونارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت *
وانطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * وطرزت خلع اعلامها باعلام
واذا الوحوش حشرت * فبينما هي على تلك الحال * في اشد ما يكون
من الاهوال * امر بان تضرب الطبول من كل الجهات * وينفخ في جوف
المزامير والبوقات * فدق الكوس وزعق النفير * وامتلأت الدنيا
من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * وماجت الاقطار هرجا
ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت الوحوش هذا
الامر المهول * سقطت قواها * وتقطعت كلاها * وجثت وما انبعثت
ثم تقاربت وتلاصقت * وتقارنت وتضامت * وتصورت ان القيامة
قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض وناصت * فعانق الثور
منها اللبوه * وضاجع الاسد فيها الظبيه * واختفى السرحان *
بين الغزلان * واستجار الثعلب * ببنات الارنب * ولاذ بالارزمه
النعام والارنب بالعقاب * ولاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب *
فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * واولاد الامراء واحفاده *

ن يرموا ويصموا ويفنوا * مهما ارادوا ولا يظنوا * وجعل ينظر اليهم *
يتفرج عليهم * ويزمزم لافعالهم * ويقهقه على احوالهم * ويجرأهم
ن الاقدام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الابطال * وجعلت
واشي الجيش تنجز على ما اصموا * وتجهز على ما انموا * وصار ذلك
المقبل * يترنم وينشد *

* شعر *

صيد الملوك ارانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الابطال *

* فصـــل *

كان يحمل اليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور
كازرون ومعادن خراسان * والياقوت من اليمن * والماس منها
من البسنل * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * واليشم والمسك
غيره من الخطا * ومن سائر الاقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* فصـــل *

انشأ في سمرقند بساتين عديدة * وقصورا شواهق مشيدة * فكل له
ترتيب غريب * ووضع انيق عجيب * احكم اساسها * وطعم بالفخر

الفواكه غراسها * سمى احدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا *
والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا *
ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه
القصور مجالسه * واشكال صورته تارة ضاحكة واخرى عابسه *
وهيآت مواقعاته * وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك
والأمراء * والسادات والعلماء والكبراء * ومثول السلاطين بين
يديه * ووفودها بالخدمات من سائر الاقطار اليه * وحلق مصائده *
وكمائن مكائده * ووقائع الهند والدشت والعجم * وصورة انتصاره وكيف
انكسر عدوه وانهزم * وصورة أولاده وأحفاده * وأمرائه واجناده *
ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي ايناسه *
وتغزلات مقاماته * ومقامات تغزلاته * وحظايا حضرته * وخواتين
عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك *
مدة عمره المتقارب المتدارك * كل ذلك كما وقع ووجد * ولم ينقص
من ذلك شيأ ولم يزد * وقصد بذلك الافادة * لمن كان في عالم الغيبة
من احواله بالشهادة * فكان اذا توجه الى مكان * في حلبة سمرقند

من الظلمة واعوان الشيطان * تخلو تلك البساتين * ويتوجه اليها اهل المدينة الاغنياء والمساكين * فلم يوجد اعجب متنزها منها ولا احسن * ولا اوفق مرتفقا ولا آمن * واما ثمارها الطيبة فانها مسبلة * بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردلة * وانشا في ضواحي سمرقند واطرافها قصبات * سماهن باسماء كبار البلدان والامهات * كمصر ودمشق وبغداد * وسلطانية وشيراز عرائس البلاد * وانشا بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجا يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدها *

* فصـــل *

نساؤه الملكة الكبرى * وهي اقدم واكمل * والملكة الصغرى * وهي احسن واجمل * وهما من بنات ملوك الخطا * وتومان بنت الامير موسى امير نخشب المار ذكره في اول الكتاب * وجلبان كانت كالبدر عند الكمال * وكالشمس قبل الزوال * قتلها في حيوته لشيء بلغه عنها * وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها * لانه قيل

إن مسقط رأس خليل وأكثرها كانت من العطايا * وأما الشوا
والعطايا * فأكثر من أن تحصى * فالمكتوبات المذكورة في سنة
ثمان ثلاث عشرة من خليل وأما التي أرسلها خليل سلطان ا
نور الدين بسمرقند كما ذكر وبعضه جاء الى سمرقند ونبت ا
عززت في يومنا منذ اثني سنة أربعين وثمانمائة
على الكتب والله تعالى أعلم *

* فصـــــل *

أولاده لصلبه المتخلفون من بعده أميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر شاه رخ
وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليما
شاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما فسد ما النساء البغل ادياد
تي من سمرقند ولها تواريخ سوء * أحفاده فغالبهم انقرض إلا أولا
شاه رخ وأشهرهم الوغ بيك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم
شيراز دباب سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين
وثمانمائة وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف
وشتت شمله بعد موت قرا يلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين

وثمانمائة ثم مات في أواخرها *

فصل *

* أمراؤه ووزراؤه لا يحصون وأعظمهم من ذكر في هذا الكتاب * ذو اريته الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني ومحمد الشاغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة وأحمد الطوسي وغيرهم * منشئ ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضي زمانه وفاضل أبانه فارسياً وعربياً يصرف أخبار الانشاء كيف شاء كأن قلمه في فتح أقاليمه * أنفذ من سنان مخذومه * ولما مات تيمور احتجب * وطوى بساط الادب * فقيل له في ذلك البشرة الا تباشر * وصفت العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فأنا لا أذهب في خدمة الاحداث حرمتي * إمامه عبد الجبار بن النعمان المعتزلي * صدور مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه الخواجا عبد الأول وغيرهم * قارئ قصصه وتواريخه مولانا عبيد * أطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما وكان دائماً يستعمل معاجين الاخبار * وفي سنته ذلك يجتنب بالكلية

الابكار * منجموعة لا يخصرني اسماؤهم *

* فصـــل *

حصل في ايام استيلائه بسمرقند كثير من الفقهاء مولانا عبد الملك و

من اولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد

وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي ابو عبد

الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى والخواجه

عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ما وراء

النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه

الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول * ومن المحققين مولانا

سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة احدى وتسعين

وسبع مائة بسمرقند والسيد الشريف علي الجرجاني توفي بشيراز *

ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان احد من الروم

وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة

توفي بشيراز والخواجه الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد

البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى

الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة * ومن القراء ايضا مولانا
فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين بين قراءة ومولانا عبد اللطيف
الافغاني ومولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المحرق
الخوارزمي وجمال الدين احمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي
الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد بن شمس
الائمة الصراح كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان
اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذي ومولانا منصور القاغاني *
ومن الكتاب المجودين الشيخ الخطاط ابن بندكير وعبد القادر
المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم * ومن المنجمين اناس برعوا
لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج
قال لي استخرجت من زايجة الطالع الى مائتي سنة وكان هذا الكلام
في سنة ثمان وثمانمائة * ومن الصواغين الحاج علي الشيرازي والحاج
محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما * ومن الحكاكين طائفة جمة وامثلهم
التون وكان آية في نقش الفصوص يحفروا اليشم والعقيق بخط
احسن من ياقوت * ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمي وزين

البلادي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث كان يحط لزين اليزدي بيذقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه ولقد داخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا * وقمر في دست مصافاته كل سلطان وكل شاه مات عنده جدا ولعبا * وكان يقول له انت في ملك الشطرنج فريد * كما انني في سياسة الملك وحيد * وكل منى ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد * وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح * وما كان احد يقول انه ينتج ولا دفكره في لعبه معه من غير طرح * وكان فقيها شافعيا * محدثا اربحيا * حسن البهجة * صادق اللهجة * حكى لي انه رأى اميرا لمؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * وانه ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام * ومن اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * وبمجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير ان يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع خصمين * ويغلب مع الطرح من في جهة على الجهتين * وكان يلعب مع الامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا

والشطرنج الكبيرفيه من الزوائد ما مرّ ذكره * وطريقة تعلّيه بالعقل اقوى * ليس في شرحه بالقول كثيرا جدوى * ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نصر بن قطب الموصلي وارد شير الجنكي وغيرهم * ومن النقاشين كثير واعلاهم عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنّه * ومن التجرية شهاب الدين احمد الزردكاشي * ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهؤلاء كلّ منهم كان علامة دهره واعجوبة عصره * ولو رصعت حلي الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد الجمان وقلائد العقيان * وهؤلاء من حضرني ذكره ممن اعرفه واما من لا اعرفه او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى * واغزر من ان يستقصى * وحاصل الامر ان تيمور كان جنى كل حي * وجبى الى سمرقند ثمرات كل شيء * فكان بها من اهل كل فن عجيب * واسلوب من الصنائع غريب * من هو على جبين الفضل شامة * وبرز على اقرانه بفصاحة في فنه علامه *

* فصل *

وكان في سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فتمراد نبي على شكل
صبي لم يتم ستين * فقيل ان عمره على ما هو فيهم شائع * وبين اكابرهم
واصاغرهم ذائع * ثلاث مائة وخمسون سنة * مع ان قامته مستوية
وهيئته حسنة * وكان المشائخ المعمرون * والاكابر المعمرون * يقولون
انا كنا ونحن اطفال * نرى هذا الرجل على هذا الحال * وكذلك سمعنا
من آبائنا الاكرمين * ومشائخنا الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك
عن آبائهم * والمعمرين من كبرائهم * وكان اطلس وله قوة ناهضة
وخفة * من رآه يتصور انه لم يبلغ اشده * لم يكن للكبر بوجهه
تجعيد ولا اثر * وكان الامراء والكبراء * والاعيان والصلحاء *
والفضلاء والرؤساء * يترددون الى زاويته * ويتبركون بطلعته
ويلتمسون بركة دعوته * وفي سمرقند منتزه يسمى منتزه الرباط *
يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط * والروح والنشاط * وقيل
ان احد فعلته كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * من معتقدي تلك البلاد *
ومزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد * وقبره يستجاب عنده
الدعا * وهو من سمرقند نحو يومين في المداد * وهو بالكرامات

موصوف * وفي كرخ هذه المقامات معروف * وهو في ربوة ذات قرار فيها جنات تجري من تحتها الانهار * محفوف باليمن والامن * كانه قد قطع من حظيرة القدس * تحكي انه لما كان * قايلا في ذلك البنيان وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك احد المباشرين * واستمر ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليالي * فلما اراد وا وضع المحراب * وقع الاختلاف في الخطأ والصواب * وكثر في ذلك الصخب والاضطراب * فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه النقرة * ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة * فقال ذلك المباشر * لمن في ذلك المكان حاضر * يا للعجيبة * والقضية الغريبة * رجل لم يغسل وجهه ثلثة ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * ولكن تعال ايها الجاحد قف مكانك * وثبت جنانك * ولا تكن من المنكر وتولى * وانظر الى عين الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك الشقي المنكر * فاذا الكعبة امامه تتبختر * ثم التفتوا الى الشيخ معتقدين * وطلبوا اذنه ودعاءه * فلم يشعروا الا وهو في السجدة * على جبهته التراب من حضرته *

من جملتها سارية شخص ارتفاعها * نحوا من خمسة عشر ذراعا * وغلظ جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * وباقي السؤال ويرويها قد حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبة * طريقة غريبة * من كان به وجع الضرس * يضع عليه بمقدار رحبة من خشب ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن في الحال وجعه * جربته فصح ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأي فيها من العجائب * وشاهده من علامات الظرف والغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية الفائقه كانت رؤياه صادقه * واعتقد له بصدق الكلام * والا كانت رؤيته اضغاث احلام *

* فصـــــل *

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * ورطل سمرقند اربعون اوقيه * كل اوقية بالمثاقيل مائه * فيكون رطلهم اربعة الآف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالهند مشتمل عشرة ارطال * حتى لم يحولاها

محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لأن سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات حشاشات إذ ترمي * وتحرق زنات أوتارها نحو آذان القلوب فتصمي طائرها ولا تنمي * فإن صدعت من القلوب حجرا * تطاير من اقتداحها في الأرواح شررا * فيحرق برناته الأرواح ويشعل بنغماته الاشباح * قال استصحبني تيمور في بعض أسفاره * فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره * فنزلت عساكره على حصن لمحاصرة * وضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * ويتفرج في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده أنا ورجلان * وكان قد حصل له حمى * أورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال ذات حبك واحتباك * ورماح القتال في التواء واشتباك * فأراد أن يطالع أحوالهم * ويشاهد أفعالهم * وأفرطت شهوته الى العيبة * فقال احملوني الى باب الخيمة * فدخل ذلك الرجلان تحت ابطيه * وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه * فجعل يشاهد حربهم * ويتميز طعنهم وضربهم * ثم أراد أن يأمرهم بشيء * فقال لي يا محمود الي * فأسرعت اليه * ودخلت تحت عضده * فأرسل أحد

الرجلين الى عسكره * يامرهم بما عن له من عجره وبجره * فكانه لم يمنز

عليلا * ولم يروغليلا فقال لنا دهاني * وعلى الارض صعاني * فوضعناه

فسقط كانه رمة باليه * اولحمة على باريه * ثم ارسل ذلك الرجل

الاخراليهم * وامرهم بما اقتضته آراؤه واكد عليهم * فبقيت انا وهو

وحدنا * لم يبق احد عندنا * فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف

بنيتي * وقلة حيلتي * لا يد لي تقبض * ولا رجل تركض * ولو رماني

الناس هلكت * ولو تركوني وحالي ارتبكت * لا املك لنفسي نفعا

ولا ضرا * ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا * ثم تامل كيف سخر الله تعالى

لي العباد * ويسر لي فتح مغلقات البلاد * وملأ برعبي الخافقين *

واطار هيبتي في المغربين والمشرقين * واذل لي الملوك والجبابره *

واهان بين يدي الاكاسرة والقياصرة * وعلى هذه الافعال الا افعاله *

وهذه الاعمال الا اعماله * ومن هوانا غير مستطيع ذي فاقه * لا باب لي

في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه * ثم بكى وابكاني * حتى ملأت

بالدموع اردانى * فانظر الى هذا الوبر * كيف سلك بهذا القول مسلك

القائلين بالجبر * وانشدوا فيه بالفارسي بيتين وهما

* شعر *

* نیم تنی ملك جهانرا کرفت * چشم کشا قدرت یزدان ببین *

* پای نی و تخت بزیر قدم * دست نی و ملك بزیر نگین *

ترجمته فقلت ذوبيته

* قد أظهر قدرة بخافي حكمه * من ملك شقّ الدنا جافي قسمه *

* لا كفّ له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه *

* فصل *

واما عما كرة وطرائق سلوكهم * فانهم على دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * ورزقوا من حيث لا يحتسبون * مسخرا لهم خفيات الدفائن * مفتوحا عليهم خبيات الخزائن * ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن * كل طرف منهم قد جال ومضا * وصار بطرق اللوم أهدى من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا اهوال الدهور * وقاموا معاصر العصور * ركابد والمكائد * وعالجوا الشدائد * ومارسوا الاشيا * وذاقوا الناس والدنيا * وعرفوا ما خلف كل مارق ومخارجه * وادركوا مداركه ومعارجه * لا يدّ منهم داهية *

ولا يطغيهم طاغية * وربما يسيرون بقفراء * ويجيزون بمهمة صحراء *

* شعر *

* لا يفزع الارنب اعوالها * ولا ترى الضب بها ينحجر *

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا القرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان * فيحفرون ويخرجون كنوز الدفائن * وما في ذلك من المغلات والخزائن * وكذلك اذا وصلوا الى عمائر * او مروا على مقابر * يتوجهون الى الخبء كأنهم وضعوه بايديهم * او وضعت شياطينهم ذلك اليهم * وربما يجيئون الى مقام * مر على ساكنيه فيه ايام * ومضى عليه فيه شهور واعوام * وفيه شيء مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنيه به شعور * فبمجرد دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه * وكان لهم دراياتٌ في دفن مم عجيبة * ولهم آراء في عمرهم مصيبة *

وكانوا يحملون البقر ويركبونها * ويسرجون الحمير ويلجمونها *
وربما يقولون على ذلك أصحاب الخيل العراب الى قصابين العالم فيسبقونها *
ويطعمون الجمل * لحم الكلب والحمل * ويقتاتون من خبز
القرص * بالقمح والأرز والدخن والزبيب والعدس * وربما أعوزهم
ذلك في السفر * فاطعموا دوابهم لحياة الفقر * حكى لي القاضي
برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى أن تاتار
والتتار * لما قدموا مواضع الديار * خرج من له قوة الفرار فارا من الغرور *
كما فعلوا في قضية تيمور * ومن جملتهم تاجر بالصالحية * كان
في عيشة رضية * وله اخوان وافرة رغيبة * جمع ماله من صامت المال *
ووضعه في قدرة ومال * ثم عمد الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك
القدرة تحتها وطمرها * ثم ردها الى مبانيها * واعاد مياهها الى مجاريها *
وهيأ مقتب الوثوب * وقلب الصواعب للركوب * قالت له امرأته
قد نسينا قرطين * واخاف أن تحدث علينا في الطريق شين * فانظر لنا
مكانا * وحصل لنا بذلك أمانا * فقال أما الآن فلا مكان * ثم
اخذهما ووضعهما في حقف مقيفة * من خشبة لطيفة * ثم ركبا *

وتركا التي يا رود مما * فلما حل بك مشق التتار * نزل منهم فرقة
في تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم في خوضهم يلعبون *
فبينا هم بعض الايام في النشاط * قرض الفار احد تلك الاقراط *
فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط * فتبادرت الجماعة اليها جارية *
كانهم يتسابقون الى قرطي مارية * فسبقت الجماعة * ودخلت
البلاعة * فكشفوا عن وجه الارض سترخد رها * فوجدوا الاموال كما هي
في قدرها * فاخذوها واللؤلؤة واخرجوها * وقصدوا باقي القرطين
وانتموها * وجماعة تيمور ايضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا
اذا وصلت اليهم هانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غاية
درج * فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث

عن البحر ولا حرج *

* فصـــل *

تحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء والكيد * اراد في فصل الشتاء
التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه وهو بقرة * فبقت عليها مرجة
وهو خشبة مكسرة * فوزه فصيب هل ور * وجزابه حمل مبتر *

وتجمّل بلباسه * وهو جلد فروة منهوش * وبتاجه وهو طرطور من لبد منفوش * وشدّ كنانته وهي جلود ممزقة * مشدودة بحبل وعليها خروق ملزقة * سهامها قد التوت * وحنيتها قد استوت * ومعه بازي قد نتف القرنا من ريشه * وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده * فرأى جماعة من البط * على ساحل نهر يرحط * فرفع يده بالبازي ساعة * حتى عاين تلك الجماعة * ثم وضع يده بخفض * وأرسل البازي على الأرض * فصار يحجل رويدا * قد أضمر للبط كيدا * إذ لم يكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل إلى الطيور بسكون * وهي آمن ما يكون * لأنها لا تتوقع البلاء * إلا من جهة السماء * فدخل بينها فما نفرت منه * ولا هربت عنه * فلم تشعر إلا وقد وثب على واحدة وتلقفها * فأدركه صاحبه وأخذها * ولما رحلوا من دمشق * وقد مشقوا أوراق نصيبها من أغصان وجودها أي مشق * وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحمّلها ما أخذه من الأموال التي سلبها * وأركبها أسيرة * وسار بها مدة يسيرة * فبعد سيرها يومين أو ثلاثة

تلهف * ونادت بلسان حالها أنها ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجأ
مما شكت * توكلت على الله وبركت * فأنزلوا الراكبة عنها وصاحوا
عليها فلم تقم فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوجعوها ضربا *
وأشبعوها لعنا وسبا * وتلك المباركة باركة فداموا يضربونها *
إلى أن كادوا يهلكونها * فمن ضاغط بمقدمها * ومن جاذب
بمؤخرها * ومن متعلق بقرونها * ومن متشبث بأذنيها * وهي جاثمة
مشبهة جبل أبرمه * فعجزوا عنها * ويئسوا منها * فبينما هم على ذلك *
وقد ضاقت عليهم المسالك * وإذا هم بشيخ كوسج * كأنه شجرة عوسج *
قد ملك المشارق والمغارب * ومرت به أنواع التجارب * وقاسى برد
الأمور وحرها * وذاق حلوها ومرها * وعرف خيرها وشرها * مر بهم *
وهم في كربهم * فلما رآهم أسارى * عاجزين حيارى * سكارى
وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها أي جنة * ثم دنا منها دنو الراقي
من ذي جنة * وأخذ كفا من تراب * أنعم من غبش الضباب * ثم قبض
على قرنيها * ووضعه في أذنيها * ثم ذر أسها في مناخرها * حتى وصل
التراب إلى صماخها * فوثبت قائمة * وهي من ذلك الرغام راغمة *

وَجعلت تنفض رأسها * وزادت اضطرابها وشماسها * وطلبت المسير * وكادت تطير * فاعادوا عليها احمالها * وزادوا اثقالها * فصارت لك المليها * لعدو ولايقف رعايها * فصل * وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام * وعباد النار من المجوس الاعجام * وكهنة وسحرة * وظلمة وكفرة * فالمشركون يحملون اصنامهم * والكهان يشجعون لأمنهم * ويأكلون الميتة والدم المسفوح * ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح * وثابين حزاون وزواجر خراصون * ينظرون في الواح الضأن * ويحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان * وما حدث في كل بقعة * من الاقاليم السبعة * من الامان والخوف * والعدل والحيف * والرخص والغلاء * والسقم والشفاء * وسائر ما يكون فلا يكادون يخطئون * ولهم ايام * وشهور واعوام * كل عام منسوب الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولانقصان * وفي الخطا لهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه اجدا واربعين * وسبب زيادته انهم يعدون التفاخيم والامالة لا حروفا وكل لك النبين بينات * فتتولد الزوائد * وكل حرف زائد *

واما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور * وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا من الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * وسجلاتهم واسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور الدنيويه * والتورة الجنكيزخانيه * والماهر في هذا الخط لا يعوز بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم * لان

* فصل *

ولما كان فيهم من جبل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن هو قليل الرحمة بل وعديمها لاسلام * كفرة فجرة ا رهاد الذا لن طغام اغتام * قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا * اشتهر ثم كفرهم وخبثهم اياه * الى انه لو ادعى النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى به

سريرته * يتنزله اذا وقع في عقدة ويحل عقدة * واستمر على اعتقاد
الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النار وروح الغربان
الى قبره * وكان تزوق معنى المصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انما كان في السفر * فرأى واحدا من العسكر * كان الكرى عطف
رقبته * او النشوان امال شقته * وهو على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليها ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم
احد قاطع * يقطع رأس هذا القائل الصائع * ولم يزد على هذا الكلام *
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسم اولة تيمور * وهو
امير كبير مشهور * كل البسة الله ثوب النقمة * ولم يشمه شيئا من روائح
الرحمة * فقصد الى ذلك وازال رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر لا تقطع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق والجامع
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

واما الجغتاي فلهم قلم يسمى او يغور * وهو بالقلم المغولي مشهور * وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل من الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم وتواريخهم * وتواريخهم واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * وسجلاتهم واسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور الدنيوية * والتورة الجنكيزخانية * والماهر في هذا الخط لا يعوز بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم * ...

* فصل *

ولما كان فيهم من جبل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام * كفرة فجرة ... ... اغنام * قد اتخذ من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا * ... كفرهم ... اياه * الى انه لو ادعى النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

غيوره * ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره * واستمر على اعتقاد
الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان
الى قبره * وكان ترقى في معنى المصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انهما كانا في السفر * فراق واحدا من العسكر * كان الكرى عطف
رقبته * او السرى اماله شقته * على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليها ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم
احد قاطع * يقطع رأس هذا الفاعل الصانع * ولم يزد على هذا الكلام *
فنهض واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو
امير كبير مشهور * قد البسه الله ثوب النقمة * ولم يشمه شيئا من روائح
الرحمة * ففي الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر لاقطع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق والباحث
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

من طريقي المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واسماء العلوم *
ومع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما علمه * وكان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * وبعضهم كان مع رقة الحاشية *
واللطافة الفاشية * والعلم الوافي والظرف الشافي * والجمال الفائق *
والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه أقسى من الحجر * وفعله
أنكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البرية * ويمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية * واذا وقع مسلم في مخاليبهم *
او ابتلي غريب بتعذيبهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق *
في استخراج المال انواع العذاب * واصناف العقاب * واستحضر
في فنون تعذيبه كتبا ومسائل * وسرد في علوم تتريبه خطبا
ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوى * ويستغيث ويتلوى *
ويستجير بالقدر وآياته * ويستشفع بكل ما في أرضه وسمواته *
من ملك ونبي * وصديق وولي * وذلك المليح يضحك ويتظارف *
ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف
النوادر والاخبار * وربما تحرق وبكى * وتأوه لما يفعل بذلك

من التعذيب والنكى * وصار كبعض قضاة الاسلام * المتولي على مال الايتام * يخطب ويبكي * ويعلم في قلوب المسلمين ينكي * ولما كانوا في دمشق دخلوا الى بيت رجل من الاعيان برز تاقى العجم * واذا هو مملو من النفائس والخيرات والنعم *

* شعر *

* قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام *

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبانواع العذاب والعقاب عذبوه * ثم احكموا رجليه شدا وعلقوه * واستخرجوا النفائس واستجلوا من حسانها العرائس * واحضروا لذيذات المطاعم والمشارب * وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون * ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبث * او تميل واخذه في سكرة العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد * فسقاه الماء والملح وسعفه الكلس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف * من تناول المسكرات متعفف *

* كما قيل *

فتعجبت من شجاعته واقدامه وقلبه * وفطنته النار ونور الهابه *

ويكرزها بان تضرب في بطنه * ويشرق لهيبه اعني لهبها *

وكانوا قد ارادوا الاقداح المزعفر * احضروا لهم السكر والمكررات * ووضعوه

له في صيني الصواني * وصبوا عليه الماء الرائق * فيشكرون ثم

بالاقداح القوادح * ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح * ثم

يتوجه الى صاحبه المولى ويفضله عليه * ويؤتى الشقي ما يكون من العذاب

ويستغيث منه ويهرق * ثم يتمايل على صوت الاغاني والعطايا * ويتهافتون

من تلك المآكل والمشارب ويقولون بشرهات التخيل بحاديثه وواريه *

وكان في عسكره كثير من النساء * يلجن معامع الهيجاء ووقائع الباساء *

ويقاتلن الرجال * ويقاتلن اشد القتال * ويصنعن ابلغ ما يصنع

الفحول من الرجال في القتال * من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق

بالنبال * واذا كانت احداهن حاملا واحضر لها زوجها فرس الطلق *

تمتنع عن الطريق واعترتها الخلق * ونزلت عن دابتها ووضعت حملها *

ولفته وركبت دابتها واخذته ولحقت امتها * وكان في عسكره

ناس ولدوا في السفر * وبلغوا وتزوجوا وجاءهم اولاد ولم يسكنوا

العصر * وكان في معرفة ثلاث لطائف نقاد * ويزعمون زعماء الجواد

أجنادهم على التصرفات أو زاد * وفي وجود ما يصف لمن أراد * دأبهم

خلاص مأسور * أو جبر مكسور * أو إطفاء حريق * أو إنقاذ غريق *

أو اصطناع معروف * أو إغاثة ملهوف * فيما أمكنهم * ووصلت

إليه يدهم * إما بقوة وأيد * وإما بنوع خديعة وكيد * وإما

باستيهاب واستشفاع * أو تعويض وابتياع * وكانوا سائرين في جهة

بالاضطرار * وذلك بحسب حكم هذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا

جمال الدين * أحمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين *

وكان إمام محمد سلطان في حياته * وإمام تربته بعد وفاته *

ثم خطيب بروسا وبها أدركته المنية * سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة *

رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في خدمة محمد سلطان *

أعلم مما يحكيه وأولاده لأمراء القرآن * فأرسل إليه جلادة الظلوم *

وهو متوجه إلى بلاد الروم * أن يتوجه إليه * وقد هول الأمير

سيف الدين عليه * فامتثل ما به أمر * وأخذ في إعداد أهبة السفر *

وقال لي هيئ مرافقك * واقطع علائقك * وخذ أهبة سفرك * واعمل

مصلحة رحلتك ونفرك * ووافقنا في المرافقه * فان من حسن المرافقة الموافقه * فاستعفيته من الذهاب * وفتحت له في جلب جوخة السفر كل باب * فقلت له يا مولاي انا رجل من اهل القرآن والفاقه * مالي بفتح باب السفر من طاقه * لانني ضعيف البنيان * رخو الاركان * لا جلد لي على الحركه * وان كان في صحبة مولانا الامير كل خير وبركه * خصوصا على مثل السفر البعيد الشقه * الكثير المشقه * ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقه * لا جمل لي في متاع السفر ولا ناقه * واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف * فلم يعفني * وتعلل لي بعلل عللني بها ولم يشفني * فلم ار بدا من الاستعداد * وتحصيل الرفيق والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جدة * وقد ركب في الجادة جلبة وجدة * ورأينا من تلك العساكر * بحارا لا اول لها ولا آخر * ان انفرط احدهم من سلك جماعته * وفصل معتزلا عن سنن سنته * لا يصل اليهم بالسرج والشمع * ولا يهتدي الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع * فبينا انا معهم اسير * وقد هون مني العظم الكبير * واثرني التعب *

واخذ مني النصب والوصب * وملكني الضجر * وعليت الكرى *
نفضت يدي من الرفيق * وانحزت الى فجوة من الطريق * فلما ان خلوت
بنفسي بالقرآن العظيم وتلوت * ثم استهواني الذوق والشوق *
فطلقت بمراشيف حلقي الى فوق * وكان صوته اطيب من رقيق المقطوع
على رخيم الموصول * والذ من جمع شمول على كاس شمول * بنسيم الشمال
معلول * وبرضاب الحبيب مقتول * قال واذا برجلين ضعيفين *
كالعود البالي نحيفين * اشعثين اصفرين * ذوي طمرين اغبرين *
بصراني عن جنب * وعلقا بي علوق الوتد بالطنب * فجعلا يراقبان احوالي *
ويستمعان اقوالي * فلما ازمعت زمزمتي * وكففت همهمتي * وكتمت
في خزانة صدري جواهر كلماتي * وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي *
بكيا لمناجاتي * وامنا على دعواتي * ثم اقبلا نحوي وسلما * واهتزا
لاستماعه من تلاوتي وترنما * وقالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا *
ومحوت بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم انهما
آنساني بالخطاب * وجارياني بالسؤال والجواب * واذا هما من جهتهم
الجنتاني وهما لمن عسكر تيمور * ومن يخفى التتار فرهم العتيق

والشرور * ثم سألاني عن نجاري وجاري * وعن رتبتي في هذا
الثغر وجاري * فأخبرتهما عن مولدي ومحتدي * ومسقط رأسي
من بلدي * وأني من أهل القرآن * وأني مع محمد سلطان * فقالا لي
يا سيدنا الشيخ إنما جئنا إليك لتحيين إلينا * وإنا سائلوك عن شيء
فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجد اني ملولا * فقالا
يا مولانا * هذا شيء يعنينا وإن كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما
لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

* شعر *

* ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه *

فبالله يا سيدنا قل * من أين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان *
فقالا ما أكول هذا العسكر حلال * ام حرام ووبال * فقلت الغالب
عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لأنه من التاراج والنهب *
والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا إمام *
لقد أسأنا الأدب إذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن أنتم أهل العلم *
هيئتكم العفو عن الجاني والحلم * وأنتم أولى بجبر الكسير وفك الأسير *

خبيرا لأمر العصير * فقالا بل منا من أباد الفحص بالصفح * ولا تعامل من أ
لحاف بالنفع * فقلت سلا * ولا تسلسلا * فقالا نسألك بالله
الذي اصطفاك لحزن كلامه * الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم
حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تهجمنا عليك به * فان الشيخ المرشد
كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة ادبه * فقلت كلا سلا ما شئتما *
وتسلسلا مهما اردتما * فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن
مرافقة موالاة اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت
اني دخلت فيهم وانا مضطر * وخرجت معهم وانا كاره مجبر * واكرمني
السلطان * وحاباني بما حباني من الاحسان * فصحبتهم وعين
اتني من كحل الراحة مرها * وحملتني فرسي في تقفرها كرها ووضعتني
كرها * فقالا ارأيتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك *
ويأسرون اولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله *
فقالا كانوا يحبسونك ويضربونك * وفي مقام المصادرة يجلسونك *
فقلت انا مع جنابا * ان يسوموني خسفا وعنفا ابا * لاني حافظ
القرآن * والقرآن حافظي من هذا الهوان * قلا أغاية تعليم

معك * اذا زاروا تعززك وتمنعك * انهم كانوا يشتمونك * ويعمدون الى معلومك فيقطعونك * ويتخطون عليك * ويمنعون برهم الواصل اليك * قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * وتعززي وتمنعي ما انحط من مكانتي عندهم الى منزل الاذى * ولكنهم حايوني فاستحييت * وخادعوني فانخدعت وليتني ابيت * فقال لا لا يصلح منك الك عن راحته * ولا يسلك بك الى صحة الا عند اربين ذلك ي الله تعالى سواء المحجة * فهلا جلست في مكانك * واشتغلت بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك * وفرغت بدنك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال * واحتميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قد ضرب في امثالكم * اهل القرآن وقاصته * اهل الله وخاصته * وانهم متفاوتة بين خلقه * وبركاتهم آذن سحاب رزقه * وان السلاطين ملوك الناس اجمعين * وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا جعلكم الله اصفياكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب الكبد والرأس * ولم يبق لاحد عليكم سلطة * ثم القيتم انتم انفسكم

بما يديكم الى هذه الورطة * وتهافتم على النهب تهافت الفراش على النار *
وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضر والاضطرار *
فكيف يصح هذا الاعتذار * وانى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك
الجبار * وهل صرتم الا

* كما قيل *

* معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد *
فقلت اما اذا حررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع
بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي

* وقيل *

* بي مثل ما بك يا حمام البان * انا بالقيود وانت بالاغصان *
فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعداء *
وقالا اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فورب الخافقين * ان بين
القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما للمقال مجال * وما كل ما يعلم
يقال * واين البهر من الاعلان * واين الحيطان لها آذان * فقلت
هذا ايضا ليس بحجة * فلا تعدلا عن سواء المحجة * فقالا نحن المضطرون

جبرا * المأمورون قهرا وقسرا * وإنا مكتوبون في الديوان * مضافون
الى واحد من أعيان الأعوان * اذا اورد علينا مرسوم بالبروز *
في يوم عيد مثلا او نوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخر منا
واحد الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * إلا الصلب او ضرب
الرقبة * فضلا عن ضرب وشتم وشناعة * او رفع عذل او تقديم
شفاعة * واين انت من قعودنا او تخلف * او امتثالنا الى بلد توار وتوقف *
فنحن مدة الدهر لمثل هذا مستوفزون * وعن مثل ما جرى على أضرابنا
من هذا البلاء متحرزون * مصغون ابدا لما اشار وما أمر * عاملون
بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا امكننا التحويل
عن مملكته * والرحيل عن إقليم ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك
وهي مسقط رأسنا * ومحل اناسنا ومحط ايناسنا * وايلاف رحلتنا *
ومورد راحات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج ابنائنا * ومقام قبائلنا
ومقابرنا * ومنابت قواطنا او عابرنا * ولو غاب من قوام قبائلنا رجل جد *
فضلا عن بلدي او بلد * لأجحف الباقين سيل الظلم والحيف به ولتحكم
في رقاب سائرنا مائل لا يدرك بالسيف * واما اذا برزنا وعزمنا *

على المسير معه وتجهزنا * فنسأل كم مثله نغيبه * واي جهة نريد في الطريق المريب * فتأخذ أمهتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الاخر وجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه * يصوم مدى الدهر ويفطر على ما يمسك الرمق * ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق * كل ذلك من زرع ايدينا وكدنا * وما بذلنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال أحد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه * ولا لأحد عندنا نشب * ولا بيننا وبين احد علاقة ولا سبب * ولكن يا مولانا البلاء الطام * والمصاب العام * ثم رقصا رؤسهما يمينا وشمالا * وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا * وابيض شعر[illegible]هما * واسودت جباههما * واخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العريض الطويل * فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبائر المشائخ بالنسبة اليهما * وتفكرت فيما دهاهما من شدة الامر * وعلمت انهما هما الغائصان بكفيهما على الجمر * ثم تأوهت آهات وقلت بالله يا اخوتاه * وما هذا البلاء الطام * والمصاب العام * الذي

ذكرتماه * قالا خيولنا ومواشينا * وحوامل مهادنا وغواشينا *
نرفق بها في التحميل * وما نركبها الا وقت الاعياء في الترحيل *
كما مر قضيبها اقصم ظهورنا * واعجز امورنا * واضطرنا الى التخوض
في دماء المسلمين واموالهم * والجأنا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم *
وما ندري كيف المخلص * وانى ننجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا
الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالب رخصه * وهل من قطرة برود
تطفي هذه الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة * فقلت لا والله * الا عناية
الله * وايم الله لقد اشبعتماني شرا * وجرعتماني صبرا ومقرا *
واوسعتماني نكدا وضرا * وكان همومي ما بي * من نصبي وعذابي *
يكفيني * الى يوم تكفيني * فقد زدتماني بلاء على بلائي * وعناء على
عنائي * فبالله من انتما وما اسماؤكما * وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما *
ومع من انتما فحيتهما ما حييتما * فخبراني ولا تحيراني لاجي
في كل وقت اليكما * وافوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا * الحمد لله
الذي بوئيتك حيانا * ان معرفتنا لا تجديك شيئا * ولا تجزك * وعدم
المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغالب على ظننا يا مولانا انك بعد اليوم

لن تراانا * وان قد راجتماع فنحن نسعى على رؤسنا اليك * والخليفتنا
الله والسلام عليك * ثم ودعاني وما وقفا * واودعاني اليم الفراق
وانصرفا * منذ امن البحر قطرة * ومن الطود ذرة * ونسأل الله سبحانه
وتعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا * وعن الخطل والخلل افعالنا
واحوالنا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *

* خاتمة الكتاب *



بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي ادب عبده احمد فاحسن
تأديبه * وخصه اذ رباه يتيما وانشاه غريبا بكل يتيمة غريبه * واظهر له
في بيان بديع المعاني منهج كل فن واسلوبه * فاعجب اهل زمانه
اذ اعجزهم بما اتاهم به من كل اعجوبه * احمده حمدا تفتقت في رياض آلائه
انوار فصاحته * واشكره شكرا تعبقت في رياض نعمائه ازهار بلاغته *
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع
والاعتقاد * واسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقية الاسناد *
فتنطلق الايمان باقوالها * وتبلغ الاسلام بافعالها * واشهد ان سيدنا

محمد المحمود * ورسوله الذي انشأ اخبار بعثته على التوجيل * وقصر فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعجيل * صلى الله عليه صلوة باقية بقاء اعجازه * موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه * وعلى آله واصحابه شموس سماء الفصاحة * وبدور افلاك البلاغة * وسلم تسليما كثيرا * اما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه * المعترف بتقصيره وخطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه * الراجي في حدائق المغفرة ثمرة الغفر مما جناه * احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا * العجيمي لقبا * الانصاري نسبا * الدمشقي مولدا * السني معتقدا * عامله الله بما كان اهله * وحفظ عليه دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انقلاب * ومحل تغير واضطراب * قد منع هي الاخرى للاكتساب * اما لجزيل الثواب * واما لوبيل العقاب * وكان سير ما مر يع الاحتثاث * واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث * اردت ان يخلد لي ذكر * ويجول لي في خواطر الآخرين فكر * لعل رحمة تتبعني * او دعاء صالحا ينفعني * فنادانى لسان الحال * ع لا خيل عندك تهديها ولا مال * واما

الا ولادقليت صالبهم كفاني شرة * ووازن في حيوتي نفعه وضره *
فلم يبق الا علم ينفع * او افادة ترفع * وقد صنف العلماء في كل فن
من العلوم ما بلغوا فيه الغايه * وتدرجوا في تقريره وتحريره من البداية
الى النهايه * وعينوا معانيه متونا وشروحا * وبينوا فحاويه خفاء
ووضوحا * مع ان دوارس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت
ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمحتوي في تحقيقها وتدقيقها نيا *
ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى القوت عرض
كتبه لتباع * غير ان بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر *
وبقايا الاكياس * متشوقون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة
احوال من ساس * من ذنب وراس * ومتشرفون لما لطائف
الاخبار * كيف كان امر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى *
من ملة الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمرديها وطغاتها *
مسلميها وكافرها * مقسطيها وجائرها * عاتيها ومواتيها * مصادقيها
ومعاديها * صالحها وطالحها * مانحها وبارحها * غابرها ودارجها *
غابرها وخارجها * مثل تيمور الا عرج * ولا اعبر منه في العتو

ولا أخرج * سيرة كلها عبرة * وكل عبرة منها فيها ميرة * أمورة أظهر من أن تخفى * وما أضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا * فقصدت بإراد كرته * وذكرت ما قصدته * وتوخيت الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتني نوائب الخطوب * وكشرت دون مرامي أنياب الخطوب * وجبهتني يد الردع * وصدمتني قارعة المنع * بأن أكبر الكبائر * في هذا الدهر الدائر * أدب أديب * أو فضل أريب * أو علم عالم لاسيما غريب * لقد كره الأديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقرر هذا في الأذهان ورسخ * ولهم الذنب إذ يدا أمرا وكنا وفوهم نفخ * ثم ذكرتني شاني * وخاطبتني بلساني *

* شعر *

* أتصرف غض العمر في طلب العلى * فتظمي أكبادا وتسهر أعينا *
* وتقاسي صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الأوطان للقلب موهنا *
* وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أنهكتها يد الضنا *
* ففي مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى *

* الى ان حماك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لنا سما *
* نصرت عزيزا في البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا *
* وقد سل فوق الراس سيف مشيبه * وهل بعد ذا غير معترك الفنا *
* اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب في الغنا *
* فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا *
* وقل في الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل انا *
* تصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا *

فما ثم ذو فضل بصدر منشرح * فحط عنك واسترح * فتضاعف الحال تشتيتا * وزاد الكبد تفتيتا * وارتبكت في عزمين * واشتبكت بين همين * بين ان اسكت فاضيع * او ان اقول فلا يسمع * فقدمت رجلا وأخرت اخرى * واستنهضت جواد فكري ترا وفيا * فقواني صدق النية فيما هممت * وخلوص الطوية على ما عزمت * وجمعت من بالي متفرق * والفت من فكر متمزق * من قضايا تيمور الطويلة العريضة نبذة * وجبذت بكف الافكار من حكاياته جبذة * نثلت في بيانها من بديع المعاني العجيبة * وسلكت وقد صرفته نحو مفرق

النطق ببنات الكلام ممنه وشحنت غرر مقامات بحمد الله تعالى طريفة المعاني كاملتها * لطيفة المباني بهاويتها *

قلت في مرآة الادب *

* بألفاظ ألحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون *

حويت دقة الجزل ودقته * ورباقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء * وطراقة الشعراء * وفصاحة البلغاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقة * والامتشهادات اللائقة * والاستطرادات الرائقة * والتشبيهات الغريبة * والاستعارات العجيبة * ونوادر السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة من ارباب الديوان * ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل * ونسجت جليد الجد بمعتق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام الآيات الشريفة * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفة * اصبحت بكل ذلك محز المقصد * وطبقت بحسامه مفصل الغرب *

قلت في مرآة الادب *

* كأن النهي قد كان مني ناعسا * فمر على اذنيه ما اتلفظ *

* فذاق لمن الشهد من حلاوة * تفتح عينيه و يتلمظ *
فمن اراد التنزه فى التواريخ فعليه بهذا ومة تكرارها * ومن قصد
التفكه فى رياض الانشاء فليقتطف من بهي ازهارها * ومن سلك
طرائق الادب فليجتن من حدائقها جنا ثمارها * ومن رام التسلق
الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال امثالها * ومن طلب الاعتبار
بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق اخبارها * ومن اعتنى بسياسة
الملك فليتمسك بوثائق آثارها * مع انى لم اوفها حقها فى التهذيب *
ولم تبلغ استحقاقها فى حسن الترتيب والتشذيب * لكن الكلام كالدر
المنتظم * والدر المنسجم * لا بد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا *
ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل
فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته *
ومثله يحتاج الى بحر ذهن صاف * ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود
جواهره واف * وذوق احلى من العسل * وفكر امضى من الاسل
ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النية * فاين
ضروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يبعث على القائلين التهمة * ومن

بتلك * واني ليعلم لي ملوك منه المسالك * وكنت طالما افرق

حصر النظر في ابداء التأمل نحو قنص معنى دقيق * واصوب غواص

الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصي رقيق * حتى اذا قلت هذا

القناص * وحاز الغواص * وانقطع الشواغل قطع بترس الشواغل

والحوادث على بهجتها عن الطريق * وبتهياج الهموم التهم غواص

بكري فاذا مرني بحر الغموم غريق * فتستد في وجهه قصد المسالك *

واصير من نهاره الى ليل حالك *

* قلت *

* فانني انتقي للنظم درا * ولم تظفر يداي منه بودعه *

لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم ارد ا

من اتمام ما بدأته * واصاء ما انميته * نصرت في وعوره اقع

واقوم * وفي بحوره اغطس واعوم * ان راق راكدا لخاطر

او لبس الفكر الفاتر * تذكرت من الكلام اوائله * والحقت بكل منه

ما شاكله * وبنده ارجعه من الزمان الجفا * تكدر منه ما صفا *

وتحلقت الافكار * وتولت الاخطار * وتسلوي عنه بحر

البصيرة الليل والنهار

﴿ قلت ﴾

* أكمل كل سطر بعد شهر * وأبني كل بيت بعد عام

فلا أضع المحمول إلا وقد حمل الموضوع * ولا أذكر الخبر إلا وقد نسي

المبتدا *

* قلت مضمنا شعرا *

* والفكر كالبحر يبدي لي جواهره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *

فتنخرم القاعدة * ويختلط رأس المال والفائدة * فقل لي أنى ينتظم قار

وقد انفرط نظام الحال * هذا وإن الكلام له مقامات * وبين

من الفصاحة والبلاغة درجات *

* قلت قديما مترجما *

* ما استوى في موقف إفصاح منطيق ولو *

* قد حبا سحبان وأعيى الأصمعي *

* فانتكر ما تراه في منزل أعمى الورى *

* مذ توى تحت لحاظ من قبل باالا من ابلعي *

وابن من يولي ... ما بهِ حقها * ويعطي كل مستحق منها مستحقها *
ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك ابناء العصر * وطريقة اولاد
الدهر * فإن الناس بزمانهم * اشبه منهم بآبائهم * ولو اخذت
فيه اخذ العرب العرباء * والبست فى الفاظهِ ومعانيهِ ثوب الاستقصاء
والاباء * فابرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبة * في قوالب
فخلة غريبة * لما التفت اليه * ولا عول لقصور ... والافهام
عليه * ولما كانت المجازات المشهورة * خيراً من الحقائق المهجورة *
والغلط المستعمل * اولى من الصواب المهمل * ابرزتها في اشارات
ربشبت ... عبارات رقيقة * وعملت في بعض المواضع بقوله *

* شعر *

* عند اكسوت مرمياً مغتمراً * ولو اشاء حكته معبراً *

* وقد قيل *

اذا احسست في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان *
* فلا تحتمل ... ان رقصي * على مقدار ايقاع الزمان *
... هذا الكتاب * ربما صنعه قبله ذووا الآداب * لكونا

مديدا * وامدا بعيدا * بوجوه منها ان زماننا لم يحظ بالرتاسة
يسامحك * وأنا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد * ومنها ان
وقتهم كان فيه من يربي الفضل واهله * ويحل كلا منهم محله *
من الملوك والاكابر * وذوي الفضائل والمآثر * وارباب المناصب
والمفاخر * واقل من فيهم كان يحب السماع * ويميل الى الفضل
والادب با... فكان الفضل فضيلة * والادب خصلة جميلة *
واما الآن * فقد انقلب باهله الزمان * فصار حامل الفضل والادب
من رهطه * والمنتظم من العلم في سلكه وسمطه * كأنه سارق عملته
تحت ابطه * ومنها ان الافهام كانت مدركة * وكانت ... لل
قريحة المتكلم متحركة * ولقد صارت الافهام جامدة * والقرائح خامدة * ونارها
هامدة * ومنها ان غالب ما صنف اخبار كاذبة * ومنها م... اغراض غير صائبة *
لانه لا واقع يطابقه * ولا خارج يوافقه * فعمد مصنفه الى ما عقدته
مخيلته * وتوهمته مفكرته * فألف حسبما اراد * واسس على مقتضى
اختياره ما شاد ... * واما هذا الكتاب فاخباره ... كلماته
بالصدق ناطقة * اذ هي في الواقع والخارج مطابقة * فابدا ما ينبغي

الخاطر واتممتها على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد * وليتني في مد او مد كفافا * من خيرها وشرها معافى * ولئن ساعف الزمان بترفيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لا تبعن آثاره ولا سترن [illegible] الامكان عواره * ولا بد ان اجهد في ترقيحه واصلاحه وتنقيحه * والا فالصفح مأمول * والعذر عند خيار الناس مقبول * والمسئول من صدقات ذوي الا [illegible] البالغين في البلاغة اعلى الرتب * ان يسبلوا ذيل الاغضاء عليه * وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه * ويقيلوا العثار * ويقبلوا الاعذار * [illegible] * يجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا أمله * راجين من لطف الله ما ارجوه منهم * لعل الله سبحانه ان يعفو عني وعنهم * مع انا كلنا في الهوى سوا * وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى * الحمد لله حمدا يملأ اركان الامكنة * و يعطر خيا شيم الازمنة * وصلى الله على سيدنا محمد صلوة تبلغ قائلها مأمنه * وتحله بشفاعته في جنة الفردوس الاعلى مسكنه * وعلى آله واصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا احسنه * ونستغفر الله من حصائد الالسنة *

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

قد اختتم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب

في دار الامارة كلكتة نهار ثالث شهر ذي الحجه سنة الف

ومائتين وسبعة وخمسين من هجرة النبي سيد الانام عليه

الوف التحية والسلام * والحمد لله اولا وآخرا *

صحيح	غلط	سطر	صفحة
اسمه	سمه	١٥	٣
جدا	حدا	٥	٤
تكثرت به	تكزت به	٢	٩
مصونة	مضونه	١٢	١٦
احرز	احرز	١٣	٣٨
الغير المرد	غير المرد	٣	٥٣
عليّ	علي	١٢	٥٥
آخا	أخا	٥	٦١
وزعموا	وزعموا	١	٨٦
فاخر	فاخز	٦	٣٢٠
الرؤس	الرؤ س	٢	٣٢١

*